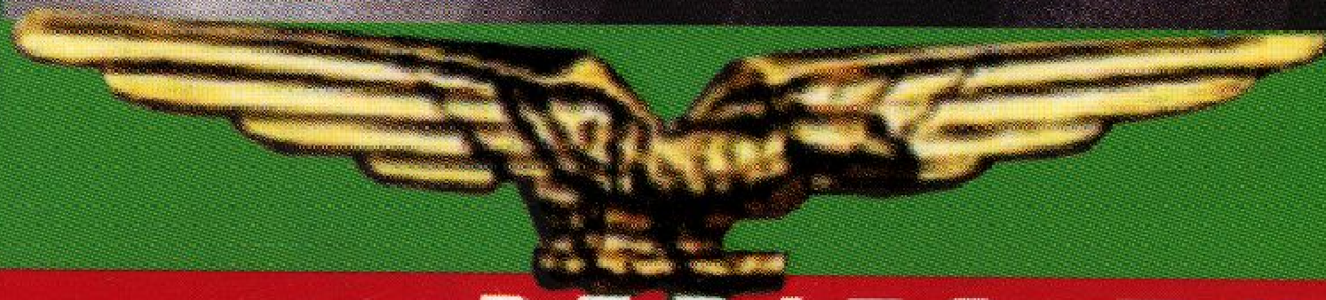






BENITO MUSSOLINI

موسوليني..

أسطورة لا تريد أن تموت





دمشق - القاهرة

أحمد ناصيف

مـوسـولـيـنـى

أسطورة لا تريد أن تموت



اسم الكتاب: موسولينى .. أسطورة لا تريد أن تموت

اسم المؤلف: أحمد ناصيف

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٥٢٧٣/ ٢٠٠٧

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-349-8

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال- فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني- ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٨



دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail: darkitab2003@yahoo.com - daralkitab-nassif@hotmail.com

موسوليني..

أسطورة لا تريد أن تموت

أسرار تذاع لأول مرة !!

◆

تأليف: أحمد ناصيف

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تــقـديــم

وراء كل ديكتاتور قصة .. وراء كل ديكتاتور حكاية .. وراء كل ديكتاتور خزانة مُحصنَّة مليئة بالأسرار الخطيرة والمذهلة، يستحيل أن تنفذ إليها في حياته، لأنك لو حاولت، لوجدت الهلاك بانتظارك ..

ومن طواغيت التاريخ الذين عرفهم العالم كان موسوليني .. ديكتاتوراً من طراز فريد، من سلالة خاصة، أخطر ما فيها أنها لا تعترف بحق الآخر في الحياة، عندما يخرج عن الخط الذي رسمته له !!

ولو كان الأمر يتوقف عند هؤلاء الأشخاص لأمكن احتواء الخطر، أو على الأقل كان من الممكن تحجيمه، لكن خطورة مثل هؤلاء الطواغيت تتمثل في اغتيال آمال وطموحات شعوب، ومصادرة مصائرهم الطيبة، و تدمير مستقبل دولهم المشرف، والتي دائماً ما تدفع ثمن مغامراتهم وخاصة العسكرية، فعادة الطواغيت أن يكون لديهم أطماع توسعية لزيادة نفوذهم بالاستيلاء على أراضي الغير، في حروب غالباً ما تنتهي بتدمير دولهم و شعوبهم و أنفسهم أيضاً كما علمنا التاريخ !!

ومن أكثر ما يميز هذا النوع من البشر، الذين تدخلوا لإعادة رسم مسار التاريخ، خلال عصرهم، و ما تلاه من عصور، هو أن سيرتهم لا تنتهي، هكذا النازي هتلر، هكذا الشيوعي العتيد ستالين ..

ومثلهما أيضاً بنيتو موسوليني، الذي أُعدم هو وعشيقته كلارا رمياً بالرصاص في ٢٨ أبريل عام ١٩٤٥ (وكان من المفترض أن تطوى هذه الصفحة الأخطر من تاريخ إيطاليا الحديث، بل من تاريخ العالم، إلا أن ما حدث هو العكس تماماً) . .

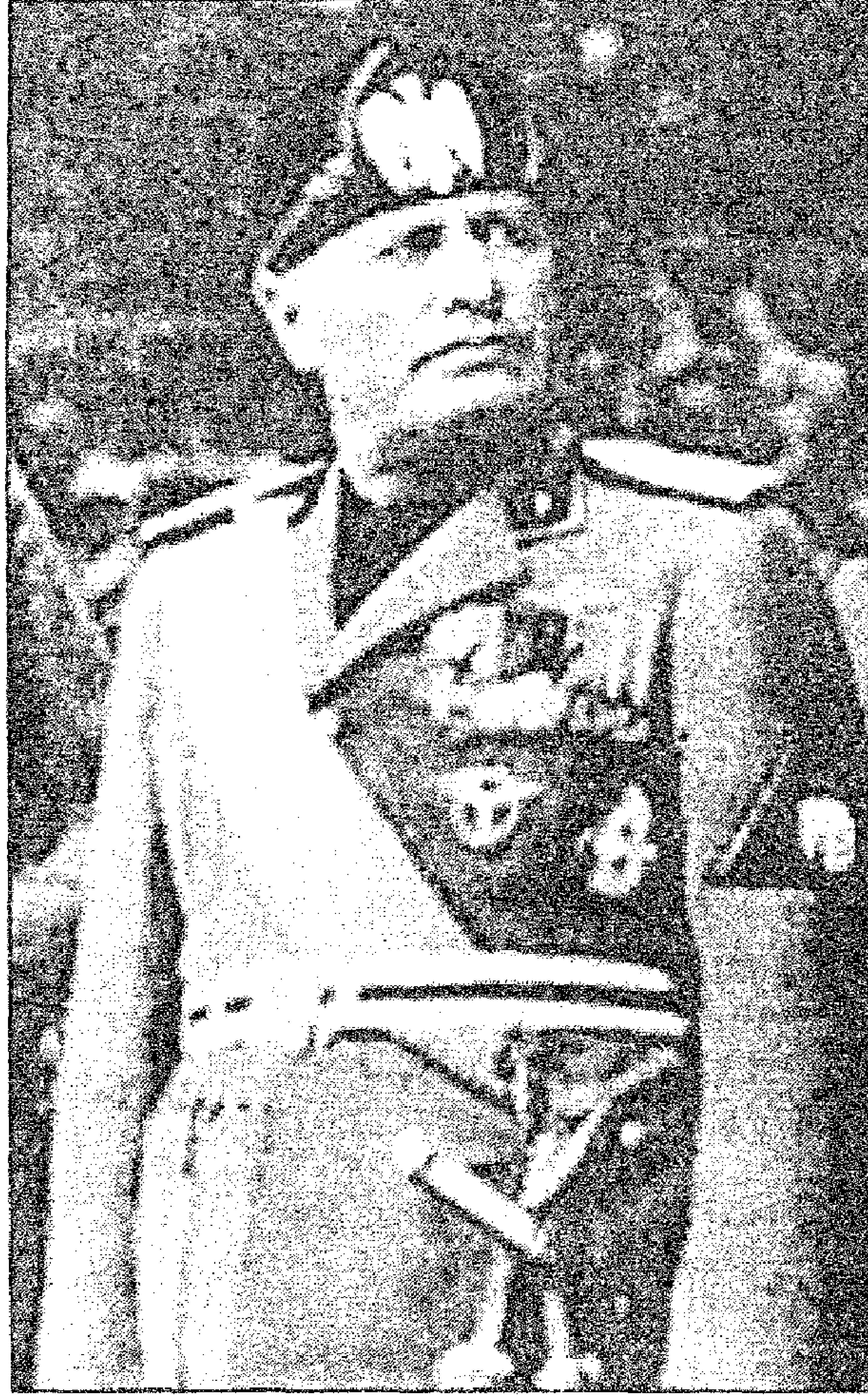
نعم رحل موسوليني، ولكن بقي العالم حتى وقتنا هذا مشغولاً به، وبدرجة أصبحت في السنوات الخمس الأخيرة، تفوق الاهتمام بهتلر نفسه الذي كان حين وصل موسوليني إلى السلطة (في أواخر العشرينيات من القرن الماضي) شخصا مغموراً ومعجباً بموسوليني، حتى إنه طلب صورة له تحمل توقيعه الشخصي !

فرغم مرور أكثر من ستة عقود (ستين سنة) على إعدام ديكتاتور إيطاليا الفاشستي العتيد، فإن اسم هذا الديكتاتور الدموي عاد للأضواء في السنوات الأخيرة، مع الكشف عن أسرار خطيرة و مثيرة من حياته، جعلته يعود بقوة إلى بؤرة الاهتمام .

وهذا الكتاب، عزيزي القارئ، محاولة لرصد كل ما يتعلق بحياة هذا الرجل الذي ساهم في تغيير مسيرة التاريخ، في ضوء ما تم الكشف عنه مؤخراً ، الأمر الذي يجعلنا نعيد رسم شخصيته من جديد.

أحمد ناصيف

١ - ذهب موسوليني
وبقيت الأسطورة !!



■ في شهر يوليو عام ٢٠٠٧، فوجئ العالم مرة أخرى باسم موسوليني يعود من جديد، ولكن في معركة تصريحات نارية متبادلة بين حفيدته والعقيد الليبي معمر القذافي .. فقد صرح الرئيس الليبي بأنه يتعين على إيطاليا دفع تعويضات لبلاده عما لحق بها من أضرار بسبب الاحتلال الإيطالي لليبيا في عهد جدها ..

١ - ذهب موسوليني

وبقيت الأسطورة !!

مع بداية القرن الحادي والعشرين، بدأ العالم يتذكر الديكتاتور الإيطالي الشهير، عبر سلسلة من الأحداث والمواقف والمعارك السياسية، أعادت موسوليني وزمنه للأضواء .. وزادت من الجدل داخل إيطاليا وخارجها حول الديكتاتور الذي أراد إحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة في القرن العشرين، وانتهت حياته على أيدي أعدائه بعد فشله في الفرار ..

في عام ٢٠٠٠، أعلنت الحكومة الإيطالية أنها ستعيد إلى أثيوبيا أشهر آثارها، وهي مسلة " أكسوم " الضخمة، التي سرقها جنود موسوليني إبان الاحتلال الإيطالي لأثيوبيا، قبل أكثر من ستين عاما ونقلوها إلى العاصمة الإيطالية روما !!

وكان الديكتاتور الإيطالي قد أمر جنوده في عام ألف وتسعمائة وسبعة وثلاثين، وبعد عام واحد من غزو قواته لأثيوبيا واحتلالها، بإنزال المسلة وتقطيعها إلى ثلاثة أجزاء وشحنها إلى إيطاليا، وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وعدت إيطاليا بإعادة المسلة إلى أثيوبيا، لتتذكر الوعد بعد أكثر من ستة عقود (٦٠ سنة)، وتعلن عن رغبتها في الوفاء به !

في الثالث والعشرين من شهر مارس عام ٢٠٠٦، فوجئ العالم بملايين الإيطاليين يتدفقون بصورة رهيبة و غير مسبوقة لمشاهدة ملاجئ موسوليني السرية المحصنة تحت أرض فيلته، بعد فتحها أمام الجمهور لأول مرة منذ رحيل الديكتاتور !!

كما سمح للزوار بمشاهدة الغرف المحصنة التي لا ينفذ إليها الغاز حيث كان يختبئ !!

وكان موسوليني الذي عاش حياة مرفهة ويستقبل ضيوفه في فيلته في روما، قد بنى الملاجئ تحت الأرض لحماية نفسه وأسرته من غارات جوية محتملة أو هجمات بالغاز.

وقد أنفقت الحكومة الإيطالية ستة ملايين دولار لإعادة ترميم الفيلا بعد عقود من التآكل خلال فترة أهمل فيها هذا الكنز الأثري لأنه كان يذكر الإيطاليين بفترة الحكم الفاشستي.

وقد عاش موسوليني في فيلا "تورلونيا" مع زوجته " راتشيلي"، وأطفالهما ما بين عامي ١٩٢٥ - ١٩٤٣ . وفي وقت بدا قرار إعادة ترميمها على طريقة الفاشستي الذي كان يساند النازية اختياراً غريباً بالنسبة إلى الدخلاء، فإن ذلك يعكس افتتاناً متنامياً بين الإيطاليين - حتى يومنا هذا - بموسوليني.

ففي محيط هذا المتحف "فيلا موسوليني" على ساحل البحر في قرية "ريكسيونه"، حيث كانت العائلة تقضي العطلة الصيفية، تُعرض أفلام الفيديو و الأفلام الوثائقية التي تدور حول الديكتاتور، ويتهافت الزوار على الملابس و الأعلام، التي تحمل الرموز الفاشستية.

كما أن هناك متاجر ومتاحف للأشياء التذكارية إضافية يجري العمل على افتتاحها في المناطق التي كان يكثر موسوليني التردد عليها على امتداد الساحل الشمالي لإيطاليا، تتضمن معروضاتها الأقراص المدمجة لبعض من أشهر خطب موسوليني من على شرفته في "ميدافينيزيا".

أما في مسقط رأسه بريدابيو، و بالتزامن مع افتتاح متحف فيلا موسوليني، فكان هناك ٤٠٠ متطوع يتناوبون منذ مدة على لعب دور حرس الشرف على ضريحه، بالإضافة إلى ٦٠٠٠ من ذوي القمصان السود من الفاشستيين الجدد المتعاطفين، الذين يساهمون بانتظام في إحياء ذكرى وفاة الديكتاتور.

و في الشهر نفسه عام (٢٠٠٦)، نشبت معركة سياسية كبرى في إيطاليا بسبب موسوليني، عندما تعالت الانتقادات لرئيس الوزراء الإيطالي - آنذاك - (سيلفيو برلسكوني) بسبب زعمه أن الديكتاتور الفاشي بنيتو موسوليني لم يقتل أحدا على الإطلاق .. واتهم برلسكوني منتقديه بتشويه صورة إيطاليا و تاريخها .

وقال الملياردير الإيطالي الذي تحول إلى زعيم سياسي: إن موسوليني أرسل أعداءه في إجازة إلى منفى داخلي، ولا يمكن مقارنته بالرئيس العراقي المخلوع صدام حسين.

وقد أثارت تعليقات برلسكوني غضب الجماعات اليهودية والمعارضين السياسيين، كما أفزعت بعض شركائه في الائتلاف الحاكم. وهاجم العديد من الصحف الإيطالية تعليقات برلسكوني !!

وفي عام ٢٠٠٦ أيضاً كشف المكتب الاتحادي السويسري للاجئين في سويسرا عن ملفات عشرة مشاهير نفض عنها الغبار من بين ٤٤٠,٠٠٠ ملف، للغوص فيها وتفحص المحطات الرئيسة لحياتهم، والإجراءات التي خاضوها لطلب اللجوء، وماذا قدموا من أسباب للجوء، وممارسات سلطات اللجوء في بدايات القرن الماضي، والطريقة التي عاشتها هذه الشخصيات في أوقات المحنة.. وفي خضم ما كشف عنه المكتب تقرير للشرطة السرية بمقاطعة جنيف، يصف لينين وموسوليني بـ "خطيبين لامعين"، ويقول إنهما خطبا في تجمع للاشتراكيين أقيم في ١٨ مارس عام ١٩٠٤ لإحياء ذكرى كميونة باريس، وإن كلا من الرجلين كان يتردد بمثابرة على صالة القراءة في المكتبة العامة للمدينة .

وفوجئ الإيطاليون ومعهم العالم في عام ٢٠٠٦ بحفيدة موسوليني تقود حملة ضارية لتعديل القوانين لكي يصبح بإمكان أولادها حمل اسم عائلتها، وبالتحديد اسم جدهم موسوليني!!

وللحفيدة أليساندرا - وهي نائبة برلمانية - ثلاثة أولاد يحملون اسم عائلة زوجها فلورياني، لكنها قالت إنها خاضت معركة قضائية طويلة ومكلفة من أجل السماح لأولادها باستعمال اسم عائلتها أيضا .

ورغم أن القانون الإيطالي ينص على أن يحمل الأولاد اسم والدهم، فإن حفيدة موسوليني تحظى بدعم عدد من السياسيين الإيطاليين من أجل تعديل القانون، وحصلت مؤخرا على حكم من المحكمة العليا الإيطالية يعتبر سابقة في تاريخ القضاء الإيطالي .

فقد أصدرت المحكمة العليا الإيطالية حكما دعت فيه إلى وضع نهاية للقوانين البطريركية العائلية، ورفضت النظر في الطلب الذي تقدم به أحد الآباء لكي يسمح لابنه غير الشرعي بحمل اسم عائلته، معللة ذلك بأن الأب الذي لم يعترف بأبوته لابنه عند ولادته في العام ١٩٩٧ ، ينبغي أن يحرم من انتساب ابنه إليه، وأن يستمر الابن يحمل اسم والدته، وكان تعليق أليساندرا : الحكم مفرح ، إنه اعتراف بحقوق المرأة وحق الأمومة !!

وفي عام ٢٠٠٦، تم منح ٢٠٠,٠٠٠ جندي ممن خدموا كمتطوعين لحماية موسوليني ذات المكانة والمنافع التي يتمتع بها المحاربون القدامى من مقاتلي المقاومة السابقين .

و قد أغضبت تلك الخطوة بعض الإيطاليين، و لكن رئيس الوزراء السابق سلفيو برلسكوني، الذي يضم حزبه تحالف الوسط، الحزب المتطرف اليميني، الذي تقوده حفيدة الديكتاتور أليساندرا موسوليني، اعتبرها مساهمة في المصالحة الوطنية .

كما عاد اسم موسوليني زعيم الفاشية الإيطالي يتردد في الفترة الأخيرة في إيطاليا، منذ أن أثار السياسي الإيطالي جيان فرانكو فيني رئيس حزب التحالف القومي- الحزب الذي تطور عن حزب موسوليني، المعروف باسم القمصان السوداء-

أزمة سياسية بمهاجمته الفاشية التي تزعمها الدوتشي موسوليني ووصفه إياها بأنها شر مطلق، وبسبب هذا الهجوم الذي تعرض له جدها، قررت حفيدته أليساندرا موسوليني، الانفصال عن حزب التحالف القومي لتؤسس حزبا يمينيا جديدا سمته (البديل الاجتماعي) يعيد لجدها كرامته.

في الفترة نفسها قررت إيلينا كورتي، ٨٠ عاما، الخروج من عزلتها وكسر حاجز الصمت والاعتراف أمام العالم في مذكراتها التي نشرت مؤخرا، بأنها الابنة المجهولة في حياة الدوتشي موسوليني.

و قبل أن يلفظ عام ٢٠٠٦ أنفاسه الأخيرة، تم الكشف عن أن اللحظات الأخيرة من حياة الديكتاتور الإيطالي كانت قد صورت، وقد تم تعقب الشريط حتى العثور عليه في الولايات المتحدة .

وقال لوتشيانو راندازو وكيل حفيد موسوليني ، في مؤتمر صحافي في روما : "إن مدة الفيلم هي دقيقتان ونصف الدقيقة، وهو من ضمن أرشيف خاص حفظ في واشنطن" .

وأوضح راندازو أن الفيلم يتضمن آخر لحظات حياة موسوليني وعشيقته كلاريتا بيتاتشي التي كانت برفقته عندما أطلق عليه النار في ٢٨ ابريل عام ١٩٤٥، وقال إن حفيد الديكتاتور الراحل، جويدو موسوليني (حفيد موسوليني من نجله الأكبر فيتوريو) ، لم يطلع على الفيلم الذي يمكن أن يتيح التعرف على الأشخاص الذين قتلوا زعيم الحرب الإيطالي .

ولم يقتصر الجدال والاعترافات على إيطاليا وطن موسوليني ومسقط رأسه، بل امتد الأمر إلى عواصم أوربية أخرى، ففي شهر مارس ٢٠٠٦، خرج الأمير فيليب، زوج الملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا، عن صمته الذي استمر حول ٦٠ عاما حول صلة عائلته بـ"النازيين" في ألمانيا، معترفا أن العائلة وضعت حدا لعلاقاتها مع اليهود، وأنه كان حلقة وصل بين هتلر وموسوليني.

وقال الأمير فيليب، البالغ من العمر ٨٥ عاما، إن عائلته "كانت معجبة بمحاولات أدولف هتلر إعادة القوة والهيبة إلى ألمانيا". وكشف فيليب، في حديث لمؤلف كتاب "الملكيون والرايخ" جوناثان بيترو فيلس، أنه " بالرغم من أنه لا يعرف أحدا في العائلة المالكة لديه آراء معادية للسامية، فإنهم يعبرون عن حواجز وموانع تفصلهم عن اليهود ولديهم غيرة تجاه النجاح الذي حققوه".

وكان لدى فيليب ٤ أخوات تزوجن من أمراء ألمان، ثلاث منهن أصبحن أعضاء في الحزب النازي . وقد تزوج الأمير فيلب الأميرة إليزابيث عام ١٩٤٧ قبل أن تصبح ملكة بريطانيا بخمس سنوات.

وينشر الكتاب صورا يُكشف عنها للمرة الأولى، ومنها صورة لإحدى شقيقات الأمير فيليب وهي تجلس قبالة الزعيم النازي أدولف هتلر، وصورة الأمير فيليب وهو يحضر جنازة مع النازيين في ألمانيا عام ١٩٣٧.

ومما قاله الأمير فيليب أيضا: "كان هناك تعاطف كبير مع النازيين في ذلك الوقت، الاقتصاد كان جيدا، وكنا ضد الشيوعية".

ومن الأسرار الأخرى التي يكشفها الكتاب أن الأمير فيليب طوّر علاقات شخصية وثيقة مع هتلر ومع هيرمان جورنج ذراع هتلر اليمنى ورئيس الجستابو (شرطة مخابرات أمن الدولة). وفيما بعد قام الأمير فيليب بتقديم جورنج لزعيم الفاشية "موسوليني" في مرحلة هامة من تطور الحزب النازي، وأصبح فيما بعد حلقة ربط بين موسوليني وهتلر.

وشهد شهر فبراير عام ٢٠٠٧ و لأول مرة اكتشاف يوميات كتبها الديكتاتور الفاشيستي بنيتو بخط يده . وذكر المؤرخون في روما أن تاريخ الكتابات يرجع إلى الفترة ما بين ١٩٣٥ و١٩٣٩. وقال مارشيلو ديلاوتري وهو أحد أعضاء مجلس الشيوخ بروما إنه حصل على اليوميات في مدينة بيلينزون بسويسرا، من نجل أحد جنود

المقاومة الذي كان حاضرا أثناء القبض على موسوليني وحصل على هذه اليوميات التي تعد للنشر في إيطاليا قريبا.

وكانت قد نسبت من قبل عدة يوميات مماثلة إلى الديكتاتور السابق لكن ثبت أنها مزورة.

وتتضمن هذه اليوميات تحفظات موسوليني حول شن ألمانيا النازية الوشيك آنذاك للحرب العالمية الثانية . وقال ديلاوتري إنه قرأ اليوميات بتمعن وتأثر للغاية بالملاحظات اليومية التي كتبها موسوليني .

وفي شهر يوليو عام ٢٠٠٧، فوجئ العالم مرة أخرى باسم موسوليني يعود من جديد، ولكن في معركة تصريحات نارية متبادلة بين حفيدته و العقيد الليبي معمر القذافي .. فقد صرح الرئيس الليبي بأنه يتعين على إيطاليا دفع تعويضات لبلاده عما لحق بها من أضرار بسبب الاحتلال الإيطالي لليبيا في عهد جدها.. وكان رد أليساندرا:"هم الذين ينبغي أن يعوضونا لأن استعمارنا كان إيجابيا، والفاشية صدرت الديموقراطية والطرقات والمنازل والمدارس" .

وكان القذافي قد طالب إيطاليا في خطاب له بتعويضات عن سنوات استعمارها لليبيا، مؤكداً أن بلاده تعاني من "تراكمات تاريخية" منذ ١٩١١ سنة احتلال إيطاليا لليبيا .

وأضاف أن "من مصلحة إيطاليا الصديقة أن تدفع تعويضا للشعب الليبي على قتلها وتشريدها له كيلا تنفجر ثورة أخرى ضد مصالحها وشركاتها ومواطنيها " .

وقالت أليساندرا موسوليني إنه "لا يمكن أن نعتمد على نفطهم الذي بات يسيء إلى ضمائرنا. فمع هذه التبعية لا يمكننا الدفاع عن دولتنا وعن ديانتنا. يجب وضع حد لهذا الذل المتمادي"، داعية إلى لجوء إيطاليا إلى الطاقة النووية للحد من "تبعيتها" في مجال الطاقة.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فقد ردت عائشة محمد المسئولة في رابطة ضحايا الألغام الليبيين على تصريحات اليساندرا موسوليني، وقالت لوكالة فرانس برس إنه "على الإيطاليين أن يخجلوا من جرائمهم تجاه الشعب الليبي".

وتساءلت عائشة : "هل الإيجابية كما تصفها حفيدة المجرم موسوليني قتل ٧٠٠ ألف مواطن ليبي ونفي الآلاف في جزر نائية، وفقدان الآلاف من الليبيين أطرافهم نتيجة الألغام التي زرعها الإيطاليون في أرضنا؟".

وأكدت المسئولة الليبية " نحن نفتخر بالجمال ولا زلنا نركبها ونلبس العمامات لنحمي أنفسنا من رائحتهم الكريهة"، داعية ليبيا إلى "الرد الفوري على هذه التصريحات العنصرية واتخاذ موقف أشد حزما تجاه إيطاليا ".

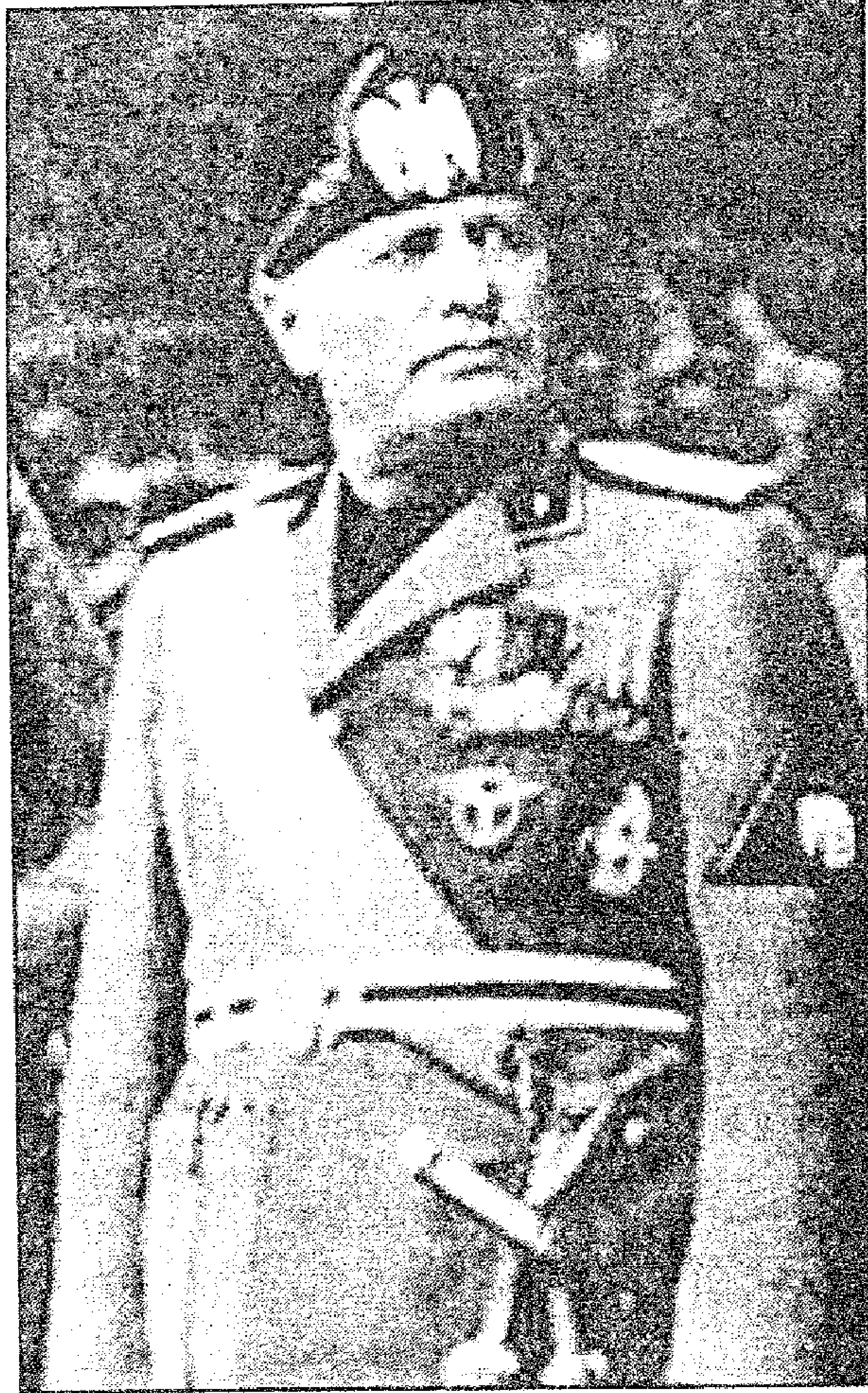
وفي عام ٢٠٠٧ أيضاً و بالتحديد في شهر مارس، تم الكشف عن حادثة أشبه بنكتة، كان بطلها الديكتاتور الراحل .

فقد كان الديكتاتور يشجع نادي "الإنتر" لكرة القدم الذي كان يعتبر " نادي الحكومة "، وكان منافسه الوحيد وقتها هو نادي اليوفنتوس .

وفي أحد مواسم الدوري الإيطالي كان اليوفنتوس متقدما على الإنتر بنقطة واحدة تتوجهُ بطلاً للدوري، لكن بتدخل مباشر من موسوليني قام اتحاد الكرة بخصم ٣ نقاط من "اليوفي" (اختصار اليوفنتوس) وإضافة نقاط للإنتر، وكانت الذريعة هي مصلحة الدولة "مصالح عليا" كما جاء في الأمر السري الذي أصدره موسوليني، وبنفس الطريقة حصل ناديه الإنتر على ثلاث بطولات دوري متتالية !!

كل هذا أعاد اسم الديكتاتور الراحل ودعا إلى فتح ملفه مرة أخرى ومازلنا نتوقع المزيد .. والمزيد ..

٢- ولادة متعثرة
وطفولة بائسة !!



■ وكان في طفولته غليظ القلب، متقلب المزاج، سريع الهياج، حتى إنه كان يرمي رواد الكنيسة بالحجارة .. وعندما كان في الثامنة من عمره طُرد من المدرسة لطعنه ولدا آخر بالسكين في مؤخرته !!

٢ - ولادة متعثرة

وطفولة بائسة !!

لم يكن أحد يتوقع أن يُصبح الشاب الذي ولد في أسرة فقيرة تعاني ويلات الفقر والعوز والحاجة، وعانى محنة الغربة واللجوء لغير وطنه، حاكما مطلقا لإيطاليا في يوم من الأيام.

انتمي والد بنيتو موسوليني " أليساندرو" إلى مقاطعة" رومانيا بإيطاليا ولأسرة فقيرة من الفلاحين، وكان اشتراكيّاً اعتنق الاشتراكية عن طريق قراءات عشوائية لعدد من الكتاب، وظل فترة تحت أعين الشرطة حتى دخوله السجن عام ١٩٠٢، وهو في الثامنة والأربعين من عمره بتهمة إثارة الشغب أثناء الانتخابات .

أما الأم فهي روزا مالتوني ابنة دوفيا،المدرسة الكاثوليكية المتدينة التي ارتبطت بالحداد الملحد الفوضوي أليساندرو، لتكون العائل الرئيسي، ومصدر الحنان والأمان لأسرتها الصغيرة منشغلة بإدارة شؤون المنزل وعملها مصدر رزقهم ، تاركة السياسة ومشاكلها لزوجها ..

وجاء الابن البكر بنيتو .. جاء إلي هذه الدنيا في ولادة متعثرة في ساعة من ساعات يوم ٢٩ يوليو عام ١٨٨٣، في بلدة "دوفيا" محاطاً بأسرة صغيرة و فقيرة، ليطلق عليه الأب اسم "بنيتو" تيمناً بالثوري المكسيكي" بنيتو خواريز. وانفردت أمه (التي تعلق بها بشدة) بتربيته كما قامت بتعليمه الكتابة والقراءة و الرياضيات، وعملت علي إدخاله إلي الكنيسة، ولكنه اضطر إلى الالتحاق بالتعليم متأخرا وفي مدرسة داخلية بسبب كثرة مشاكله، وعدم انضباطه، حتى إنه كان يرمي رواد الكنيسة بالحجارة !!

كان بنيتو قليل الكلام يميل إلي الهدوء والتفكير ولكنه كان يجيد استعمال قبضته.. وعندما كان في الثامنة من عمره، كان يسرق، ودائم الشجار مع بقية أقرانه، وظل يثير المشاكل، حتى طرد من المدرسة، لطعنه ولداً آخر بالسكين في مؤخرته !!

كان موسوليني الطفل في هذه السن الصغيرة قاسي الطباع، حاد المزاج، عدواني النزعة، وكان سريع الهياج، فظ القلب، شديد العنف، وحتي طرده لم يتعلم شيئا، حتى إنه تعرض لأكثر من مشكلة خطيرة في طفولته المبكرة، وبنفس درجة طعنه لزميل الدراسة بالسكين .

وهكذا نري ملامح موسوليني خلال فترة صباه : مرتبطاً ارتباطا وثيقاً بأمه، التي كانت تعوله وتوليه رعاية خاصة.. يميل إلي الهدوء ولكنه دائماً وأبداً الهدوء الذي يسبق العاصفة !! .. كثير المشاكل ولكن أيضاً دائم التفكير والتأمل، بعيدا عن أصدقائه .. حاد الطباع قابلا للإثارة والاستفزاز لأهون الأمور ..

وكانت أمه قد شعرت أن ولدها قد يكون مجرما صغيرا، فعملت علي ترويضه بإدخاله الكنيسة مرة أخرى، لعل ذلك ينجح في تعديل سلوكه، و تهذيب طباعه ، ولكن الأمر لم ينجح .

وقد أرجع بعض الباحثين السبب في تمرد الصغير و عنفه و عدوانيته إلى غضبه المكبوت لشعوره بالفارق بينه وبين زملائه الأغنياء .

بعد إتمامه الدراسة الابتدائية التحق بنيتو موسوليني بمدرسة داخلية علمانية فدخل معهداً فنيا في "فور ليمبوبولي" . وفي تلك الفترة بدأ الفتى يتميز بضخامة بنيانه الجسماني عن بقية أفراد أسرته. وتمتعه بالمهارة اليدوية وسرعة الاستيعاب، وسريعا ما اكتسب شعبية كبيرة بين زملائه بسبب مميزاته الكثيرة، رغم طباعه الحادة وكثرة مشاكله .

وفي الثامن من يوليو ١٨٩٨ حصل بنيتو علي دبلوم المعلمين بعد ثلاث سنوات، متجها في ثقافته إلى العلوم الإنسانية والأدب الإغريقي والروماني . وكان هذا النوع منتشرا في المدارس الإيطالية كلها .

كما أصبح يجيد التعبير عن نفسه بالكتابة . . ومن هنا ظهرت بدايات الصحفي المشاكس الشرس العنيد .

وتحول مجرى حياته بعد لقائه مع أنجيليكا بالانوف الروسية من أصل إيطالي التي كانت تنشر الفكر الماركسي بين المهاجرين الإيطاليين في النمسا، فأصبحت معلمته وشجعته على الكتابة وبدأ ينشر مقالاته في الجرائد الاشتراكية ..ونشر رواية رومانسية مبتذلة بعنوان عشيقة الكاردينال..

وقد اكتسب بنيتو خبراته وصداقاته النسائية الأولى أثناء السنوات التي أمضاها في "فور ليمبوبولي" من تردده هناك علي بيوت الدعارة، مثل غيره من الشباب من الريف الإيطالي. ولما كان باستطاعته الحصول علي المتعة بسهولة، فقد اكتسب فلسفة خاصة به سيطرت على تصوره الحسي للمرأة .

ولعل أهم ما يستخلص في تلك المرحلة "طفولة موسوليني" هو أن العوامل التي تشكل الدكتاتور قد ولدت معه !!

٣- نقطة الانطلاق

سويسرا ولكن !!



■ ولكنه لم يستمر طويلاً في هذه الوظيفة وذلك بعد الفضيحة التي تسبب فيها نتيجة علاقة أقامها مع امرأة متزوجة من البلدة !!

٣- نقطة الانطلاق

سويسرا ولكن !!

قبل ما يزيد بقليل عن قرن كامل ، و بالتحديد في ٣٠ يونيو من عام ١٩٠٣، اقتادت السلطات السويسرية شاباً إيطاليا في العشرينيات من العمر من مدينة "كانتون برن"، في القطار الذاهب إلى مدينة "كياسو" تمهيدا لطرده من الأراضي السويسرية .

الاسم واللقب: "بنيتو موسوليني" ابن ألساندرو وروزا مالتوني، المولود في "بريدابيو" يوم ٢٩ يوليو ١٨٨٣" .. هكذا بدأ أمر الاعتقال .

لم يكن أحد يتوقع أن يصبح الشاب الذي أوقفته السلطات المحلية لكانتون برن بتهمة التسول، واستجوبته ثم التقطت له صورة كأي مجرم، واتخذت قرارا بطرده من الكانتون، حاكما مطلقا لإيطاليا في مستقبل الأيام .

فقد وصل "الدوتشي" المقبل إلى سويسرا في التاسع من يوليو عام ١٩٠٢ بحثا عن عمل. فاشتغل مدرسا مؤقتا للصف الابتدائي في بلدة غوالتياري، لكن لم يتمّ تجديد عقد عمله بسبب علاقة أقامها مع سيدة كان زوجها متغيبا لأداء الخدمة العسكرية.

وفي طريقه إلى (جنيف) مر بمدينتي "إيفردون" و "أورب" التي عمل فيها بضعة أيام، قبل أن يتحول إلى لوزان التي تعرف فيها للمرة الأولى على الشرطة السويسرية.

ففي صبيحة يوم ٢٤ يوليو ١٩٠٢، أوقفته الشرطة تحت جسر قضى تحته ليلته. ولم يكن بحوزته حينها إلا جواز سفر وشهادة التخرج من مدرسة المعلمين و١٥

سنتيماً.وبعد أن أطلق سراحه، كسب قوت يومه من ممارسة بعض الأشغال اليدوية، كما عمل نادلا (جرسوناً)، لكنه لفت الأنظار إليه كـ"محرض اشتراكي" ومُحاضر ومحرر في صحيفة "مستقبل العامل" الناطقة باسم الاشتراكيين الإيطاليين المقيمين في سويسرا.

وفي ربيع عام ١٩٠٣ انتقل للإقامة في برن حيث أوقفته الشرطة هناك لاشتباهها في قيامه بتحريض العمال الإيطاليين على الإضراب والثورة .

لكن وبعد تسليمه إلى السلطات الإيطالية في كياسو - مَعْبَر حدودي بين البلدين- عاد إلى سويسرا مجددا، لأن قرار الطرد لم يكن يشمل إلا كانتون برن، وتوقف في مدينة " بلينزونا " الجنوبية .

وفي شهر يوليو من العام نفسه، تدخل لأخذ الكلمة في بعض الاجتماعات التي عقدها الاشتراكيون في المنطقة كما ألقى محاضرة حول الإلحاد . ومنذ تلك اللحظة أعلم المدعي العام للكونفدرالية الشرطة بأن هذا الشخص "فوضوي" لا بد من مراقبته .

وفى أكتوبر ١٩٠٣، عاد موسوليني إلى مسقط رأسه في قرية "بريدابيو" لزيارة والدته المريضة، ثم رجع إلى سويسرا في نفس السنة تهربا من أداء الخدمة العسكرية في الجيش الإيطالي، وتحول إلى جنيف .

قضى موسوليني الأشهر الأولى من عام ١٩٠٤ بين جنيف وآنماس (في فرنسا المجاورة) في عقد اجتماعات وإلقاء محاضرات ذات طابع سياسي ونقابي، إضافة إلى مراسلات صحفية مع منشورات ومجلات اشتراكية وفوضوية .

وفي شهر أبريل من عام ١٩٠٤، أفلت — بفضل تدخل حاسم من سلطات كانتون تيشينو — من الإبعاد مجددا إلى إيطاليا، التي حوكم فيها بتهمة التقاعس عن أداء الواجب العسكري، والتهرب من التجنيد، وحيث ينتظره حكم بالسجن لمدة

عام. ثم تحول إلى لوزان حيث سجل في كلية العلوم الاجتماعية، وتابع لبضعة أشهر محاضرات عالم الاجتماع فيلفريدو باريتو.

وسوف تتحول هذه الفترة البسيطة من الدراسة الجامعية – بعد سنوات – إلى مبرر لمنح جامعة لوزان الدكتوراه الفخرية للطالب السابق في عام ١٩٣٧ بعد أن أصبح يُلقب بـ "الدوتشي".

وفي شهر نوفمبر من عام ١٩٠٤، رجع موسوليني إلى إيطاليا، بعد أن سئم حياة التسكع في سويسرا. ولعل أحد الأسباب التي دفعته إلى التعجيل بالعودة صدور عفو عام شمله بمناسبة ولادة ولي العرش الإيطالي أومبرتو دي سافويا.

وقد شدد كل الكتاب الذين أرّخوا لحياة موسوليني على أهمية الفترة التي قضاها في سويسرا و تأثيرها على شخصيته كسياسي. فخلال عامين من الإقامة في الكونفدرالية تمرس بأساليب الدعاية والتحركات الثورية، كما جرب المعاناة القاسية للمهاجر الباحث عن العمل والمأوى والعيش الكريم.

وفي الفترة الفاصلة ما بين عامي ١٩٠٨ و ١٩١٠، أقام موسوليني في الكونفدرالية لفترات متقطعة. فعمل بنّاء في شركة المقاولات البرية والحديدية في لوغانو حيث تعرف على الزعيم الاشتراكي غوليالمو كانيفاشيني الذي استضافه في بيته.

أما بعد ذلك التاريخ، فلن يعود موسوليني إلى سويسرا إلا متقلدا منصب رئيس الحكومة الإيطالية للمشاركة في اجتماعات دولية مثل مؤتمر السلام الشهير الذي انعقد في "لوكارنو" عام ١٩٢٥.

وهنا نشير لكتاب "لجوء المشاهير في سويسرا"، الذي وضعه عشرة من المؤرخين العاملين في المكتب الاتحادي السويسري للاجئين، لتتبع سيرة أشهر اللاجئين في تاريخ هذه الدولة، الذين تقدموا في أوائل القرن الماضي بطلب للجوء إلى سويسرا : حياتهم .. أنشطتهم .. ماذا عملوا... كيف تصرفوا في بلد اللجوء ؟! . . و من هؤلاء كان بالطبع الشاب موسوليني، و الذي تزامن وجوده مع القائد الشهير لينين !!

لقد نفض عشرة من العاملين في المكتب الغبار عن ملفات عشرة مشاهير من بين ٤٤٠,٠٠٠ ملف ليغوصوا فيها، ولينقلوا لنا المحطات الرئيسة لحياتهم، والإجراءات التي خاضوها في طلب اللجوء، وماذا قدموا من أسباب للجوء، وممارسات سلطات اللجوء في بدايات القرن الماضي، والطريقة التي عاشتها هذه الشخصيات في أوقات المحنة!

يقول الكتاب إن موسوليني عاش محروما من الحرية ومهددا بالطرد في أي لحظة. كان محروما أيضا من الخبز ومعدما، لكن فجأة يلقى موسوليني اهتماما خاصا من دائرة اللجوء عندما وصل أنصاره " المحرومون " إلى السلطة في شبه الجزيرة الإيطالية .

وأقام مؤسس الحزب الشيوعي السوفيتي لينين، ومبتكر الفاشية - فيما بعد - موسوليني في وقت واحد بسويسرا في بدايات القرن العشرين.. في ذلك الوقت كان لينين وموسوليني يستقلان المركب السياسي نفسه، بمعنى آخر : اليسار المتطرف، قبل أن يغير اليساري الإيطالي موقفه بشكل جذري في مجرى الحرب العالمية الأولى.

ويكشف الكتاب عن تقرير للشرطة السرية بمقاطعة جنيف يصف لينين وموسوليني بـ "خطيبين لامعين"، ويقول إنهما خطبا في تجمعات للاشتراكيين أقيمت في عام ١٩٠٤، ومن تقارير الشرطة عنهما أيضا أن كليهما كان يتردد بمثابرة على صالة القراءة في المكتبة العامة للمدينة.

وعند مقارنة فصلي الكتاب عن لينين وموسوليني نرى أن لينين عومل من قبل السلطات السويسرية معاملة أفضل من موسوليني، رغم أنهما كانا رفيقين .

لقد عاش الأخير في لوزان الفترة بين ١٩٠٢ - ١٩٠٣ كعامل بناء، ونادل "جرسون" في مقهى، ثم أصبح مشردا حتى اضطر إلى أن ينام يوما ما داخل صندوق من الكرتون، تحت جسر في لوزان .

وفي ٢٤ يوليو ١٩٠٣ قبض عليه الشرطي (لويس أمريه) بتهمة التسوّل واقتاده للشرطة. بعدها غادر إلى إيطاليا، لكنه سرعان ما سلك طريق العودة إلى سويسرا لينقذ نفسه من واجب الخدمة العسكرية. وبعد اعتلائه السلطة أصبح موسوليني من أشد المتعصبين للعسكرية، وبهذا يكون قد قدم صورة مثالية للنموذج البشري السيئ خارج السلطة وداخلها.

ويكشف الكتاب أن موسوليني دخل إلى سويسرا بجواز سفر منتهي الصلاحية دون أن يلحظ رجال الحدود ذلك .

ويقول إنه أقام عند صانع الأحذية " لوزيو " ثم تقدم بطلب للحصول على أوراق إقامة كي يسجل في الجامعة، وقد منحه موظف أوراق إقامة مؤقتة، مقابل احتفاظه بجواز سفره لأن تاريخ الصلاحية غير مقروء .

ويروي الكتاب من واقع الوثائق كيف تم القبض على موسوليني في ١١ ابريل ١٩٠٤، وتم وضعه في السجن لاستخدامه جواز سفر تالفاً، وكيف بقي ستة أيام في السجن، قبل أن يتم ترحيله إلى إيطاليا (١٩٠٤) ليلتحق بالجيش في العام التالي.

ويروي أيضاً كيف عاد موسوليني مرة ثانية إلى سويسرا عام ١٩٢٢، لكن هذه المرة ليس مشردا، ولا ثوريا، بل رئيسا لإيطاليا، ليشارك في مؤتمر حول أسلاب الدولة العثمانية بعد سقوطها .

ويظهر الكتاب أن لينين حصل على أوراق إقامة بصورة مشروعة، وانضم للحزب الاشتراكي السويسري كعضو ثوري روسي . ومنذ عام ١٨٩٥ حتى ١٩١٧ أمضى فلاديمير إيليتش أوليانوف الملقب بـ "لينين" سبعة أعوام في سويسرا، توزعت بين جنيف، وبيرن، وزيورخ، مع زوجته ناديجا كونستانتانوفا كروبسكايا، و قام بنشاطات دعائية للاشتراكية وعمل محررا في بعض الصحف الثورية . و في أبريل ١٩١٧ وبعد

سقوط القيصر، عاد لينين إلى موسكو عبر ألمانيا والحرب قائمة مختبئا في قطار شحن يحمل مادة الرصاص.

أما من قام بترتيب هذه الرحلة الخطرة فهو عامل المعادن السويسري "فريتز بلاتن" الذي سيصبح فيما بعد قائد الشيوعية الدولية، والذي سيقتله ستالين في مزارع الكولاك عام ١٩٤٢ ...

٤- العـودة لإيطـاليـا
وحكاية "الملحد الأصيل" !!



■ وذاع صيته بسبب معاداته للقساوسة في مقالاته، التي كان يوقعها باسم "الملحد الأصيل" وكانت لا تخلو من السب والقذف .. وتوسعت نظريته التي كان يؤمن بها في استعمال القوة !!

٤- العودة لإيطاليا
وحكاية "الملحد الأصيل" !!

عاد الشاب بنيتو إلي إيطاليا مرة أخري في شهر نوفمبر ١٩٠٤، دون أن يعلم أن شهرته قد سبقته إلى بلده بسبب المقالات التي كان يكتبها في الصحف . ولكن لم تجر حياته حسبما كان يريد في ذلك الوقت، فحاول الهجرة والسفر إلي نيويورك، كمحرر صحفي، ولكنه أقلع عن الفكرة، فقام بتسليم نفسه للجيش في ٣٠ ديسمبر عام ١٩٠٤، ليلتحق بالفرقة العاشرة من البريزالييري .

وفي اليوم نفسه توفيت والدته، وكان خبر رحيلها أهم الأحداث التي ألمت به منذ عودته إلى إيطاليا، فوالدته كانت تمثل بالنسبة له الصدر الحنون، الذي كان يفيض عليه بالحب والرعاية، وكانت تعني له كل شيء، وراح في تلك الليلة يسترجع كل الذكريات التي جمعته بأمه، وكانت ليلة عصيبة بالنسبة له.

وخلال سنتين من الخدمة العسكرية عاني موسوليني الكثير والكثير، وكانت هذه أصعب المراحل التي مر بها خلال فترة حياته الأولي، وكان يريد معاودة نشاطه السياسي، فقرر ترك الخدمة العسكرية في ٤ سبتمبر ١٩٠٦ ،ولكن لم تساعده الظروف في ذلك الوقت، فعمل كمدرس ابتدائي بسيط الحال، في مدرسة في "تولميتزو" ،

وخلال تلك الفترة كان الشاب موسوليني يقضي معظم وقته في الشراب، و مع النساء، حيث أقام علاقات كثيرة في ذلك الوقت من حياته مع النساء الساقطات، حتى أصبح في تشتت كامل، حتى عام ١٩٠٧، عندما أدرك عدم ملاءمة وظيفته مع طموحاته، واقتنع أن مهنة المدرس لا تناسبه، ولا تتناسب مع قدراته، ومشروعاته، التي يحلم بها ويتمني تحقيقها.

فعاد موسوليني للسياسة من جديد، وبدأ بنشر مقال له في المجلة الاشتراكية الأسبوعية "لاليما، وكان قد ذاع صيته بسبب المقالات التي كان يكتبها في سويسرا، بمعاداته الواضحة فيها للقساوسة، وكان يوقعها باسم "الملحد الأصيل"، كما كانت لا تخلو من السب والقذف ! كما ذكرنا آنفا.

في تلك الفترة توسعت نظريته عن استعمال القوة التي كان يؤمن بها، وصارت أكثر تعمقاً من الناحية النظرية، وقد عبر عن ذلك بقوله : "لدينا تصور مختلف عن الأفكار .. فالأفكار ليست المفاهيم المجردة بل هي القوى الملموسة، وعندما تسعي الفكرة إلى تحقيق نفسها في الواقع لا يتم ذلك إلا من خلال القوة" .

وعندما عاد موسوليني إلي "بريدابيو" في أواخر العام الدراسي ١٩٠٨، وجد إضرابات من جانب عمال اليومية الذين يعملون في الحقول الزراعية، فكانت الفرصة السانحة وشاركهم تلك الأحداث .

وبعد تلك الحادثة راقت فكرة النضال لموسوليني، ومالت نفسه لها، وقُبض عليه في فورلي في يوليو ١٩٠٨ بسبب مهاجمته رجلا كان يحاول أن يعوق الإضراب . وتم الحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر، ثم تم الإفراج عنه وقد ساهمت تلك الحادثة في جعله كثائر متشدد، ولكن تلك الفترة تزامنت مع مشاكله مع والده، الذي تعرف على امرأة في ذلك الوقت، وكان يسعى لفتح حانة في " فورلي " .

وفي ذلك الوقت عمل بنيتو موسوليني سكرتيراً لغرفة العمل المحلية ، ورئيسا لتحرير جريدة "لافينري دل لافوراتوري" في "تورنتو" وهي مدينة في شمال شرق إيطاليا، كانت تحت سيطرة النمسا حتى الحرب العالمية الأولي، وقامت إيطاليا بتحريرها .

وهنا تبدأ مرحلة هامة في حياة موسوليني فيما يتعلق بالنشاط السياسي الذي صار يستحوذ على كل تفكيره ، ويوجهه .

وفي مجتمع تورنتو القاسي كان عليه عند نشر مقالاته المتطرفة والمتشددة أن يتوخى الحذر، و أن تنبني هذه المقالات علي أسس مدروسة ومتينة، حتى لا تجر عليه المتاعب !!

ومن هنا عمل موسوليني على تغيير توجهاته النقابية بشكل لافت ، و عن ذلك قال موسوليني في أحد مقالاته : "أرى نهاية الحركات النقابية بصورتها الحالية، فلا يمكن تركها لفلسفة الفلاسفة، بل يجب على العمال أن يصوغوها بأنفسهم ، وأن يتم تطهير الطبقة العاملة من الممارسات النقابية بالشكل الذي يعمل علي إكسابها لوناً جديداً من وجهة نظري، يؤكد ضرورة اتخاذ الإجراءات الفعالة، أو العنيفة كاستخدام القوة لتحقيق الغرض السياسي" .

وبدأ بنيتو موسوليني في تلك اللحظة الاهتمام بالطبقة البرجوازية الجديدة ذات الوجهين، فدأب علي قراء الجريدتين البرجوازيتين " ليوناردو " .. و " لافوتشي " اللتين قام بتأسيسهما جوسيبي بريتزوليني وجوفاني بابيني .

وعن ذلك قال موسوليني : "علينا العمل علي خلق إيطاليا ثالثة تكون جديدة وتكون قوية وعظيمة تختلف عن إيطاليا الباباوات والأباطرة، أي تكون بمثابة إيطاليا المفكرين، التي لم نرها حتي الآن،، أو فلنجعل الأمور كما هي دون أن نفعل شيئاً" .

وخلال هذه الفترة كان سبب نجاح موسوليني كصحفي هو حصوله علي معلومات وفيرة عن المشكلة الخاصة بمطالب سكان جنوب منطقة "التيرول" الإيطالي الأصل بالانضمام للوطن الأم إيطاليا، والتي كانت السبب في دخول إيطاليا الحرب عام ١٩١٥ .

فقد تحولت صحيفة "لافينيري دل لافورتوري" مع رياسة موسوليني لتحريرها إلى صحيفة نضالية، وارتفع توزيعها وحققت نجاحاً ملحوظاً، فتمت مصادرة أكثر من عدد لها في ذلك الوقت، كما رفعت ضدها أكثر من قضية، و صدرت عدة أحكام قضائية على رئيس تحريرها، وكانت الصحف الكاثوليكية ـ مثل "الترينتينو" التي

كان يرأس تحريرها "التشيدي دي جاسبيري" الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء إيطاليا ١٩٤٦ . أكثر أهداف هجمات موسوليني الكاتب وصحيفته !!

فمثلاً كتب موسوليني متوعداً "دون كيلودي "أحد محرري" الترينتينو" قائلاً: "سأترك بصمات يدي علي رؤوسكم الحليقة، ولن تتمكنوا من إزالتها بسهولة" !!

أما خصوم موسوليني فكانوا يصفونه بـ "الوحش الأحمر الدموي" ، و "آكل لحوم البشر" ، و "مفترس الدين" . وكانت هذه الألقاب غير مألوفة لسكان "تورنتو" ، الذين لم يعتادوا سماعها تطلق علي أحد الأشخاص !!

ومع تصاعد الهجمات ضد موسوليني، والتي كان وراءها الصحفيون الذين يهاجمهم، و رجال الدين الذين كان يسخر منهم على الدوام، قام المحامي العام في تورنتو "ترنكيلليني" بإعداد إجراءات ترحيل موسوليني،عن المدينة، لا سيما بعد تحوله في نظر شباب المدينة لمثال لكل مناضل، رغم مغالاته وتطرفه !!

وفي عام ١٩٠٩ ، تم اعتقاله وكان السبب المعلن لاعتقاله هو الاشتباه به في السطو علي بنك في " تورنتو" ، وسرقة حوالي ٢٥٠,٠٠٠ كرونة، احتجاجا علي زيارة ولي العهد الاستفزازية التي تمت في اليوم نفسه !!

وقامت السلطات بإخراجه من السجن، بعد أيام قليلة، وتم نقله إلى الحدود، وتلي عليه قرار الإبعاد، فعاد إلى "فورلي" !!

خلال تلك الفترة التي كانت حياة موسوليني تعج فيها بالأزمات، تعرف علي راتشيلي جيدي ابنة عشيقة والده، وقضي بنيتو في تلك الفترة معظم وقته في ادخار النقود، حتي يتسنى له الزواج من الفتاة.

ويقول موسوليني عن تلك الفترة : "قمت بالزواج من راتشيلي جيدي في ١٧ يناير دون مراسم دينية أو مدنية وقمنا باستئجار شقة مفروشة لتمضية شهر العسل" !!

وخلال تلك الفترة التي قضاها موسوليني دون نقود، كانت الحياة تدير ظهرها له مرة أخرى، ولا تعطيه ما يريد، وفي هذه المحنة قضى موسوليني أصعب أيامه مع راتشيلي زوجته، التي قاسمته شظف العيش دون تبرم، أو شكوى !!

وكان التيار الاشتراكي في "فورلي" يمر بأزمة حرجة في ذلك الوقت لافتقاده القيادة القوية، التي يواجه بها نفوذ الحزب الجمهوري، وتصدره لأحزاب اليسار الرسمية . و كانت هناك حاجة ملحة لإعادة هيكلة بناء الحزب من البداية، فكانت هذه الفرصة التي ينتظرها موسوليني !

وتولي موسوليني المهمة الجديدة بقليل من صبره المعهود علي الإدارة البيروقراطية للحزب، و كان يرد على من يصفه بإهمال مراجعة ملفات أعضاء الحزب المتناحرين، فيقول : "لن أقوم بوظيفة الباشكاتب أو المصلح .. لن أخسر شيئا لأنني لست من الذين يبحثون عن الزبائن، أو يستجدون أصوات الناخبين، كما أنني لا أستطيع التواجد في عدة أماكن في وقت واحد .. وينبغي علي الفصائل حسم مثل هذه المشاكل الشخصية السخيفة بينها بنفسها .. والكيف أهم من الكم ، ونواة صغيرة متينة ومتماسكة خير من قطيع من المغفلين الخانعين المستسلمين، الذين يتفرقون كخراف الشاردة عند ظهور بوادر أي خطر" !!

في الوقت نفسه، ظل موسوليني على عدائه للدين في كتابته، وإن خفت حدته عن أيام تطرفه في الفترة التي قضاها في سويسرا ، ويظهر ذلك من خلال حديثه أمام تجمع في "فورلي" ، حيث قال : "علينا أن نفرق بين تدين الفرد وطقوس الديانة الجماعية . فالأول يسهل التحقق منه، لأنه موضوع شخصي كما يقول الاشتراكيون الألمان . أما الطقوس فترعاها الكنيسة ، وكنيسة هذه الأيام ليست تجمعا للمؤمنين بل هي مؤسسة طبقية ذات طابع اقتصادي سياسي" .

ثم يقوم موسوليني بنشر مقالة قوية بعنوان "هوس رجل الدين المسيحي الأمين" ، وهو مصطلح ديني لقس تشيكوسلوفاكي نادي بإصلاح وتطهير الكنيسة فكفره البابا وأعدم حرقا!

بعد ذلك قام بنيتو موسوليني بالمشاركة برأيه في الخلاف العنيف، الذي اندلع بين الجمهوريين والاشتراكيين، حول وضع مؤسسات الدولة. إذ كان يعتبر الملكية والجمهورية وجهين للنظام البرجوازي بمضمونيه: القهر، وحرمان المقهورين والكادحين من التملك .

وبدأت شخصية بنيتو في التبلور ليظهر فهمه الذاتي للاشتراكية التي تقلل من شأن الكفاح الاقتصادي، و راح يبرز أهمية الكفاح السياسي، فقرر عدم السماح للماسونيين بالانضمام إلى الحزب لتعارض مبادئهم مع مبادئه، كما أضفي تشدده علي حزب فورلي الاشتراكي، وجعل العنف أهم سمات الحزب !

وعندما بدد مؤتمر الحزب كل آماله في إحياء الحزب بإصلاحه من الداخل، حاول الاستقالة بعد إجراء ليونيدا بيسولاتي زعيم الإصلاحيين في الحزب مشاورات مع الملك أثناء أزمة وزارة لوتزاتي في مارس ١٩١١، وقال موسوليني : "لا نملك إلا الاستقالة من الحزب عندما لا يجرؤ قادته علي التبرؤ من تملق بيسولاتي للملك" .

ولكن موسوليني حرص على عدم تصعيد الانفصال إلى درجة تأسيس حزب بديل، بل استمر في المحافظة علي صلاته بباقي رجال الحزب . وقال : "ليست القضية رفع راية سياسية جديدة، بل حماية راية الاشتراكية من الملونين الذين يلتفون حولها" !!

وتعرض موسوليني في تلك الفترة إلى خطر التحول إلى مجرد محرض معزول في صفوف الأقلية لقلة خبرته بأساليب المؤتمرات، ولم يخرجه من هذا إلا نشوب الحرب الإيطالية على ليبيا مما أتاح له فرصة الظهور مرة أخري كمعارض، رغم أنه فيما بعد سيكون أبشع زعيم دولة محتلة في سحقه للمقاومة الليبية !!

وجد موسوليني الحرب فرصة له لتصعيد عدائه القديم للعسكريين بوصفه الحرب على ليبيا بأنها "غير وطنية"، وكتب : "لن نهرع إلى الحدود عند قيام الحرب، بل سوف نذهب إلى الداخل لنبدأ الكفاح" .

وقال : "إننا نترقب الأحداث بارتياح لأن الحرب عادة ما تمهد للقيام بالثورة ".

وبالفعل فقد قام الاشتراكيون والجمهوريون بإشعال فتيل مقاومة الحرب. ويصف بنيتو موسوليني ساعات الثورة بقوله : "لقد أصبح الشعب المطحون والمحتقر مسيطرا علي شوارع وميادين البلد، دون منازع لمدة يومين، فلقد مل العمال الاشتراكيون الصبر، وكل ما نريده عامان علي الأقل من الدعاية الجيدة، لدفع جماهيرهم إلي إحداث الشغب، الذي يؤدي في النهاية إلي التغيير".

وبذلك تم القبض على موسوليني مرة أخري والجمهوريَين : بي يترونيني، وأوريليو لولي، وحكم عليهم بالسجن عامين، ثم بعد ذلك خففت العقوبة بعد استئناف الحكم وخرجوا من السجن في عام ١٩١٢.

وبعد ذلك تم التحضير لمؤتمر "ريجيواميليا" والذي تمكن فيه الحزب الاشتراكي من استمالة الأحزاب المتطرفة ، فعاد موسوليني إلي الحزب الأم ومعه فصيل فورلي.

وكان لظهور بنيتو موسوليني في ذلك المؤتمر تأثير كبير وقوي، فتحدث موسوليني في هذا المؤتمر، وتلاعب بجميع المشاعر من فرط حماسته وانفعاله واستمال الطبقة العاملة إليه!!

وقد أثمر هذا النجاح الباهر لموسوليني عن فوزه برئاسة تحرير "الأفانتي" جريدة الحزب الاشتراكي الرسمي بناء علي الاقتراح، الذي تقدم به كونستانتينو لاتزاري، عند اجتماع قيادات الحزب في شهر نوفمبر عام ١٩١٢ .

وهكذا تمكن بنيتو موسوليني عند بلوغه التاسعة والعشرين عاماً من بلوغ طموحاته الكبيرة التي أراد تحقيقها .

وقد عاشت راتشيلي زوجة موسوليني معه كل هذه الأحداث، وقاست معه الأمَرَّين، وساندته بكل قوتها، ومع ذلك فلم يبادلها حبّاً بحب، وإخلاصاً بإخلاص، فقد عرف بنيتو موسوليني بكثرة علاقاته النسائية في تلك الفترة، والتنقل من امرأة لأخرى ،

فتحول إلي قصة حب مع "ليدا رافانيلي"، التي كان يمضي معها الوقت، وهو هائم بها، في علاقة كانت غريبة في هذه الفترة علي بنيتو موسوليني، ثم تحول إلى علاقة أخرى مع امرأة تدعي "بايدا دالسر"، اتخذها عشيقة بعد علاقة الحب العابر بينه وبين ليدا رافانيلي، و أسفرت هذه العلاقة عن أولاد بنيتو موسوليني، مما حمل زوجته وابنتهما "أيدا" وحماته علي الانتقال إلى ميلانو !!

ولقد نجح موسوليني - ببراعة - في تلك الفترة في جني ثمار نشاطه السياسي، في الوقت الذي أفشل فيه حياته الأسرية بنفس البراعة !!

وهكذا كانت علاقاته النسائية هي النقطة الأضعف في شخصيته، فبعد زواجه من راتشيلي ابنة عشيقة والده لم ينجح في تكوين أسرة متماسكة، فبعد زواجه وإنجاب راتشيلي منه، لم يدم الاستقرار الأسري لذلك الرجل طويلاً بسبب علاقاته الغرامية !!

٥- أسبوع يونيو الأحمر



■ وبعد أحداث يونيو الأحمر انحاز موسوليني إلى برنامج البرجوازية الهادفة إلى تكريس السلطة. وتوجَّه نحو صفوف شباب هذه البرجوازية، بينما زاد احتقاره للجماهير. ولم يجد غضاضة في أن يقول علانية: "إننا لا ننتظر من الشعب الذي استبدل المحراث بالبندقية، إلا الطاعة العمياء"!!

٥ - أسبوع يونيو الأحمر !

عندما أعلنت إيطاليا عام ١٩١١ الحرب على تركيا وتحركت لغزو ليبيا، قاد موسوليني ككل الاشتراكيين، مظاهرات ضد الحرب وحوكم وسجن عدة أشهر، وبعد إطلاق سراحه رحب به الاشتراكيون وعينوه من جديد رئيسا لتحرير جريدتهم الوطنية "إلى الأمام".

ثم فجأة ودون مقدمات أو مشاورات مع قيادة الحزب الاشتراكي نشر موسوليني مقالا في الجريدة يطالب فيه إيطاليا بالدخول إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، فطرد من عمله والحزب واتهم بالخيانة، وقد فسر هذا التحول بأنه قبض مبلغا سريا من الحكومة الفرنسية.

بدأت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وقد دخلت إيطاليا الحرب حيث قضى موسوليني عامين بالجيش، و بعد انتهاء الحرب كانت إيطاليا تشهد كثيرا من المشاكل : لم يكن العمل متوفرا للجنود العائدين من الحرب .. والأسعار مرتفعة .. ولم يكن باستطاعة الفقراء شراء حوائجهم .

وكانت هناك الإضرابات في المدن، وتشكلت العصابات من الفقراء، وبدأت بحرق بيوت الأغنياء . وكان الجميع خائفا من شيء مًّا سيحدث .

وقد استشعر موسوليني مزاج الشعب، وحالته النفسية . وكان يرى غضب الجنود. ولم يكن موسوليني راضياً عن حياة الفقراء، وكان يريد تغيير الحياة في بلاده، وكان يؤمن بأن العنف هو السبيل الوحيد لتحقيق ذلك .

وفي نفس العام، حدث صدام عنيف بين الجيش والشعب بسبب تفريق مظاهرة، سرعان ما تحول تدريجياً إلى انتفاضة شعبية .

وكان المعسكر الاشتراكي يعاني من التخاذل والعجز، ولكن كان جناحه الثوري يتطلع إلى قيام ثورة منذ زمن كبير، ولكن سرعان ما أثبتت أحداث يونيو عدم ملاءمة الوقت بعد لقيام هذه الثورة . وأصبحت الطبقة العاملة – تدريجيا – معزولة، وأدى ذلك إلى زيادة المتعاطفين معها، والبحث عن قائد قوي الشخصية، ليتزعمها، ويقودها للتغيير المنشود .

وقام موسوليني بنشر تعليقه علي أحداث أسبوع يونيو الأحمر في عدد يوليو من مجلة "يوتوبيا" التي تأسست في نوفمبر ١٩١٣. واتسمت مقالاته بالدعوة للانتفاضة الشعبية .

وكتب بإحدى مقالاته يقول. تحت عنوان : "من الحياد التام الي الحياد الايجابي والاستراتيجي" : "إن تجنب الحرب لا يأتي إلا بقيام ثورة تعمل علي إسقاط الدولة" .

ولأن موقف موسوليني شابه التناقض. حيث رأى أنه ما دام الشعب لا يثور لتغيير النظام فعليه تأييد دخول الحرب !! . فقد أوصي فصيل ميلانو بطرده من الحزب الاشتراكي، فقرر موسوليني التخلي عن المبادئ الاشتراكية، وأصبح معزولا بسبب الشكوك التي كانت تحوم حوله و حول تمويل جريدته ، وفقد موسوليني تعاطف من حوله بسبب تحوله المفاجئ إلى تأييد أهداف العدو الطبقي الاستراتيجي .

واتجه موسوليني إلى البرجوازية الهادفة إلى تكريس السلطة. فكانت خلافاته هامشية مع برنامجها، وتوجه نحو صفوف شباب البرجوازية، التي تطالب بالتعاون الطبقي، كما أخذ عليه مدحه البرجوازية بينما زاد احتقاره للجماهير، وقوله في مقال له: "إننا لا ننتظر من الشعب الذي استبدل المحراث بالبندقية إلا الطاعة العمياء" !!

وزاد تقارب موسوليني مع الطبقة البرجوازية خلال تلك الفترة، التي تغيرت ظروفها بالنسبة له بتغير الظروف، التي وضع بها، فلقد مر موسوليني في تلك

الفترة بسبب تجنيده بأحداث هزت وجدانه، فرأى الحرب وشاهد القتلى والجرحى والمعذبين بويلات الحروب والفارين من التجنيد، فمنهم من كان يشوه نفسه للهروب من الخدمة العسكرية، ومنهم من يهرب من الميدان .. وعن هؤلاء قال إنهم : "نفوس ساذجة وبريئة تتقبل أمر الحرب علي عاتقها، وكأنه أمر لا مفر منه" !

وعند قيام الجيش النمساوي باجتياح وادي نهر البو ، وجه موسوليني الجديد نداء إلى الشعب للمقاومة، تتخلله الوعود الغوغائية وعبارات النفاق فقال : "لابد من إعطاء الفلاحين أرضا حتى نضمن تماسكهم مع أفراد الأمة .. إنه الثمن الاجتماعي للحرب، الذي نطالب بدفعه حتى نحيي روح المقاومة في نفوس سكان الريف" !!

ثم يتحول في مقال آخر له فيقول : "لن نقيم أي وزن لحرية الفرد بل سنزيح هذا العائق من طريقنا".

وطالب بحل البرلمان ، وفرض الرقابة علي الصحافة، وتوحيدها حتى يتمكن الجيش الإيطالي من إيقاف الزحف النمساوي" !!

وفي أغسطس عام ١٩١٧ ، تغير عنوان جريدة موسوليني من "جريدة اشتراكية" ليتم وضع عنوان "جريدة المناضلين والكادحين" .

وفي ذلك الوقت كانت الفاشية على أيدي موسوليني قد أصبحت حركة سياسية منظمة، و بعد فشله في انتخابات ١٩١٩ ، تمكن موسوليني من دخول البرلمان في عام ١٩٢١ ، و شكلت الفاشية فرقا مسلحة من المحاربين القدامى سميت "سكوادريستي" لإرهاب الفوضويين والاشتراكيين والشيوعيين.

وزحف موسوليني بتظاهراته الكبرى التي شارك فيها نحو أربعين ألفا من أصحاب القمصان السود، الذين جاءوا من مختلف المدن الإيطالية، ليصل بمسيرته الكبرى إلى روما المهترئة عام ١٩٢٢.

وهؤلاء – أصحاب القمصان السود – الذين لم يكن لهم أي وجود غداة الحرب العالمية الأولى، إذا بهم يصل تعدادهم إلى عشرات الألوف من المضللين، الذين

يحملون هوية الحزب الذي شكله موسوليني، وينعمون بالامتيازات، وسط أوضاع متردية سياسيا واقتصاديا، مكنت موسوليني ـ الذي تحول من الاشتراكية إلى الفاشية ـ من جعل حزبه بديلا لدولة لم تعد ذات وجود، ومكنته من القيام بحملة ديماجوجية، حرك من خلالها الغرائز المتطرفة لعدد كبير من العاطلين عن العمل من الجنود المسرحين، ومن ذوي السوابق الإجرامية، ومن فلول عصابات الجريمة المنظمة، فجعل لهم أيديولوجية متعصبة حد التطرف، ليملأ الفراغ السياسي والأيديولوجي والروحي المأزوم بسبب الهزيمة المريرة في الحرب العالمية الأولى !!

ونتيجة لعدم تدخل الحكومة، تفاقمت الأوضاع فقام موسوليني، مقابل دعم مجموعة من الصناعيين، بالموافقة على استخدام قواته في كسر الإضراب ووقف الانتفاضات الثورية .

وعندما فشلت الحكومات الليبرالية، التي ترأسها جيوفاني جيوليتي، ويفانوي بونومي، و ويجي فاكتا، في وقف انتشار الفوضى التي أشعلها موسوليني، استجابت له بطريقة سحرية في البداية، وعاد العمال لمصانعهم، والطلاب إلى مدارسهم، وبدأ الدوتشي رحلة للسيطرة على السلطة بحيث أصبح في النهاية الحاكم الوحيد الذي لا يخضع إلا للملك.

ففي ٢ أكتوبر، وأثناء احتفال بمدينة نابولي الجنوبية، صرخ موسوليني : "إما أن تعطي لنا الحكومة ما نريد، أو سنأخذ حقنا بالمسير إلى روما وتوجيه الحشود إلى روما" ..

وبعد تنظيم الفاشيين لمظاهرات و مسيرات التهديد "مارسيا سو روما" –مسيرة روما– توجه ١٤,٠٠٠ فاشي إلى روما بالقطارات والحافلات، ونتيجة الذعر الذي شعرت به الحكومة عُرض على موسوليني منصب وزير في الحكومة، وناشد رئيس الوزراء الملك إعلان حالة الطوارئ، لكن الأخير رفض .

ودعا فيتوري مانويلي الثالث ملك إيطاليا موسوليني لتأليف حكومة جديدة، وكان عمره – آنذاك – ٣٩ سنة، ليصبح أصغر رئيس وزراء في تاريخ إيطاليا في ٣١ أكتوبر ١٩٢٢ .

وفي كتابه "إيطاليا في عهد موسوليني: الحياة في ظل الديكتاتورية" الصادر عن دار بنجوين في عام ٢٠٠٦، يتحدث مؤلفه المؤرخ البريطاني ريتشارد بوسورثي عن الحياة السياسية والاجتماعية في إيطاليا إبان المرحلة الفاشية. . فيقول : " لقد ظهرت الفاشية على مسرح السياسة الإيطالية بكل عنف في بدايات القرن العشرين، ولكنها ظلت ظاهرة هامشية حتى عام ١٩٢٠، وكانت الحركة في بداياتها غامضة أو ملتبسة. ولم تتضح معالمها السلبية الديكتاتورية إلا لاحقا.

والواقع أن موسوليني كان قد دعا إلى عقد أول مؤتمر للفاشيين في الحادي والعشرين من شهر مارس عام ١٩١٩. وخلص الاجتماع إلى تشكيل الحزب الفاشي. وكانت أفكار هذا الحزب مشكلة من عدة أنواع ، ففيها نجد العصبية القومية الإيطالية، وفيها نجد النزعة الاشتراكية التي تهتم بالعمال والطبقات الشعبية، وفيها نجد أيضا التوجهات الفوضوية والعدمية. باختصار فإن الحزب الفاشي كان خليطا من عدة تيارات ومذاهب أيديولوجية ولم يكن منسجما في البداية ولا موحدا ولا واضح المعالم تماما.

وأكبر دليل على ذلك سيرة زعيم الفاشية الإيطالية نفسه، أي موسوليني، فهذا الشخص المولود عام ١٨٨٣ كان يجمع في شخصه بين عدة تيارات . فقد كان في البداية نقابيا ثوريا قريبا من الماركسية ثم أصبح لاحقا قوميا شوفينيا متعصبا جدا للقومية الإيطالية.

وقد ولد في بيئة فقيرة متواضعة جدا، وما كان أحد يتوقع له كل هذا المجد! ما كان أحد يظن أنه سيصبح زعيم إيطاليا الأوحد لاحقا، وذلك لأن القادة السياسيين الإيطاليين كانوا ينتمون إلى طبقات برجوازية وغنية في معظمهم، ولم

يقبلوا بموسوليني إلا مؤقتا لكي يخدم مصالحهم. واعتقدوا بأنهم قادرون على التخلص منه لاحقا، ولكنهم كانوا واهمين، فهو الذي تخلص منهم واحداً واحداً وحكم إيطاليا بيد من حديد سنوات طويلة، أي حتى سقوطه بعد هزيمة دول المحور في نهاية الحرب العالمية الثانية ضد الحلفاء" .

ثم يردف المؤلف قائلا: "والواقع أن وصول الفاشيين إلى السلطة في إيطاليا كان ناتجا عن عدة عوامل. صحيح أن إرادتهم الحديدية وأساليبهم الإرهابية ساهمت في وصولهم إلى قمة السلطة، ولكن ينبغي ألا ننسى أن الملك كان ضعيفا لا يستطيع مواجهتهم، وأن الدولة كانت قد أخذت في التفكك والانهيار. في هذه اللحظة بالذات قفز الفاشيون على السلطة وأمسكوا بها جيدا، وكان ذلك عام ١٩٢٢ عندما أصبح موسوليني رئيسا للوزراء وعمره أقل من أربعين عاما.

وفي البداية حاول موسوليني أن يظهر كسياسي معتدل يحترم الدستور. لماذا؟ لأنه كان لا يزال ضعيفا، ويمكن للطبقة السياسية الليبرالية أن تقضي عليه إذا ما شعرت بأنه يهدد السلام المدني أو المبادئ الديمقراطية التي قامت عليها الدولة الإيطالية، بصفتها دولة أوروبية حديثة تحترم الدستور والتعددية الفكرية والسياسية، وتعتمد على المشروعية البرلمانية. ولكن عندما تمكن من الأمر وترسخت أقدامه في السلطة راح يحذف خصومه واحداً واحداً ويقضي على الطبقة السياسية الليبرالية برمتها.

وهكذا استطاع أن يفرض النظام الفاشي الديكتاتوري المطلق على البلاد، وأدى ذلك إلى خنق الحريات في إيطاليا وإرهاب الناس، وعاشت البلاد عندئذ ظروفا عصيبة، وعمّ الخوف الناس. فلم يعد أحد يستطيع أن يعبر عن آرائه السياسية بحرية، نقول ذلك ونحن نعلم أن الأيديولوجيا الفاشية تقوم أساسا على عبادة الزعيم الأوحد وعلى تقديس الهيبة العليا للسلطة والخضوع لها بشكل كامل من قبل الشعب. ومن لا يخضع تتم تصفيته جسديا إذا لزم الأمر.

وهكذا أصبح النظام الفاشي مفروضا على إيطاليا بدءًا من عام ١٩٢٥ بعد أن ألغي البرلمان والانتخابات الديمقراطية الحرة في البلاد. فالديمقراطية هي ألد أعداء الفاشية.

واستمرت الفاشية تحكم إيطاليا حتى عام ١٩٤٥ تقريبا، أي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية وسقوط هتلر وموسوليني على حد سواء. وكان ذلك يعني نهاية الفاشية والنازية معا وعودة أوربا إلى الديمقراطية الليبرالية البرلمانية.

وراح موسوليني يطهّر جهاز الدولة من كل العناصر الجيدة التي لا تؤمن بالفاشية أو لا تقدم السمع والطاعة للحزب الفاشي الحاكم. وسيطرت الثقافة الفاشية على عقول الناس، وهي ثقافة تقوم على تمجيد الفحولة والرجولة والعنف والعصبية القومية الشوفينية وكره النقاش الديمقراطي والتعددية.

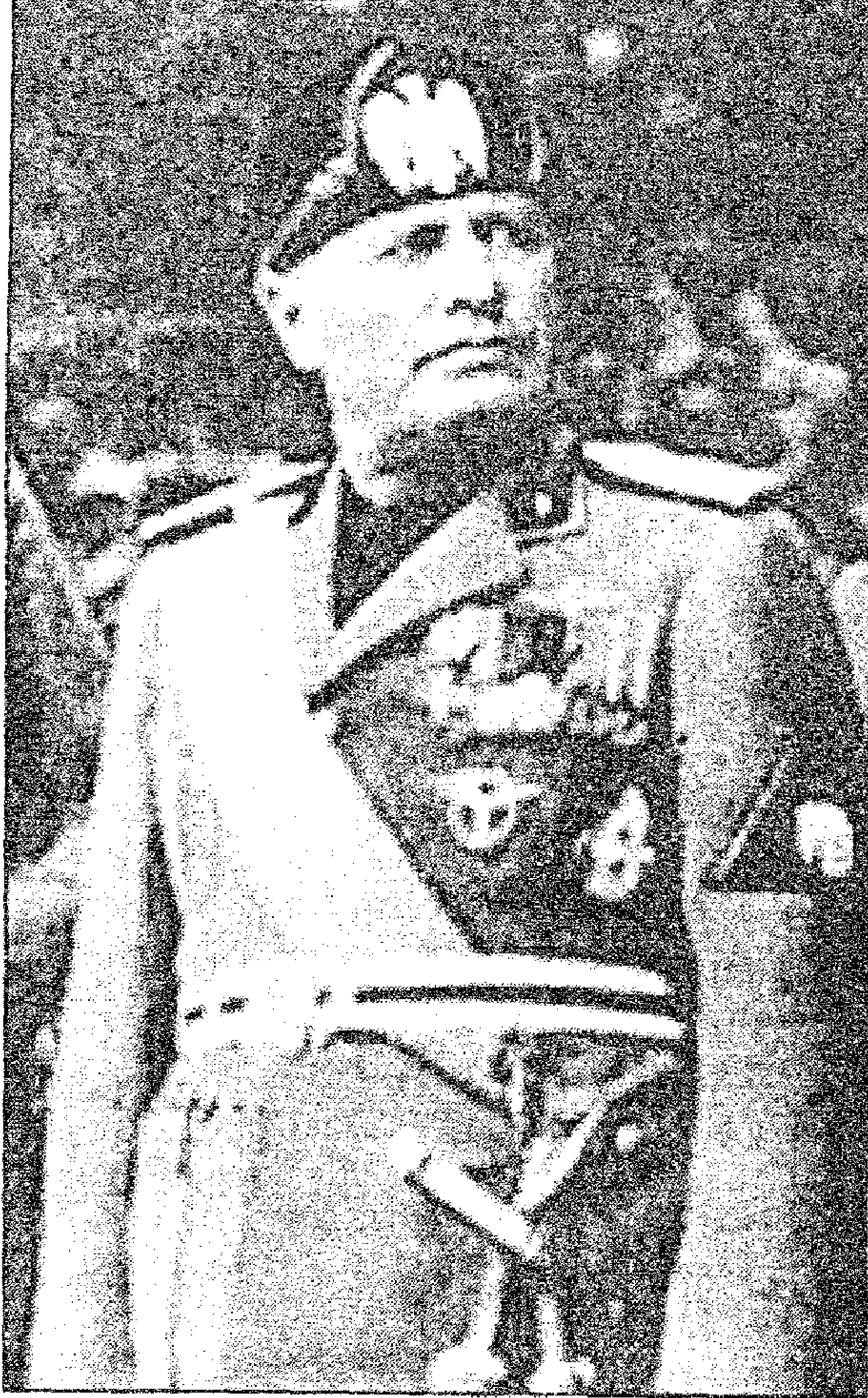
كما أنها ثقافة تقوم على فرض الرأي الأوحد على الجميع وكُرْه كل القيم الليبرالية القائمة على التسامح وحق الاختلاف في الرأي والمناقشات البرلمانية. فالفاشيون يعتقدون أن هذه المناقشات مضيعة للوقت، وبالتالي فلسنا بحاجة إلى برلمان ولا ديمقراطية ولا يحزنون. وهكذا سيطرت الديماجوجية الغوغائية على إيطاليا.

وكان الفاشيون يقولون: نحن بحاجة إلى زعيم قوي لا يتردد عن سفك الدماء لفرض هيبته وسطوته على الجميع. وكلما كان عنيفا قويا مرعبا خاف الناس منه وتعلق الفاشيون به. وعلى هذا النحو حكم كلٌّ من موسوليني وهتلر".

ثم يؤكد المؤلف أنه على هذا النحو أيضا اختفت السياسة العقلانية التنويرية من إيطاليا وحلت محلها الثقافة الاستبدادية والمغامرة "إن لم نقل المتهورة". واضطر معظم المثقفين للخضوع لموسوليني وحزبه الفاشي، بل إن بعضهم فعل ذلك عن طيب خاطر معتقدا بأن الفاشية هي مستقبل إيطاليا، لأنها أيديولوجيا جديدة تضرب على وتر الغرائز القومية والعصبيات الشوفينية الضيقة. كما أنها تقوم على النزعة الشعبوية لا الشعبية لأنها ديماجوجية غوغائية.

وهكذا خسر الشعب الإيطالي الكثير من قِيَمه الراقية وتحول إلى شعب مستعبد يصفق للديكتاتور إما حبا له أحيانا، وإما خوفا منه في أكثر الأحيان. ولم يتحرر هذا الشعب الذي صنع النهضة الأوربية إلا بعد سقوط الديكتاتورية أو الفاشية، التي لم تكن إلا فاصلا قصيرا في تاريخه الطويل العريض. فالواقع أنها لم تستمر إلا عشرين سنة أو أكثر قليلا. بعدئذ عادت إيطاليا إلى الديمقراطية والحرية من جديد.

٦ - الدوتشي فوق الدولة والقانون!!



■ وقالها موسوليني مدوية : لابد لي من الاستمرار في حكم إيطاليا عشرة أعوام أخرى لأن خليفتي لم يولد بعد.. ورد عليه سكرتير حزبه : إن الدولة اليوم، يا سيادة الرئيس، ليست سوي الإيمان بموسوليني لأننا لم نصل إلى مرحلة تمنح فيها الدولة القوة للإنسان، بل مازال الإنسان هو الذي يمنح الدولة قوتها، ولنا أن نتصور ما يمكن أن يحدث لو اختفي هذا الإنسان !!

٦- الدوتشي فوق

الدولة والقانون !!

ذكر الروائي الإيطالي الأشهر ألبرتو مورافيا عن موسوليني واقعة مهمة تبين إلي أي مدي بلغت قوة و سطوة و جبروت موسوليني ..

يقول مورافيا :"كان موسوليني مغرما بالتفاخر بأساطيله الجوية والبحرية وبجيوشه الكبيرة. زرته في أحد الأيام تلبية لدعوته إلى تناول القهوة معه، فقضيت ساعتين عنده وهو يحدثني عن عظمة طاقاته الحربية. ثم أشار إلى لوحة فوق مكتبه عليها مجموعة أزرار وقال لي بلهجته الخطابية المعهودة : إن ضغطت على هذا الزر تحرك أسطول بحر الأدرياتيك . وان ضغطت على هذا الزر حلقت الطائرات فوق المغرب . وإن ضغطت على هذا الزر تحركت الجيوش في الحبشة، وإن ضغطت على هذا الزر .. وهنا قاطعته، وكنت قد انتظرت طويلا وصول فنجان القهوة، وقلت : ولكن أي زر تضغط، يا سيادة الرئيس، لتطلب فنجانا من القهوة ؟" .

لقد أصبح بنيتو موسوليني ، أقوي السياسيين الذين عرفتهم إيطاليا في تاريخها كلها، بحكم منصبه، كرئيس للحكومة ووزير للداخلية والخارجية وكقائد للجيش والطيران والبحرية ورئيس للحزب وزعيم للفاشية . وأصبح موسوليني رئيس دولة بلا منازع .

عندما عُين رئيسا للوزراء عام ١٩٢٢ ، استبشر الإيطاليون به خيرا، حيث راهنوا على مدى الإصلاحات التي ستخدم إيطاليا في عهده.. لكن سرعان ما ظهرت شخصيته الحقيقية، وبرزت ديكتاتوريته دون مواربة..

إذ تولى سبع وزارات هامة وجمع السلطات الثلاث في يده، وأخذ شعوره بالسلطان يتزايد يوما بعد يوم، فقضى على معارضيه، وانتشر الفاشيون في إيطاليا يرتكبون المذابح ويقمعون كل صوت للمعارضة .. ونشأت فرقة "القمصان السود" البشعة، التي قتلت الآلاف من المعارضين في السجن بتجريعهم زيت الخروع الممزوج بالبترول!!

أما حياة الدوتشي الخاصة، فقد كانت مثالا للخلاعة والاستهتار، وتعددت علاقاته النسائية التي كان يجاهر بها دون أدنى حياء، حتى إن عشيقته ""كارلا بيتاتشي" كانت تتردد عليه علنا في قصر البندقية، وأخذ نفوذها داخل البلاد في التزايد، حتى أصبحت هذه العلاقة الآثمة مثار الأقاويل في كل أنحاء إيطاليا، وتمكنت كارلا من تعيين أفراد أسرتها وأهلها في مراكز مرموقة، برغم أن والدها كان الطبيب الخاص بالبابا!!

وتصف لنا المراجع والمصادر كيف كان يقيم علاقات جنسية لحظية مع زوجات كبار رجال الحزب وسيدات الطبقة الراقية والصحفيات الأجنبيات، حيث كان يضاجعهن على أريكة حجرية أسفل نافذة غرفة مكتبه العالية في قصر البندقية..

اعتُمدت ديكتاتورية الدوتشي الشخصية بصدور قانون ١٨ نوفمبر ١٩٢٥، الذي ينص على واجبات وامتيازات رئيس الحكومة، والذي تحول منصبه إلى المصدر الرئيسي للدولة!!

وما مرت أشهر حتى صدر قانون يسمح للسلطة التنفيذية بإصدار التشريعات، وأصبحت بذلك قرارات موسوليني لا تخضع لأي رقابة، ولم يعد خاضعا إلا للملك، رسميا!!

وفي أبريل ١٩٢٦ تعرض الدوتشي لمحاولة اغتيال، حينما أطلقت عليه عجوز أيرلندية النار، فأصيب بجرح سطحي في أنفه، وفي سبتمبر التالي ألقيت قنبلة

يدوية على موكبه، نجا منها، وقد استغل الحادثين في تقوية سلطانه، ففي نوفمبر ١٩٢٧ أعلن فصل ١٢٣ نائبا معارضا من البرلمان، وبعدها بأيام أصدر قانون "حماية الدولة" الذي ينص على إعدام كل من يحاول اغتيال رئيس الحكومة، وبلغ عدد أفراد الشرطة السرية سيئة السمعة (ovra) مائة ألف رجل، ومنذ ذلك الحين انتشرت أعمال القمع والوحشية في طول البلاد وعرضها.

ولتثبيت أقدامه في مقعد الحكم ألغى موسوليني نظام الانتخاب عند شغل الوظائف والمناصب، وبات التعيين حسب أوامره الشخصية مما أصاب إيطاليا بالشلل السياسي، وبدأت قوانينه الخاصة يعمل بها دون معارضة.

واهتم بالدعاية لنفسه، فتراه بملامحه العابسة ونظراته الحادة في كل الصحف والجدران، وعمل علي إظهار شخصيته وأسطورته ، فقام بأدوار مختلفة ،ونشرت له صور في هيئة طيار أو زارع القمح ، أو أديب أو فيلسوف أو رياضي ...وكان موسوليني يتقمص أدوارهم ، ويتعامل مع الأدوار بجدية شديدة، فيضع علي رأسه القبعات المختلفة، أو يجعلهم يصورنه وهو عاري الصدر ، وكان يحب الاستعراض والتفاف الجميع حوله والقيام بتحيته علي أنه أسطورة.

وكان موسوليني يعتبر الفاشية أداة ثانوية مهمتها الأساسية تخليد أسطورته، فكان يكرر دائما : "كنت في البداية أقول إن الفاشية ، سوف تستمر حوالي عشرين عاما و أما اليوم فأقول إن القرن العشرين سوف يكون قرن الفاشية" .

وكان المقصود بالفاشية هو بنيتو موسوليني، الذي قال في إحدى الاحتفاليات "لابد لي من الاستمرار في حكم إيطاليا عشرة أعوام أخري لأن خليفتي لم يولد حتى الآن" .

فقال له سكرتير الحزب فاريناتشي "إن الدولة اليوم يا سيادة الرئيس ليست سوي الإيمان بموسوليني،لأننا لم نصل إلى مرحلة تمنح فيها الدولة القوة للإنسان،

بل مازال الإنسان هو الذي يمنح الدولة قوتها ،ولنا أن نتصور ما يمكن أن يحدث لو اختفى هذا الإنسان" .

كان كل ما يشغل الدوتشي هو الحفاظ علي السلطة التي وضع يده عليها، فعمل على ألا يظهر رأي آخر أو أن يشاركه أحد في صنع القرار، كما كان يكره الخلافات السياسية وكان فرديا في تعامله مع الحكم، فكان يصف مهمة الحزب بأنها "رسالة تبشيرية أكثر من كونها ممارسة للسلطة" ويقول: "إن الحزب بجمهوره العظيم وأعضائه يؤيدون سلطة الدولة ويؤمنون بها إيمانا عميقا" .

وكان يلبس ثياب الناصح الحكيم ، فنراه ينصح للصحافة "تجنبوا الكتابة عن كل ما يضر بالنظام واكتبوا عن كل ما يقوم بالمحافظة عليه ، الصحافة تخدم النظام عندما تساهم من خلال عملها في كل ما يؤيده و يقوم بالمحافظة عليه" .

وكان موسوليني يرفض المثقفين تماما فيقول : "إذا كان للمثقفين أن يقوموا بتنفيذ ما تعلموه في الجامعات ، وإذا كان كل ما يقومون به هو التجريح والنقد، فإني أقول لهؤلاء بكل صراحة إنني أفضل بعضا من السكادريستي علي أستاذ جامعي عاجز ، كما أنصحهم بسرعة ابتلاع ثقافتهم أو لفظها من أجوافهم بسرعة كبيرة"..

كان كل ما يشغل باله هو أن يفقد النظام الفاشي أي طابع سياسي ليصبح أداة لتنفيذ رغبات النظام، وساعد في تحقيق دوافعه السياسية جهاز الدعاية الجبار، الذي برز نشاطه أثناء أزمة ١٩٣٠، فيقول موسوليني "إن من حسن الحظ أن الشعب الإيطالي لم يتعود إلى الآن علي تناول أكثر من وجبة في اليوم ، وأنه لا يشعر بالحرمان مثل غيره لتواضع مستوي معيشته. وإن الطبقات الغنية وحدها هي التي لا تكف بأنانيتها البشعة عن الغضب والصراخ لأن الأسرة فيها لا تملك إلا سيارتين" .

بعد اعتلائه الحكم بدأ التناقض يظهر في شخصيته الجديدة ، وتوالت بعدها نداءاته بتطهير الحزب من فلول الليبرالية وأصحاب المهن الحرة من البرجوازية،

وكلف سكرتير الحزب جوارتي بالتخلص من هذا العبء الذي لا فائدة من ورائه والذي يعوق مسيرة الحزب.

وكان موسوليني يستعمل الجماهير كمجرد أدوات يتحكم بها هو للأغراض السياسية التي يتبناها، داعيا لإحياء الإمبراطورية الرومانية التي يريدها ويطمع في تحقيقها . فتكرر ظهوره في التجمعات الكثيفة والمظاهرات في الساحات ليخطب في الناس ويشعل حماسة الشعب

وكانت بعض الطبقات الأخرى تراقب من بعيد ما يدور وما يفعل موسوليني، فكانت تأخذ موقف الجماهير هي أيضا.

وكانت الأدوات التي يستخدمها بنيتو موسوليني. غير التجمهر والدعاية. كثيرة.، منها الشرطة السرية "الأوفرا" (ovra)، ووزارة الثقافة الشعبية، والمليشيات، وأساتذة الجامعات ، والحزب، والصحافة .كما عمل على رفع كفاءة جهاز القمع، وذلك لتوفير كافة وسائل الدفاع عن سيطرة حزبه، الذي كان يقوى كل يوم أكثر من اليوم السابق، في الوقت الذي كان يعمل فيه موسوليني علي إنشاء أدوات أخري أكثر قوة و بطشاً، ليحمي السلطة التي حصل عليها !!

وإذا كان هناك إجماع بين المؤرخين السياسيين على أن موسوليني يأتي في مقدمة طابور الطغاة الذين نكبت بهم البشرية، ودفعت ثمن اندفاعاتهم الشيطانية ، فإن هناك إجماعاً أيضاً على أنه نموذج متقن للشخصية عندما تتعرض بفعل ما عايشته في طفولتها المبكرة من ظروف فتأخذ مساراً غير طبيعي في حياتها، مساراً مدمراً لمن حولها، و كلما امتلكت هذه الشخصية بعضاً من السلطة بطشت بمن هم دونها، أما إذا صعدت إلى قمة السلطة فالأمر – وقتذاك – ينذر بكارثة . وما موسوليني و هتلر و ستالين و من قبلهم نيرون و كثيرون غيرهم، ما هم إلا أمثلة على الدور الذي تلعبه الطفولة و التنشئة في صنع الطغاة !!

لقد عانت البشرية كثيراً من هؤلاء الطغاة من الحكام المرضى نفسّياً، أو مضطربي الشخصية، أمثال موسوليني، ومات الملايين من البشر ضحايا لسلوكياتهم غير الآدمية .

لقد دفعت سيرة موسوليني البعض لكي يقترح بأن تكون هناك رقابة طبية ونفسية على زعماء العالم من قبل هيئة طبية دولية تتبع الأمم المتحدة، وتكون وظيفتها الاكتشاف المبكر للأفكار المرضية، أو الاتجاهات المضطربة لدى من بيدهم مقاليد الأمور، والتي قد تدفعهم إلى سلوكيات خطرة، يدفع العالم كله ثمنها .

ويبرر أصحاب هذا الاقتراح، الذي قد يثير استغراب البعض مطلبهم بأنه إذا كان من يطلب التصريح برخصة سلاح يتم عرضه على طبيب نفسي للتأكد من سلامته النفسية، وهو لن يحمل أكثر من مسدس أو بندقية، فمن باب أولى أن يتم التأكد من السلامة النفسية لمن يملكون مفاتيح ترسانات الأسلحة خاصة في الدول التي يتسم فيها الحكم بالفردية.

ولكيلا تدفع البشرية ثمن خطايا مثل هذه الشخصيات في المستقبل يجب أن نعرف جميعاً معالم تلك الشخصيات التي كان يجسدها موسوليني، وعلامات الإنذار المبكر فيها كيلا نشارك في صنعها أو دفعها إلى صفوف القيادة فتأخذنا إلى حيث النار والدم.

وإذا عدنا إلى النشأة الأولى لشخص "مثل موسوليني" نجد أنه قد عاش طفولة مضطربة تتسم بصعوبة إقامة علاقة ثقة دافئة مع أهم شخص في حياته و هو الأب!!

وفي هذا الجو الأسرى المضطرب الخالي من الحب والثقة تعلم موسوليني أنه لا أمان ولا ثقة ولا حب، وأن العالم المحيط به يتسم بالعدوانية والقسوة ولا مكان فيه إلا للقوى المسيطر المستبد.

وقد تعلم أيضاً أن التعاون مع الآخرين غير مُجدٍ وألا يعطى ثقته لأحد، ومن هنا تنشأ جذور استبداده برأيه واستخفافه بكل من عداه، فهو وحده الذي يملك الحقيقة المطلقة.

وهذا الشخص حين يكبر يكون بالغ الحساسية لأية كلمة أو إشارة تصدر من الآخرين (حتى ولو بدون قصد)، ويعطيها تفسيرات كثيرة تدور كلها حول رغبة الآخرين في مضايقته وإيذائه والحط من شأنه، فموسوليني لم يكن يعرف النوايا الحسنة، بل إن كل شيء بالنسبة له يحمل نوايا عدوانية شريرة من الآخرين، وهو يحتقر العواطف العليا مثل الحب والتسامح والرحمة والتعاطف، ويعتبرها نوعاً من الضعف في الشخصية، وتصبح القيم السائدة عنده: القوة والتفوق والتملك والانفراد بكل شئ، ويصبح الصراع عنده بديلاً عن الحب في كل علاقاته بالآخرين حتى أقرب الناس إليه.

وبناء على هذه النظرة للعالم نجد موسوليني يسخر كل إمكاناته ويستغل إمكانات من حوله في سبيل الوصول إلى مركز يمكنه من السيطرة والتحكم والانتقام والتشفي، فهو دائماً شديد الحسد، شديد الغيرة، لا يطيق أن ينافسه أو يطاوله أحد. وهو يبالغ كثيراً في تقدير ذاته وقدراته ولديه شعور بالعظمة والأهمية والتفرد، وفي المقابل يحط كثيراً من قيمة الآخرين ويسفههم ويميل إلى لومهم وإلصاق الدوافع الشريرة بهم.

وفي بداية مشوار موسوليني "مشروع الطاغية"، اكتشف أن صفاته السابق ذكرها تجعله معزولاً عن الناس، بما يشكل هذا عائقاً في طريق طموحاته وأطماعه الواسعة، فبدأ في اكتساب بعض السمات "السيكوباتية النفعية" حتى يصل إلى ما يريد، فتعلم الكذب والخداع والتظاهر بالمودة والاحترام والصداقة، و توشح ببعض القيم الدينية والأخلاقية ذات القيمة الاجتماعية والإنسانية العالية بغرض خداع الناس.

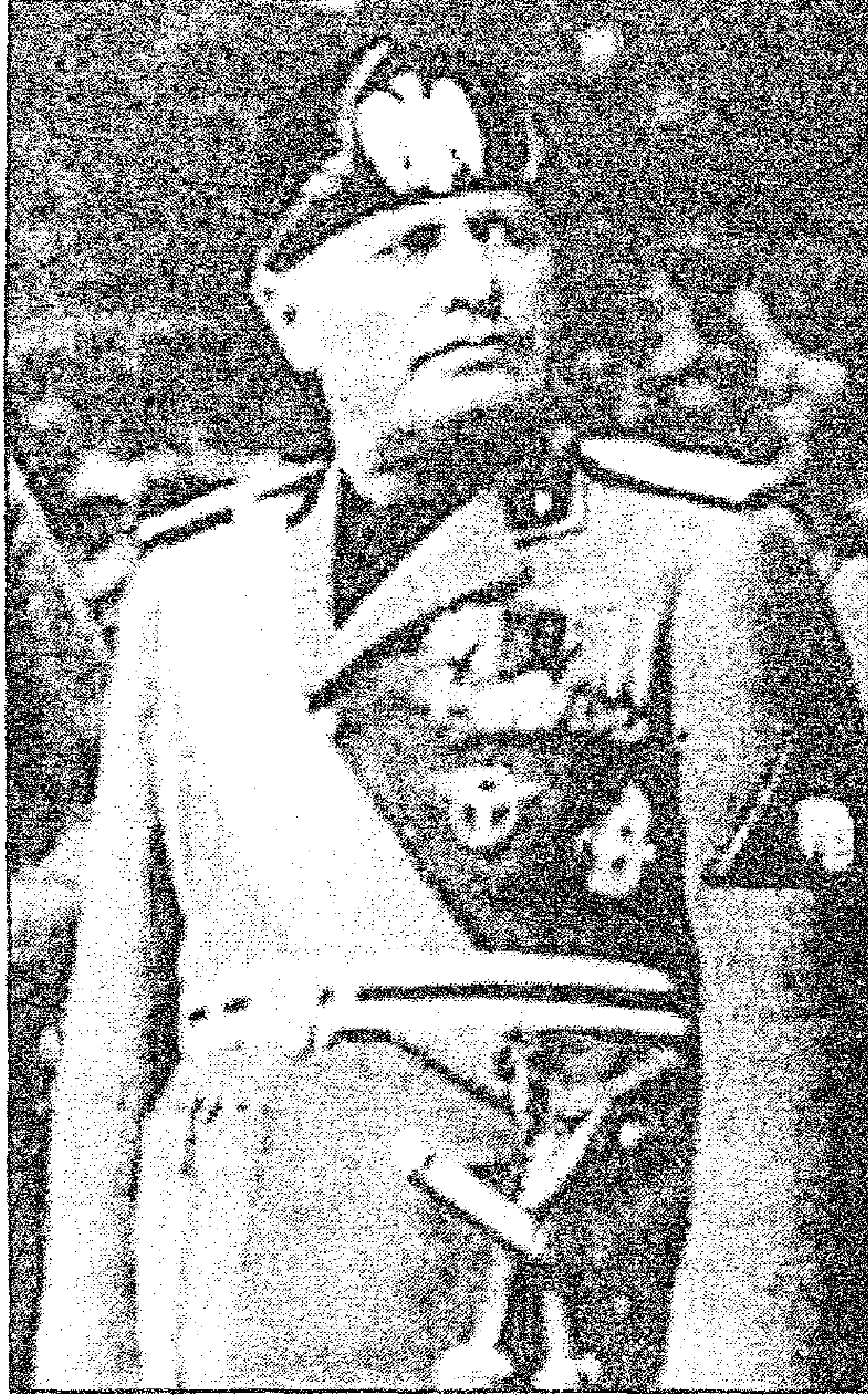
وفي رحلة خداعه اكتسب موسوليني عدة صفات أهمها : العجز عن الولاء الدائم للأشخاص أو المجموعات أو القيم الاجتماعية أو الدينية إلا بقدر ما تحقق له من مصالح ذاتية مرحلية، ثم سرعان ما ينبذ هذا الولاء أو يدوسه بقدميه. و المبالغة في الأنانية فيسخر كل شيء لتضخيم ذاته. والتبلد في الشعور مما يمنحه قسوة حتى على أقرب الأقربين له. و اتباع النزوات وعدم المسئولية، مما يدفعه لمغامرات خطرة العواقب. وانعدام الشعور بالذنب، وهذا يجعله يتمادى في قسوته إلى آخر الطريق .مع القدرة على تقديم تبريرات ظاهرة الوجاهة والإقناع لما يقدم عليه من تصرفات.

وهكذا اكتملت في شخص موسوليني هذه التركيبة الشخصية للطاغية، واستطاع أن يحتل موقعاً قيادياً " بالغدر والخديعة " و اندفع هو ومن وراءه نحو حلم القوة والسيطرة والتميز والعنصرية، واستطاع هذا الطاغية بما يملكه من قدرات وأحياناً كاريزما شخصية أن يقنع اتباعه الذين يحلمون بالبطل الأسطوري بأنه هو ذاك البطل الذي جاء ليقود العالم، وهكذا بدأوا في تمجيده وغالوا في ذلك إلى حد تقديسه فصنعوا له التماثيل والصور ووضعوها في الميادين العامة وفي كل مكان !!

وهو في سبيل استمراره في لعبته راح يمني من حوله ويعدهم بالمستقبل الباهر والجنة على الأرض، ويبالغ في تصوير قدراته وانتصاراته فصدقته الجماهير، وعاشت في سكرة الوهم حتى أفاقت على الحرب العالمية الثانية المدمرة، في لحظة كانت آتية و معها انهار كل شيء .

ولما كانت علامات الخطر والإنذار هذه واضحة في شخصية الطاغية، بل يمكن التنبؤ بها في وقت مبكر، لذلك اقترحت الجمعية العالمية للطب النفسي إجراء فحوص نفسية لمن يتولون مناصب قيادية على مستوى العالم تحت إشراف الأمم المتحدة بواسطة لجان علمية محايدة، وذلك لتجنيب العالم شرور مثل هذه الشخصيات المضطربة التي تدفع الإنسانية ثمناً غالياً جراء سلوكها وخاصة إذا طال السكوت عليها حتى يستفحل خطرها .

٧- موسوليني وعمر المختار
والخطيئة الكبرى



■ أثناء محاولات موسوليني اليائسة لتنفيذ خطته في ترسيخ الاستيطان الاستعماري في ليبيا، قتل ٢٠٠ ألف نسمة من المواطنين الليبيين طوال ثلاث سنوات فقط قبل عثوره على الثائر عمر المختار واعتقاله. حيث قررت المحكمة إعدام المختار رغم سنه التي جاوزت الخامسة والسبعين، فأعدم في اليوم التالي في ١٦ سبتمبر ١٩٣١ بمركز "سلوق" في بنغازي.

٧- موسوليني وعمر المختار

والخطيئة الكبرى !!

في أواخر العشرينيات من القرن الماضي، بدأت إيطاليا الفاشستية تحتل موقعا ملحوظا على الساحة الدولية، وبدأ موسوليني يشاكس فرنسا وبريطانيا مطالبا بحق إيطاليا في مزيد من المستعمرات، و كما نعرف فإن إيطاليا شاركت في الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء وفقدت فيها مليونا من أبنائها ما بين قتيل و مفقود، وخرجت منها "صفر اليدين"، في حين اقتسمت بريطانيا وفرنسا الولايات العثمانية العربية والمستعمرات الألمانية في أفريقيا، ولم تحصل إيطاليا على شيء .

ومن هنا اتجهت أنظار إيطاليا إلى ليبيا، بعدما احتلت فرنسا تونس والجزائر والمغرب، واحتلت إنجلترا مصر وقبرص . وبدأت إيطاليا خطتها الاستعمارية بإرسال بعثة علمية أثرية إلى طرابلس سنة ١٩١٠ برئاسة الكونت "سفورزا"، تحت ستار البحث عن معدن الفوسفات، وإجراء حفريات أثرية، ولكنها في الحقيقة كانت تقوم بمسح الأراضي الليبية، وعمل خرائط دقيقة لها تمهيدًا للعمليات العسكرية المرتقبة.

وقد فطن الليبيون إلى الأغراض الحقيقية للبعثة، وقد أدى ذلك إلى عقد أول مؤتمر وطني يجمع قادة البلاد؛ لبحث كيفية مواجهة الخطر الإيطالي، والتصدي لمطامع الإيطاليين، وسعى المؤتمر إلى توعية الشعب الليبي بأهداف الإيطاليين الاستعمارية، وتحذيرهم من خطر أولئك المستعمرين، وتعبئة القوى الوطنية لمجابهة الغزو الإيطالي المرتقب.

ولكن الأوضاع العسكرية والسياسية في ليبيا لم تكن بالقدر الذي يمكنها من التصدي للإيطاليين أو محاربتهم، ولم تكن البلاد مستعدة للمقاومة؛ مع نقص شديد في العتاد والذخيرة، كما أدت الحالة الاقتصادية السيئة التي تمر بها البلاد إلى هجرة كثير من أصحاب الكفاءات من ليبيا، وازداد الأمر سوءاً بعد أن سحبت الدولة العثمانية كثيرًا من موظفيها الأكفاء من ليبيا، وتجاهلت -في الوقت نفسه- مطالب الوطنيين من أهل ليبيا بالانخراط في سلك الجندية للدفاع عن البلاد.

ولم يمضِ سوى أشهر حتى بدأت إيطاليا التحرش بليبيا والدولة العثمانية، متهمة الدولة العثمانية بمعاداة الإيطاليين، واضطهادهم، والتضييق على نشاطهم في ليبيا، ومعلنة عدم جدوى السير في طريق المفاوضات لتسوية تلك المسألة، وقرار احتلال البلاد احتلالاً عسكريًّا بزعم الحفاظ على مصالح إيطاليا، واستعادة هيبتها ومكانتها.

وبالرغم من تنصل الليبيين من تلك الاتهامات، ودعوتهم إلى التفاوض مع الحكومة الإيطالية، فإن ذلك لم يثن روما عن المضي قدمًا في قرار الحرب بخطى سريعة، والإقدام على تنفيذ خطتها العسكرية لاحتلال ليبيا.

وفي ٢٩ سبتمبر ١٩١١ وجهت الحكومة الإيطالية إنذارًا بالحرب إلى الدولة العثمانية. وفي اليوم التالي كان أسطولها قد وصل إلى قبالة السواحل الليبية أمام طرابلس؛ فحاصرها ثلاثة أيام، ثم قصفها بعنف حتى سقطت في يد الإيطاليين في صباح ٤ أكتوبر ١٩١١ .

ودارت معركة بين المجاهدين -الذين غادروا طرابلس إلى بومليانة- وبين الإيطاليين -الذين صمموا على إجهاض المقاومة والقضاء على المجاهدين- وقد انتصر فيها الإيطاليون.

وكانت المنشورات إحدى وسائل الإيطاليين في محاولاتهم السيطرة على ليبيا، ومن هذه المنشورات منشور كارلو كانيفا -قائد الحملة الإيطالية على ليبيا- في يناير ١٩١٢ :

"بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على كافة الأنبياء والمرسلين صلى الله وسلم عليهم أجمعين"... للعساكر الإيطاليين الموكل إليها نحو الحكومة التركية في طرابلس والقيروان والمقاطعات التابعة لها...

إن العساكر الخاضعة لأمري لم يرسلها جلالة ملك إيطاليا فكتور عمانويل الثالث حماه الله لإضعاف واستعباد سكان طرابلس والقيروان والفزان والبلاد الأخرى التابعة لها التي توجد الآن تحت سيادة الأتراك، بل لتعيد إليهم حقوقهم وتقتص من المعتدين عليهم سواء كان الأتراك أو أي شخص كان يريد استرقاقهم.

وعليه فأنتم يا سكان طرابلس والقيروان والفزان والبلاد الأخرى التابعة لها من الآن سيحكمكم رؤساء منكم، موكل إليهم أن يقضوا بينكم بالعدل والرأفة عملاً بقوله تعالى: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)... والويل كل الويل لمن لا يحترم الشرائع أو لا يعتبر الأشخاص ويمس النساء أو يخترق حرمة الملك أو يقاوم أو يثور على إرادة العناية الإلهية التي أرسلت إيطاليا إلى هذه البلاد...

فيا سكان طرابلس والقيروان والمقاطعات التابعة لها، اذكروا أن الله قد قال في كتابه العزيز: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين)؛

وقد جاء أيضًا: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)،

وجاء أيضًا:(لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون(أي الذين يصلحون الأرض ويمنعون منها الفساد وينشرون فيها العدل والعمران)؛

وجاء أيضًا: (وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) أي لا تفسدوا في الأرض إن توليتم أمور الناس، ولا تقاتلوا بعضكم بعضًا، إن الذين يفعلون ذلك يلعنهم الله ويصمهم ويعمي أبصارهم ويستبدلهم بغيرهم.

وجاء أيضًا: (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير)،

وجاء أيضًا: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون).

فإرادة الله ومشيئته سبحانه وتعالى قضتا أن تحتل إيطاليا هذه البلاد، لأنه لا يجري في ملكه إلا ما يريد فهو مالك الملك وهو على كل شيء قدير.

فمن أراد أن يظهر في الكون غير ما أظهر مالك الملك رب العالمين المنفرد بتصرفاته في ملكه الذي لا شريك له فيه فقد جمع الجهل بأنواعه وكان من الممترين..

وبناء عليه يلزم على كل مؤمن أن يرضى ويسلم بما تعلقت به الإرادة الربانية وأبرزته القدرة الإلهية، فالملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء. فإيطاليا تريد السلام وتريد أن تبقى بلادكم إسلامية تحت حماية إيطاليا وملكها المعظم ويخفق فوقها العلم المثلث الألوان: أبيض وأحمر وأخضر، إشارة إلى المحبة والإيمان والعشم في وجه الله".

ولم يكن الخطاب الاستعماري الإيطالي لليبيا أقل ضجيجًا أو رسالية من الخطاب النابليوني؛ ففي يناير ١٩١٢، أسقطت الطائرات الإيطالية منشورات باللغة العربية تحمل توقيع الجنرال "سلسازو" تطمئن الأهالي أن إيطاليا لم ترد باحتلال ليبيا إلا طرد الأتراك وخدمة مصالح الليبيين، وعندما لم يستجب الليبيون، تدخل قائد الحملة الجنرال "كارلو كانيفا" في الدعاية الاستعمارية ودعا عرب طرابلس إلى التعاون مع إيطاليا. ومما جاء في منشوره "نحن أصحاب دين ومن أهل الكتاب وأحرار، واعلموا أن دولة إيطاليا المعظمة قد أصبحت لكم بمقام الوالد بعد أن أخذت أمكم طرابلس الغرب".

ولم تمض أيام قليلة حتى أسقطت الطائرات منشورات أخرى جاء فيها "إن إيطاليا لم تأت إلا لتعيد لليبيين حقوقهم وتقتص من المعتدين.. وعليه فأنتم يا

سكان طرابلس والقيروان والفزان والبلاد الأخرى من الآن سيحكمكم رؤساء منكم موكل إليهم أن يقضوا بينكم بالعدل والرأفة... فإرادة الله ومشيته قضتا أن تحتل إيطاليا هذه البلاد... وبناء عليه يلزم على كل مؤمن أن يرضى ويسلم... فإيطاليا تريد السلام وتريد أن تبقى بلادكم إسلامية" و"القرآن طلب من كل مؤمن صادق الخضوع للسلطة القائمة.. أضف إلى ذلك أن "إيطاليا لا تريد في الحقيقة سوى رخاء العرب وتأمينهم.. لأن روما بمثابة الأم للعرب وترغب في أن تعلمهم كيف ينشئون أولادهم ويربونهم، وكيف يصبحون أثرياء"!!

هاجم الإيطاليون برقة من البحر، واستطاعوا احتلال طبرق في ١٧ من أكتوبر ١٩١١،وتوجهوا إلى بنغازي، وقد تصدى لهم المجاهدون من الليبيين والأتراك بالإضافة إلى عدد كبير من الشخصيات العربية، وكان ذلك بداية ظهور المجاهد الكبير عمر المختار.

ولكن الإيطاليين تمكنوا –قبل أن ينصرم شهر أكتوبر– من احتلال طرابلس وطبرق ودرنة وبنغازي والخُمّس، ثم ما لبثوا أن سيطروا على برقة.

وقد أدى هذا العدوان الإيطالي الغاشم على الشعب الليبي إلى توحيد صفوفه، وتجميع أبنائه تحت راية الجهاد، ومحو كل أسباب الخلاف والشقاق بينهم، فتوحدوا جميعًا لهدف واحد هو مقاومة الاستعمار، ولغاية واحدة هي تحرير البلاد.

كما أزال ذلك العدوان كل أثر للخلاف بين السيد أحمد الشريف السنوسي –الذي كان متمركزًا في واحة الكفرة– والعثمانيين.

وكان لنداءات السيد أحمد الشريف لليبيين والعرب لمقاومة المستعمر، ودعوته إلى الجهاد ضد المعتدي أكبر الأثر في تدفق جموع المجاهدين والمتطوعين على المعسكرات العثمانية لتعزيز قوات العثمانيين والمجاهدين العرب.

وسعى الإيطاليون إلى استمالة الأهالي، فأصدر قائد الحملة الجنرال كارلو كانيفا منشورًا باللغة العربية، يعلن فيه أن إيطاليا إنما أرادت من احتلالها للبلاد

أن تطرد منها الأتراك، حفاظًا على مصالح الليبيين، ويزعم أن إيطاليا تسعى إلى توفير الأمن والحماية والرعاية لهم ولأبنائهم!!

وبالغ الإيطاليون –في منشوراتهم– في التودد إلى الليبيين، ومخاطبتهم باسم الدين، والتأكيد على احترامهم الشرائع والتقاليد الدينية، ومحافظتهم على الحقوق والحريات الشخصية والمدنية، والتلويح بالآمال العريضة التي تعقدها إيطاليا لمستقبل ليبيا في ظل نهضتها، والنعيم الذي ينتظر الليبيين في كنف السيادة الإيطالية، إلى غير ذلك من وسائل الخداع والوعود الكاذبة.. ففي الوقت الذي كان قائد الحملة يصدر هذه التصريحات ويدبج تلك المنشورات التي تفيض بالود والتسامح، كان جنوده يرتكبون أبشع المذابح، ويقترفون أفظع الجرائم ضد أهالي البلاد من المواطنين العزل.

فقد أباد الإيطاليون أهل المنشية التي تقع شرقي مدينة طرابلس، ولم ينج من تلك المذبحة البشعة حتى الأطفال والنساء والشيوخ، وامتدت مجازر الإيطاليين إلى غيرها من البلدان، حتى قتلوا خلال ثلاثة أيام نحو سبعة آلاف مواطن، ونفوا نحو ألفين آخرين، وبلغت فظائعهم وجرائمهم مبلغًا كبيرًا، فقد هتكوا أعراض النساء، وأعدموا الكثيرين دون تحقيق أو محاكمة، وأسفرت إيطاليا عن وجهها الاستعماري القبيح وأطماعها الاستعمارية الدنيئة، وهي تبيد شعبًا أعزل هب ليدافع عن حريته.

كما حاول الاستعمار الإيطالي خلال فترة زادت على الثلاثين عامًا أن يصبغ نفسه صبغة دينية.. فقد بارك قساوستهم أساطيل الحملة المتوجهة لاحتلال ليبيا عند خروجها، ودقت النواقيس وأقيمت الصلوات، ووزع رجال الكنيسة الصلبان على جميع جنود الحملة. وأفرط الطليان عند كل مناسبة في الاحتفال بكل نصر في كنائسهم، ثم لم يقنع الإيطاليون بالاحتفال بالنصر في بلادهم؛ بل أقاموا هذه الاحتفالات الدينية في طرابلس ذاتها، يقدمون الشكر للرب الذي مكنهم من انتزاع (الهلال) وإعلاء (الصليب) مكانه؛ فأثار كل ذلك المجاهدين.

وحاول الاستعمار الإيطالي أيضا أن يقنع جنوده بأنهم أصحاب رسالة سامية، وجاءوا لتخليص وتحرير الشعوب.. يقول السفاح "جراتسياني" في كتابه المذكور: "إن الجنود الإيطاليين كانوا مقتنعين بأنهم هم الأمة المسيطرة التي تقوم بتأدية رسالة سامية من رسالات الحضارة.. وأنهم لم يأتوا للاستغلال، ولكن لتحسين حالة البلاد، وأن الإيطاليين لابد أن يقوموا بهذا الواجب الإنساني بأي ثمن... فيجب إخضاع الشعب الليبي طواعية للاستعمار الإيطالي ولعادات وقوانين إيطاليا، وإذا لم يقتنع الليبيون بذلك فإن الإيطاليين سيخوضون صراعًا مستمرًا معهم، ويستطيعون تدمير الشعب الليبي كله للوصول إلى السلام.. ولكنه سلام المقابر!!".

وقد أحدث الاعتداء الإيطالي على ليبيا دويًّا عظيمًا تردد صداه في أنحاء الإمبراطورية العثمانية والعالم الإسلامي، وكان للرأي العام الإسلامي ثورة عارمة، وجهد بارز في دعم الجهاد ضد إيطاليا، وأبرق إمام اليمن "يحيى حميد الدين" إلى الدولة العثمانية عن استعداده لقيادة مائة ألف جندي تحت قيادته بين محارب ومتطوع للدفاع عن الدولة العثمانية، وأبرق أمير مقاطعة نجد الأمير "عبد العزيز بن سعود" إلى العثمانيين أن جميع القبائل التي تحت إمرته مستعدة للزحف تحت ظلال الأعلام العثمانية.

وتوافد المتطوعون من الأقطار الإسلامية للجهاد حتى بلغوا بعد عام من الاحتلال الإيطالي لليبيا نحو ١٢ ألف مقاتل متطوع، وتألفت لجان الإغاثة لمساعدة المنكوبين، وأرسلت البعثات الطبية إلى ميادين القتال في طرابلس وبرقة، وكان المصريون أسبق الشعوب التي بذلت المعونة للمجاهدين في ليبيا فتشكلت اللجان لجمع التبرعات، وكان من أهمها اللجنة العليا التي تأسست بعد وقوع العدوان الإيطالي بأيام قلائل برئاسة الأمير عمر طوسون، كما تألفت جمعية الهلال الأحمر برئاسة الشيخ علي يوسف، وقررت إنشاء عدة مستشفيات ميدانية، وسافرت أولى بعثاتها إلى ليبيا في السابع من نوفمبر ١٩١١ .

وكان أهم الأسباب التي دعت آلاف المتطوعين للجهاد في ليبيا هو قوة الرابطة الإسلامية التي دفعت الشعوب الإسلامية إلى التكاتف والتساند في وجه العدو المستعمر، كما كان المسلمون في تلك الفترة متحفزين لنصرة دولة الخلافة؛ لذلك أقبلوا على الجهاد من أجل المحافظة على كيانها، لأنهم شعروا أن سقوطها يعني ضياع الكلمة وضعف القوة، إضافة إلى أن شبح الاستعمار كان يزعج المسلمين ويشفقون من وقوع أي قطر إسلامي تحت أنيابه المتعطشة للدماء واستنزاف الثروات، كما إن الإيطاليين ارتكبوا فظائع ضد الليبيين لإرغامهم على ترك المقاومة، ما كان سببًا هامًّا في إصرار الليبيين على الجهاد حتى النهاية.

وفي السادس من نوفمبر ١٩١١ أعلنت إيطاليا بسط سيادتها على طرابلس وبرقة؛ فقابل الليبيون ذلك بمزيد من المعارك والثورات، وهاجموا استحكامات الإيطاليين في أنحاء متفرقة من البلاد، وقد تصدى لهم الإيطاليون بوحشية شديدة.

واتسمت تلك المرحلة من المقاومة الليبية بالهجمات الخاطفة السريعة، ولكن كفة الإيطاليين العسكرية كانت هي الراجحة على طول الخط؛ نظرًا لما يمتلكونه من أسلحة حديثة متطورة، وما يتميزون به من حشود عسكرية منظمة، بالإضافة إلى تحالف الدول الاستعمارية الكبرى مع الإيطاليين ضد الليبيين.

وبالرغم من إمكانات الإيطاليين العسكرية الضخمة، والتحالفات الغربية المريبة ضد الشعب العربي الليبي، فلم يكن الغزو الإيطالي لليبيا عملية سهلة بالنسبة للإيطاليين، فقد قاومهم الشعب الليبي بكل فئاته، وأرقت هجمات المجاهدين الخاطفة مضاجع المستعمرين.

واستمرت حركة المقاومة حتى نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، ودخلت إيطاليا الحرب إلى جانب الحلفاء، بينما كانت تركيا حليفًا لألمانيا، ومن ثم فقد جاهرت تركيا بمساندتها وتأييدها لليبيين بقيادة السيد أحمد السنوسي، ومناصرتهم في حربهم ضد عدوهم المشترك.

ولكن ما لبثت العلاقات أن تعقدت بين السنوسي والأتراك الذين نجحوا في الوقيعة بينه وبين الإنجليز فأغلقوا بدورهم طريق مصر في وجهه، وازداد الأمر حرجًا مع سوء الأحوال الاقتصادية وحدوث المجاعة التي أودت بحياة المئات من الليبيين نتيجة انتشار الأمراض، وتفشي وباء الطاعون، الأمر الذي اضطر السنوسي إلى التفاوض مع القوتين المتحالفتين: إنجلترا وإيطاليا في السادس عشر من إبريل ١٩١٧.

وقد أسفرت تلك المفاوضات عن اتفاق "عكرمة" الذي حدد مناطق نفوذ لكل من السنوسيين والإيطاليين، كما نص على إيقاف الحرب، وأتاح حرية التنقل بين كلتا المنطقتين.

وتم عقد اتفاق آخر –بعد ذلك– عرف باتفاق "الرجمة" في الخامس و العشرين من أكتوبر ١٩٢٠ تم بموجبه الاعتراف بالسنوسي حاكمًا مدنيًا وزعيمًا للقسم الداخلي من برقة، ومنح لقب أمير، وأصبحت تلك المنطقة تخضع لنظام حكم وراثي ينحصر في السنوسي وأولاده من بعده.

ولكن ذلك كله لم ينه الصراع بين الليبيين والإيطاليين، فلم تتوقف حركة المقاومة، ولم يستسلم الشعب الليبي للاستعمار، واستمرت جذوة الجهاد مشتعلة ضد الإيطاليين.

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى التي انتهت عام ١٩١٨ والتي خرجت إيطاليا منها منهكة، رأت إيطاليا مهادنة الليبيين، وتم عقد اتفاق "سوني" بين الطرفين، الذي اعترفت إيطاليا بموجبه بقيام الجمهورية الليبية، ونص على إنهاء حالة القتال بينهما، مع الاعتراف بالاستقلال الداخلي لطرابلس تحت سيادة ملك إيطاليا، وإنشاء مجلس نواب محلي، ومجلس آخر حكومي يشتركان في حكم البلاد.

إلا أنه لم يقدر لتلك الجمهورية الوليدة أن تدوم طويلاً، إذ لم تكن إيطاليا جادة في اعترافها بها، وإنما كانت تسعى من وراء ذلك إلى مهادنة الليبيين وكسب مزيد من الوقت نتيجة الضعف الذي ألمّ بها.

فعندما تسلم موسوليني زعامة إيطاليا وغير سياسة إيطالية اللينة في ليبيا إلى الشدة. نقض الاتفاقات المعقودة مع الليبيين، ورفض الاعتراف بالمحاكم الشرعية في المناطق التي يسيطر عليها الطليان، وأبى إلا أن يكون الجميع خاضعاً لإيطاليا، وعين لهذا الغرض حاكماً جديداً هو بون جيوفاني، ومنحه سلطة مطلقة في حكم ليبيا وزوده بصلاحيات واسعة وجيش كبير . فأمر المفوّض السامي الإيطالي الجديد بحل معسكرات القبائل في ولاية برقة. وأمر قواته باحتلال مركز القيادة السنوسية في أجدابيا في عام ١٩٢٣.

كان موسوليني يريد إيطاليا دولة عظمى وكان مستعدا لخوض الحروب من أجل ذلك.. وتوجه بالصداقة إلى الزعيم الألماني أدولف هتلر الذي كان معجبا بموسوليني، وفي مايو ١٩٣٩ عقدت إيطاليا وألمانيا معاهدة سميت بـ "الحلف الفولاذي" وكانت إيطاليا في حاجة إلى أربع سنوات حتى تستعد للدخول في الحرب،ولكن الحرب نشبت بعد ذلك بعامين، ولم يكن موسوليني كثير القلق بخصوص الحرب لأنه ظن أنها ستنتهي في عدة أشهر بانتصار ألمانيا .

كان يحلم علنا بأن يسيطر على حوض البحر الأبيض المتوسط، ويحوله إلى بحيرة إيطالية وأن ينشىء إمبراطورية تمتد من الحبشة إلى ساحل غينيا الغربي، وكان يدعو إلى زيادة النسل ليزيد عدد الإيطاليين فيمكنهم بالتالي استعمار واستيطان هذه الإمبراطورية الشاسعة.

أثناء محاولاته اليائسة تنفيذ خطته في ترسيخ الاستيطان الاستعماري في ليبيا، قتل ٢٠٠ ألف نسمة من المواطنين الليبيين طوال ثلاث سنوات فقط، قبل عثوره على الثائر عمر المختار واعتقاله. حيث قررت المحكمة إعدام المختار رغم سنه التى تجاوزت الخامسة والسبعين، فأعدم في اليوم التالي في ١٦ سبتمبر ١٩٣١ بمركز "سلوق" في بنغازي .

وقد واصل الإيطاليون استباحتهم للشعب الليبي، فوصل عدد الشهداء إلى ما يقرب من ٦٠٠ ألف شهيد، إضافة إلى مصادرتهم الأراضي الليبية من أصحابها، وشجعوا هجرة الإيطاليين إلى ليبيا وأمدوهم بالأموال وفتحوا لهم المدارس.

وفي ٩ يناير ١٩٣٩ أي قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بتسعة أشهر، أصدر موسوليني مرسوما بضم ليبيا طرابلس وبرقة وجعلها جزءا من الوطن الأم (ليبيا بالأصل تطلق على الصحراء التي تقع غرب نهر النيل وجنوب برقة وطرابلس). مع منح السكان الجنسية الإيطالية وإلزامهم تعلم اللغة ومن رفض يهتك عرضه، و أمر بإلقاء كثير من الناس من الطائرة وهم أحياء إلى غير ذلك من الأعمال الوحشية.

وقد سجل الليبيون بطولات نادرة وأمجادا خالدة في التصدي للاستعمار، واستطاع المجاهدون من أبناء البلاد، وعلى رأسهم المجاهد الكبير عمر المختار، أن ينزلوا بالإيطاليين العديد من الضربات الموجعة، ويلحقوا بهم الخسائر الفادحة، كما استطاعوا أن يلفتوا أنظار العالم إلى قضيتهم .

وسعت إيطاليا موسوليني بكل قوتها وجبروتها إلى تصفية عمر المختار ورفاقه، حتى نجحت في أسره في الحادي عشر من سبتمبر ١٩٣١، بعد أن أصيب فرسه، وسقط هو على الأرض جريحًا، وبعد محاكمة صورية سريعة لم تدم أكثر من ساعة، صدر الحكم بإعدامه، وتم تنفيذ الحكم في صباح ١٦ من سبتمبر ١٩٣١ أمام جمهور غفير من أبناء البلاد، سيقوا قسرًا ليشاهدوا عملية إعدام شيخ المجاهدين

ومما يروى عن موسوليني بالنسبة لما فعله في احتلاله الغاشم لليبيا، أنه عندما أدرك أن الدبلوماسية الإيطالية لا تستطيع تحقيق أهدافها المذكورة، مادام الصراع الإيطالي الليبي قائما ومادامت الشعوب العربية تتعاطف مع المجاهدين و تنقم على إيطاليا، وأن استمرار المقاومة الليبية لما يقارب العشرين عاما كان يسيء إلى سمعة إيطاليا العسكرية، ويشير إلى عجزها عن توطيد سيادتها على المستعمرة الوحيدة التي حصلت عليها بالبحر الأبيض . وبما أن جميع المحاولات التي بذلت لوضع حد للقتال في ليبيا قد باءت بالفشل، فقد قرر موسوليني تغيير القيادات العسكرية في ليبيا و تغيير استراتيجية الحرب .

فأقال الجنرال "دي بونو" والي طرابلس والجنرال "تيروتسي" والي برقة و وزير المستعمرات "فيدروزوني"، ولجأ إلى المارشال "بادوليو" رئيس أركان حرب القوات

المسلحة الإيطالية والعسكري الأكثر شهرة في إيطاليا، و عرض عليه أن يكون حاكما عاما لطرابلس و برقة وأن يتكفل بإنهاء المقاومة فيهما .

وقد كان المارشال بادوليو محسوبا على الملك و من المقربين إليه ويعتبر رجل الملمات في إيطاليا، فقد لجأ إليه موسوليني، كما ذكرنا للقضاء على الثورة في ليبيا، ولجأ إليه مرة أخرى لاحتلال أثيوبيا بعد أن فشل الجنرال دي بونو في ذلك، كما لجأ إليه الملك لتصفية موسوليني نفسه ونظامه عام ١٩٤٣ .

لم يقبل المارشال بادوليو المنصب الذي عرضه عليه موسوليني بسهولة فقد وضع شروطا من بينها أن لا تقل ولايته عن خمس سنوات، وأن يمنح لقب "نبيل" وأن يتقاضى راتبا مرتفعا.

وصل المارشال بيترو بادوليو طرابلس يوم ٢٤ يناير عام ١٩٢٩، وأصدر في نفس اليوم منشورين، أولهما للإيطاليين أكد فيه أن الاستيطان الزراعي في طرابلس و برقة أصبح حقيقة بعد أن كان مجرد رغبة، وثانيهما للعرب هددهم فيه بالويل والثبور، وفي الوقت الذي وافق فيه على استمرار الحرب للقضاء على المقاومة في جنوب طرابلس، أمر نائبه في برقة الجنرال "سيشلياني" أن يسحب المراكز العسكرية المتقدمة في برقة، وأن يضع خط دفاع تكون جميع القوات داخله، كما طلب منه الاتصال ببعض الأعيان و تكليفهم بالاتصال بعمر المختار و دعوته إلى الحوار لوضع حد للقتال الدائر .

واستغرب الجميع أن يطلب بادوليو السلام وهو رجل الحرب الذي أرسل للقضاء على الثورة في ليبيا، ويبدو أن بادوليو اتفق مع موسوليني على الحوار مع الثوار للوصول إلى حلول تحقن الدماء و لا تمس بالسيادة الإيطالية على كامل ليبيا، ولم يسلك بادوليو طريق السلام لأنه يؤمن به و إنما كما قال جورج روشات : "لأنه كان يرمي إلى الحصول على نجاح شخصي يضع حدا للقتال و المعاناة في غضون أشهر قليلة دون اقتسام حقيقي للسلطة مع الليبيين، وكان يحاول من وراء السلام تحقيق

تغلغل تدريجي داخل البلاد يحقق لإيطاليا أهدافها بدلا من اللجوء إلى الطرق التقليدية المستندة على السلاح" .

شرع الجنرال سيشلياني نائب الوالي في برقة في الاتصال ببعض المشايخ المعروفين بنفوذهم وعلاقتهم الطيبة بعمر المختار، وطلب منهم الاتصال بقائد الثورة و إبلاغه برغبة المارشال بادوليو في تجنيب البلاد مزيد من الدماء و وضع حد للقتال، ودامت هذه الاتصالات قرابة الشهرين قبل أن يوافق عمر المختار على الالتقاء بالإيطاليين .

وعلى الرغم من الشكوك التي كانت تلازمه في حقيقة أهداف إيطاليا فقد التقى عمر المختار بمتصرف درنة داود ياشي في يوم ٢٠ مارس ١٩٢٩ بحضور جمع من الأعيان والمشايخ، وتبادل الطرفان وجهات النظر و الأفكار للوصول إلى صيغة اتفاق مقبولة من الجانبين يتم الاتفاق عليها في اجتماع يعقد بين المختار و بادوليو .

وتواصلت لقاءات الطرفين في سانية القيقب، وفي منطقة الباكور، و لم تسفر هذه اللقاءات عن تقارب في وجهات نظر الطرفين أو بلورة صيغة اتفاق يرضي الجانبين، وقدم الوفد الإيطالي في اجتماع قصر القيقب صيغة تقريرية لشروط إيطاليا من وبينها ـ وهو أهم ما فيها بالنسبة إلى إيطاليا ـ تسليم المجاهدين نصف سلاحهم مقابل ألف ليرة للبندقية، ويضم نصف المجاهدين الآخر الذي احتفظ بسلاحه إلى تنظيمات تنشئها الحكومة لفترة من الزمن يتفق عليها، إلى أن يتم إعداد المكان المناسب لإقامتهم و تموينهم و مراقبتهم، و لم تتضمن تلك الشروط أي حق سياسي لليبيين، وقد رفضها المختار بشدة كما عارض فكرة نزع السلاح من المجاهدين .

وعقد اجتماع ثالث في قندولة حضره الفضيل بوعمر وعبد الحميد العبار وغيرهما من قادة المقاومة وعدد من الأعيان والمشايخ، ولم يخف المختار في هذا الاجتماع شكوكه في نوايا إيطاليا، فطلب حضور مراقبين من مصر وتونس يشهدون على الاتفاق الذي يتم التوصل إليه، ويقول شهود عيان إن هذا اللقاء كان صاخبا وبودلت

فيه الاتهامات، إلا أنه تم الاتفاق على لقاء عمر المختار مع الجنرال سيشلياني نائب الوالي في برقة .

وفي هذا اللقاء قدم الجانب الليبي شروطه التي لا تبعد في جوهرها عن اتفاقيات عام ١٩١٩م و ما يقاربها . ويبدو أن الجنرال سيشلياني أقنع المختار أن لقاءه مع المارشال بادوليو قد يكون مفيدا ومثمرا، وتم الاتفاق على أن يعقد في "سيدي ارحومه" بالقرب من المرج .

ووقع اللقاء التاريخي بين حاكم ليبيا العام و قائد الثورة في برقة في المكان و الزمان المحددين للتفاوض من أجل إحلال السلام في ربوع ليبيا، ووصل عمر المختار إلى سيدي ارحومه على رأس أربعمائة مقاتل و قد طوقوا المنطقة و اتخذوا احتياطات أمنية للمحافظة على زعيمهم، ووصل بادوليو ورفاقه في أربع سيارات وكان بصحبته الجنرال سيشلياني ومتصرف درنة داودياشي ومتصرف المرج باريلي وعدد من كبار رجال الجيش والشرطة والموظفين .

كما حضر الاجتماع عدد من الأعيان والمشايخ الذين اشتركوا في الوساطة، وقرأ الفضيل بوعمر شروط المجاهدين التي استلمها بادوليو ووعد برفعها إلى رؤسائه، ودار نقاش حول السلام والتنازلات التي قدمها كل من الطرفين، واقترح المارشال بادوليو عقد هدنة لمدة شهرين تتوقف فيها جميع العمليات العسكرية، لأن المفاوضات قد تستغرق بعض الوقت ويجب أن تدور في جو هادئ .

وانتهى الاجتماع بصورة ودّية وتبادل الطرفان الهدايا فقد وزّع بادوليو ساعات ذهبية على مساعدي عمر المختار، وأهدى الأخير جواداً عربياً أصيلاً إلى بادوليو وأخذت الصور التذكارية للمفاوضين يتوسطهم عمر المختار وبادوليو، وقد نشرتها مجلة اللطائف المصورة في وقته، وكان جو المفاوضات يوحي بجديتها وبأنها ولاشك ستضع حدا للصراع الدائر، وكان لقاء عمر المختار ببادوليو لقاء الند للند . ووصف الكاتب الإيطالي كانيفاري اللقاء : "بأن عمر المختار وصل مكان الاجتماع محاطا بفرسانه كما يصل المنتصر الذي جاء ليملي شروطه على المغلوب .

وقد تم الاتفاق على الهدنة شفويا وتحاشى الإيطاليون تقديم أية ورقة مكتوبة وموقعة إلى الجانب الليبي، وذلك إلى جانب التعتيم الإعلامي الكامل على المفاوضات وتجاهلت الصحافة المحلية الإيطالية ما كان يجري في "سيدي ارحومه"، الأمر الذي أثار دهشة واستغراب الدوائر السياسية وكان ذلك يدل على نية إيطاليا المبيتة للغدر بالمجاهدين وخداعهم .

عاد بادوليو من "سيدي ارحومه" إلى بنغازي يحمل مفاجأة كبيرة أذهلت الجميع، فقد أبرق إلى روما معلنا أن عمر المختار ورجاله قد استسلموا دون ذكر الشروط التي تم على أساسها الاستسلام، وعقد في طرابلس مؤتمرا صحافيا نفى فيه أنه قام بمفاوضات مع عمر المختار، وأن الأخير استسلم بناء على ضغط رجاله الذين أرهقتهم الحرب والحرمان والمصاعب. وذهل الناس في ليبيا لهذا النبأ وكان عمر المختار أكثرهم ذهولا، فهو لم يستسلم ولم يعد بادوليو بشي باستثناء الاتفاق على هدنه شهرين، غير أن هذا الاستسلام المزعوم كذبته الوقائع فقد ظل عمر المختار ورجاله محتفظين بسلاحهم، ينتظرون رد إيطاليا بخصوص مواصلة المفاوضات، ولكن الإيطاليين صدقوا بادوليو وظلوا ينتظرون وصول عمر المختار إلى بنغازي مستسلما، وطال انتظارهم ولم يسلّم المجاهدون بندقية واحدة .

كان موقف بادوليو حرجا و صعبا وقد اهتزت مصداقيته، فاستسلام عمر المختار لم يتحقق والثورة لم تنته، وبدأت روما تتساءل عن حقيقة الموقف، غير أن بادوليو صمم على السير في طريقه وصمّ أذنيه عن الانتقادات، وكان واثقا من أن الثورة في طريقها للانهيار بعد أن انفصل عنها البعض، وبعد أن واصل العملاء وكبار الموظفين مساعيهم لتمزيق ما تبقى من الثوار مع عمر المختار .

وحلل الكاتب جورج روشات أوضاع بادوليو في تلك الفترة فكتب : "إن وضع بادوليو لم يكن سهلا، فكان عليه أن يحارب على جبهتين : المجاهدين من جهة والأوساط الاستعمارية من الجهة الأخرى، والاثنان مستعدان لاستغلال أي خطأ

يصدر عنه، ومن هنا، كما يبدو، اختار العمل المزدوج الذي لا يخلو من خطورة، فهو يؤكد للأوساط الاستعمارية أن استسلام عمر المختار نهائي وبدون شروط، بحيث يستطيع أن يواصل سياسته دون تدخل خارجي ليتسنى له مواصلة المفاوضات مع عمر المختار للوصول إلى حل وسط، يؤدي إلى السلام و تقاسم السلطة في برقة .

غير أن بادوليو كان مقتنعا أن هدنة لبضعة أشهر يصحبها الإغراءات المالية وشق صفوف الثوار تكفي للوصول إلى سلم يؤمن سيادة إيطاليا الكاملة على ليبيا .

كان بادوليو مستعدا لتقديم الكثير إلى عمر المختار على المدى المباشر دون أن يصل إلى اتفاقية رسمية مكتوبة كان الطرف الليبي يطالب بها، وقد وعده الجنرال سيشلياني بها، وقد راهن بادوليو على الخلافات التي يغذيها الإيطاليون، وعلى تعب سكان الجبل الأخضر، وهي عوامل تجعل من استئناف القتال في وقت قريب أمرا مستحيلا" .

غير أن عمر المختار كان أبعد نظراً، فقد أدرك من البداية حدود اللعبة الإيطالية فأخذ حذره وابتعد بقواته عن المراكز الإيطالية ليجنبها عمليات الإغراءات و الاستقطاب التي وقع فيها البعض، وواصل احترامه للهدنة على أمل مواصلة المفاوضات وقد بعث برسالة إلى الجنرال سيشلياني، يلفت نظره إلى المماطلة الإيطالية والتسويف في استئناف المفاوضات، وإلى تصرفات كبار الموظفين الإيطاليين والعملاء لبَثِّ الفتنة بين المجاهدين واستمالتهم إلى إيطاليا عن طريق الإغراءات المادية والمالية، وكانت رسالة المختار واضحة فقد أراد أن يشعر بادوليو أنه على علم بمخططاته ومحاولاته الرخيصة للقضاء على الثورة بدون حرب .

مرت أشهر صيف عام ١٩٢٩، والأوضاع بين المجاهدين وإيطاليا على ما هي عليه، فبادوليو كان ينتظر من أعوانه في برقة أن ينجحوا في مهمتهم ويمزقوا قوات عمر المختار ويدفعوها إلى الاستسلام، وعمر المختار من جهته احترم الهدنة وظل ينتظر استئناف المفاوضات، وإن لم يؤمل خيرا من خصومه، وكانت روما في نفس الوقت قد أرسلت الوزير المفوض باترو إلى القاهرة، للاتصال بزعامة المهاجرين للحصول على مساعدتها في إيجاد حل سلمي للوضع السائد في برقه .

وفي يوم الخامس و العشرين من سبتمبر عام ١٩٢٩، أرسل عمر المختار رسالة إلى سيشلياني أبلغه فيها بأن "مندوبي الحكومة ورؤساء التفاوض المرتبطين بكم يقومون ببث الخلاف بيننا بمساعدة بعض المتصرفين الذين يقومون بتوزيع المؤن والأغذية، وإن المسؤولية تقع على الحكومة إذا تسبب ذلك في سوء تفاهم".

وفي ١٩ أكتوبر التالي بعث عمر المختار برسالة إلى بادوليو ينذره بأن الهدنة لن تجدد بعد يوم الرابع و العشرين من أكتوبر. وبعث في نفس الوقت ببيان إلى الصحافة المصرية ضمنه مجمل الحوار الذي دار بينه وبين بادوليو في "سيدي ارحومه"، وصحح فيه الوقائع التي كان يذيعها الإيطاليون، وبين عدم جديتهم ومحاولاتهم تدمير المقاومة عن طريق شراء الضمائر والدسيسة وشق الصفوف، وأكد أن اجتماع "سيدي ارحومه" انتهى بالاتفاق على الهدنة، وقد سلم الجانب الليبي شروطه إلى بادوليو الذي وعد بنقلها إلى رؤسائه.

وقد أحدث بيان عمر المختار الذي نشرته الصحافة المصرية هزة في روما وغضبا بسبب الأوضاع المتردية في ليبيا والتي بدا أن بادوليو عاجز عن حلها.

وكانت روما تؤمل في أن ينجح مندوبها الذي أرسلته إلى القاهرة في إيجاد الحل الذي عجز عنه بادوليو.

وكان بادوليو يحاول إقناع المسئولين في روما بأن الأمور سائرة على ما يرام، وأرسل يوما برقية إلى وزير المستعمرات جاء فيها: "لا أدري ما هي الأكاذيب الأخرى التي يخترعها عمر المختار لاتهام الحكومة بأنها لم تف بكلمتها، وإنكم تعلمون أن خيال المشايخ العرب واسع عندما يتعلق الأمر بإخفاء الحقائق، ولا يجب العَدْوُ وراءهم وإنما ضربهم بقوة .. فإذا ظلت حركة عمر المختار معزولة فيكون من السهل القضاء عليها، إن ثلثي الثوار سيكونون جانبنا، إن الوضع لا يثير أي قلق وسنتغلب عليه في وقت قصير"

انفجر الموقف يوم ٨ نوفمبر ١٩٢٩ أي قبل ثلاثة أسابيع من الموعد الذي حدده عمر المختار لانتهاء الهدنة، فقد هاجمت مجموعة من المجاهدين دورية من الضابطية وأبادتها وتسبب الحادث في غضب الإيطاليين، وبادوليو بصورة خاصة الذي انهارت آماله في إنهاء الثورة سلميا .

وانزعج موسوليني وأوقف الاتصالات الجارية في مصر وأمر بالعودة إلى القوة والحرب، وشمت دي بونو وزير المستعمرات في بادوليو وأرسل له برقية جافة ضمنها كل حقده وكراهيته لبادوليو، جاء فيها : لقد تحقق مع الأسف كل ما كنت أتوقعه وأشرت إليه في رسائلي، إن رئيس الحكومة الذي أطلعته على الوضع يوافق على اقتراحاتي التالية:

١- قطع أي نوع من المفاوضات والتسامح مع الثوار ومهاجمتهم باستمرار .

٢- وضع رقابة شديدة على جميع المشايخ دون أي اعتبار .

٣- عدم الكلام عن أي استسلام ما لم يكن حقيقيا.

٤- شنق المشايخ الذين يقعون في أيدينا .

٥- من الضروري أن يكون لهذا الفشل أقل صدى، نحن هنا سنصدر الأوامر بعدم نشر أي شيء عنه، نائب الوالي سيشلياني برهن على أنه ليس في مستوى مركزه، ويجب تغييره دون أن يعرف بأنه عزل لسبب فشله السياسي .

واتهمت إيطاليا عمر المختار بالخيانة وخرق الهدنة . رغم أن حادث الاعتداء على الدورية الإيطالية كان يحيط به الغموض، فعمر المختار لا يأمر بعمل كهذا وهو الذي حدد موعد انتهاء الهدنة، وهو الحريص على وعوده وتعهداته، والذي دبر الحادث هو من المستفيدين من الحرب، وبعضهم يتعاون مع الثوار ويبيع لهم السلاح .

وكان رد فعل الجنرال سيشلياني على قتل أفراد الدورية إرسال أربع طائرات لقصف منتجعات المجاهدين بمن فيها من نساء وأطفال وشيوخ، وقد تمكن المجاهدون

من إسقاط إحدى الطائرات وأسر طيارها، وأصدر سيشلياني بعد مرور يوم على الحادث بيانا قال فيه : "لقد فرضت علينا خيانة عمر المختار استئناف الحرب ضد الثوار، وسيكون قتال شامل بدون رحمة أو توقف ضد كل من يرفع السلاح في وجه الحكومة أو حمله بدون ترخيص" .

واتفق بادوليو وسيشلياني على توجيه ضربة قوية للثوار وهم لازالوا في حالة تفكك وارتباك بعد أن تخلى عنهم جزء من المقاتلين .

وبعد أربعة أيام من إسقاط الطائرة الإيطالية، حشد الإيطاليون قواتهم وطائراتهم وآلياتهم لمهاجمة وتطويق الثوار وإبادتهم، وتولى الطيران الدور الأول في المعركة .

وكان بادوليو عندما أمر بهذا الهجوم على ثقة بأن الثورة تفككت وأصبحت على وشك الانهيار ونقل قناعته هذه إلى وزير المستعمرات مؤكدا له القضاء على الثوار في وقت قريب.

ولكن فشلت القوات الإيطالية في مهمتها وتمكن الثوار من الإفلات من عملية التطويق بفضل استماتة قوات الحماية كما اعترف الجنرال سيشلياني بذلك.

وكانت هذه أول معركة يخوضها بادوليو ضد المجاهدين ولم تختلف نتائجها عن نتائج المعارك التي سبقتها والتي أطاحت بثلاثة ولاة، وقد أدرك بادوليو أن خصمه شديد ومنظم وذكي ولا يمكن التغلب عليه في حرب تقليدية .

وقد وصف بادوليو عمر المختار لوزير المستعمرات فكتب : "عمر المختار هو المحور الذي تدور حوله الثورة، وهو يحظى بسلطة ونفوذ مطلقين ولا يشاركه أحد في السلطة ولديه نواب مخلصون وملتزمون، فمن المستحيل استعمال الأسلوب المعتاد لاستغلال كوامن الغيرة والتنافس والحقد التي تتوفر دائما حيث يوجد عدة زعماء، إن إرادة عمر المختار القوية هي التي تملي القوانين في أي وقت وأي ظرف" .

اهتز وضع المارشال بادوليو بعد فشله في المفاوضات وبعد الإخفاق في الهجوم الذي قصد منه إنهاء الثورة، واستغل الجنرال دي بونو وزير المستعمرات تزعزع مركز بادوليو فانهال عليه بالتعليمات والتوجيهات وطلب منه إعفاء نائبه الجنرال سيشلياني، وتعيين الجنرال جراتسياني بديلا له وكان دي بونو يريد أن يخلق من جراتسياني نداً لبادوليو ومنافساً له .

وفي هذه الأثناء بدأت الشكوك تحوم حول البعض من الليبيين، فقررت السلطة الإيطالية نزع سلاحهم، إلا أنهم قاوموا وجرت معركة عنيفة بين الطرفين استشهد فيها ثمانون شخصا وأسر قرابة المائة، واستطاع الباقون شق طريقهم من بين المهاجمين والالتحاق بقوات عمر المختار، وقضى هذا الحادث على ما تبقى لبادوليو من آمال في استسلام المقاتلين .

وصل الجنرال جراتسياني نائب الوالي الجديد إلى بنغازي تحيط به هالة من البطولة والاعتداد بالنفس والغطرسة، وقد قابله موسوليني في روما وأثنى عليه ووضع ثقته فيه، كما هتف له مجلس النواب الإيطالي، وشرع في عمله باتخاذ سلسلة من الإجراءات القمعية والتعسفية، فأرسل بعض المشايخ إلى سجون إيطاليا وقرر توقيع عقوبة الإعدام على كل من يتعاون أو يتصل بالثوار، وسجن معظم المشايخ وأعيان بنغازي ودرنة في قلعة بنينة .

وأنشأ المحكمة الطائرة التي تنتقل من مكان إلى مكان وتحكم بالإعدام على المتهمين وتنفذ الحكم فورا، وغير ذلك من الأعمال الهمجية وشرع جراتسياني في الإعداد للمعركة الفاصلة مع الثوار، فحشد معظم القوات الموجودة ببرقة وعززها بكتيبتين إريتريتين وبآليات وطائرات وصلته من طرابلس .

واعترف بأن قواته بلغت عشرة أضعاف قوات الثوار وطلب منه بادوليو المجيء إلى بنغازي للاطلاع على ما أعده جراتسياني للمعركة، إلا أن الأخير طلب منه أن يؤجل مجيئه إلى ما بعد المعركة ليحتفلا معا بنهاية الثورة . وكان جراتسياني يريد أن يستأثر بشرف النصر.

واشتعلت المعركة في الفايدية يوم الأول من يوليو عام ١٩٣٦، بعد أن قامت القوات الإيطالية بتطويق مواقع المجاهدين ودامت المعركة عدة أيام، تمكن في نهايتها المجاهدون من فتح طريقهم من بين القوات المحاصرة، وفشل جراتسياني كما فشل من قبله ثلاثة ولاة، وكانت لطمة قاسية حطمت كبرياء جراتسياني وغروره، وانتهز بادوليو الفرصة وأراد أن يعيد جراتسياني إلى حجمه الطبيعي فبعث إليه ببرقية شديدة اللهجة جاء فيها :

"لقد تركتك تقوم بهذه العملية دون أن أتدخل تمشيا مع رغبتك في تأجيل زيارتي لبنغازي إلى ما بعد المعركة، إلا أني أشعر الآن أنه قد أصبح من واجبي أن أتدخل لأن المسئولية تقع عليّ قبل أن تقع على الوزارة، لقد فشلت معركة الفايدية كما فشلت المعارك التي سبقتها والتي ستلحقها مادامت الأوضاع الحالية قائمة .

وتعود أسباب هذا الفشل إلى عاملين رئيسيين يتمتع بهما الثوار.

الأول : نظام الحماية والاستخبارات اليقظ جداً .

ثانيا : براعة عمر المختار الخارقة للعادة وعدم اهتمامه بالشهرة أو المجد العسكري، فهو يُقيِّم بهدوء وبرود إمكانيات قواته وفي ضوء هذا التقييم يقاتل أو يرفض القتال ويبعثر قواته، وإذا ما درستم تاريخ العمليات الحربية التي تمت، فسترون أننا في الغالب غنمنا بعض الحيوانات ولم نصب العدو بضربات شديدة، وذلك بسبب الأوضاع التي ذكرتها، ومادامت الحرب التقليدية لم تثمر فيجب استعمال وسائل أخرى شديدة العنف حتى ولو ألحقت الكوارث بالليبيين، ولذلك يجب خلق فراغ أرضي شاسع بين الثوار والسكان الخاضعين لنا، ولا أخفي عليكم وزن خطورة هذا الإجراء الذي يعني دمار السكان، إلا أن الطرق رسمت وعلينا أن نسير فيها إلى النهاية حتى ولو أدت إلى موت جميع سكان برقة، ويجب العمل بسرعة على نقل جميع السكان الخاضعين لنا في مكان ضيق لمراقبتهم، وأن يكون بينهم وبين الثوار مساحة كبيرة وبعد أن يتم هذا سنشرع في الحرب ضد الثوار"

برقية بادوليو المذكورة بالإضافة إلى أنها أعادت جراتسياني إلى حجمه الطبيعي، فإنها تضمنت اعترافا بعجز إيطاليا عن إنهاء الثورة عسكريا، واعتراف بادوليو ببراعة عمر المختار الخارقة للعادة في تسيير ثورته وبحسن تنظيمه ويقظة استخباراته، وهي من التنظيمات التي كانت تفتقر إليها القوات الإيطالية نفسها .

وكان بادوليو أول من فكر في إبعاد السكان العرب عن الجبل ولو كان فى ذلك فناؤهم، يريد أن يضرب عصفورين بحجر واحد : أي إخلاء الجبل من سكانه ليأخذ مكانهم المستوطنون الإيطاليون، والقضاء على الثورة وعلى أكبر عدد من السكان .

نقلت إيطاليا إلى صحراء سرت أكثر من نصف سكان برقة الذين قطعوا مئات الكيلومترات على الأقدام بأطفالهم ونسائهم وشيوخهم وقطعانهم، في البرد والمطر وتقلبات الطبيعة، يحرسهم جنود إريتريون لديهم الأوامر بقتل كل من يتخلف بشرا كان أم حيوانا، وقام جراتسياني بتنفيذ العملية في أبشع صورها وحوّل الجبل الأخضر إلى أرض محروقة لا حياة فيها لبشر أو حيوان .

وكان عمر المختار قد أصدر أوامره إلى رجاله بعدم الاقتراب من مساكن المدنيين أو مطالبتهم بأي شيء وذلك لتجنيبهم العقوبات الإيطالية القصوى، وطوق الإيطاليون المنطقة بآلاف الجنود وبثوا أكثر من مائتي جاسوس من الخبراء بمسالك الجبل، لتعقب المجاهدين وإشعار الإيطاليين بأماكنهم .

ودارت المعارك متلاحقة دون توقف، وكان المجاهدون يهاجمون أي مركز إيطالي، وظن جراتسياني أن الثوار رغم الحصار يحصلون على التموين من مصر، فاقترح إقامة الأسلاك الشائكة على طول الحدود مع مصر وذلك بعد احتلال الكفرة، لمنع أية مساعدة تصل منها إلى الثورة .

وأغلقت الحدود مع مصر، إلا أن القتال تواصل بين آلاف الجنود الإيطاليين وبضع مئات من الثوار الجائعين المنهكين المطوقين، وبدا عجز بادوليو وجراتسياني

واضحا في القضاء على الثوار وبدأت في روما إشارات تدل على الرغبة في الحوار واستئناف الاتصال بالمهاجرين في مصر، إلا أن القدر شاء خلاف ذلك فوقع عمر المختار جريحا وأسيرا بين القوات الإيطالية، عندما كان مع ستين فارسا من رجاله وقد انقض عليهم قرابة خمسة آلاف جندي إيطالي، وعندما بلغ بادوليو النبأ طالب برأس عمر المختار وحقق له القدر ما أراد.

ففي ١١ سبتمبر من عام ١٩٣١م، وبينما كان الشيخ عمر المختار يستطلع منطقة سلنطة في كوكبة من فرسانه، عرفت الحاميات الإيطالية بمكانه فأرسلت قوات لحصاره ولحقتها تعزيزات، واشتبك الفريقان في وادي بوطاقة ورجحت الكفة للعدو، فأمر عمر المختار بفك الطوق والتفرق، ولكن قُتلت فرسه تحته وسقطت على يده مما شل حركته نهائياً. فلم يتمكن من تخليص نفسه ولم يستطع تناول بندقيته ليدافع عن نفسه، فسرعان ما حاصره العدو وتعرفوا على شخصيته، فنقل على الفور إلي مرسى سوسه ومن ثم وضع على طراد نقله رأسا إلى بنغازي، حيث أودع السجن الكبير بمنطقة سيدي أخريبيش. ولم يستطع الطليان نقل الشيخ براً لخوفهم من تعرض المجاهدين لهم في محاولة لتخليص قائدهم.

كان لاعتقاله في صفوف العدو، صدى كبير، حتى إن جراتسياني لم يصدّق ذلك في بادئ الأمر، وكان في روما حينها كئيباً حزيناً منهار الأعصاب في طريقه إلي باريس للاستجمام والراحة، تهرباً من الساحة بعد فشله في القضاء على المجاهدين في برقة، وقد بدأت الأقلام اللاذعة في إيطاليا تنال منه، والانتقادات المرة تأتيه من رفاقه مشككة في مقدرته على إدارة الصراع. وإذا هو يتلقى برقية مستعجلة من بنغازي مفادها أن عدوه اللدود عمر المختار وراء القضبان. فأصيب جراتسياني بحالة هستيرية وكاد لا يصدق الخبر. فتارة يجلس على مقعده وتارة يقوم، وأخرى يخرج متمشياً على قدميه محدثاً نفسه بصوت عال، ويشير بيديه ويقول: "صحيح قبضوا على عمر المختار ؟" ويرد على نفسه : "لا، لا اعتقد" ولم يسترح باله فقرر إلغاء أجازته واستقل طائرة خاصة وهبط ببنغازي في نفس اليوم وطلب إحضار عمر المختار إلي مكتبه لكي يراه بأم عينيه.

وصل جراتسياني إلى بنغازي يوم ١٤ سبتمبر، وأعلن عن انعقاد "المحكمة الخاصة" يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣١م، وفي صبيحة ذلك اليوم وقبل المحاكمة رغب جراتسياني في الحديث مع عمر المختار،

يذكر جراتسياني في كتابه (برقة المهدأة):

"وعندما حضر أمام مكتبي تهيأ لي أن أرى فيه شخصية آلاف المرابطين الذين التقيت بهم أثناء قيامي بالحروب الصحراوية. يداه مكبلتان بالسلاسل، رغم الكسور والجروح التي أصيب بها أثناء المعركة، وكان وجهه مضغوطا لأنه كان مغطيا رأسه (بالجرد) ويجر نفسه بصعوبة نظراً لتعبه أثناء السفر بالبحر، وبالإجمال يخيل لي أن الذي يقف أمامي رجل ليس كالرجال، له منظره وهيبته رغم أنه يشعر بمرارة الأسر، ها هو واقف أمام مكتبي نسأله ويجيب بصوت هادئ وواضح."

جراتسياني: لماذا حاربت بشدة متواصلة الحكومة الفاشستية ؟

أجاب الشيخ: من أجل ديني ووطني.

جراتسياني:ما الذي كان في اعتقادك الوصول إليه ؟

فأجاب الشيخ: لا شيء إلا طردكم ... لأنكم مغتصبون، أما الحرب فهي فرض علينا وما النصر إلا من عند الله.

جراتسياني: لما لك من نفوذ وجاه، في كم يوم يمكنك أن تأمر الثوار بأن يخضعوا لحكمنا ويسلموا أسلحتهم ؟.

فأجاب الشيخ: لا يمكنني أن أعمل أي شيء ... نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلنا الواحد بعد الآخر، ولا نسلم أو نلقي السلاح...

ويستطرد جراتسياني حديثه "وعندما وقف ليتهيأ للانصراف كان جبينه وضاء كأن هالة من نور تحيط به، فارتعش قلبي من جلالة الموقف أنا الذي خاض معارك

الحروب العالمية والصحراوية ولقبت بأسد الصحراء. ورغم هذا فقد كانت شفتاي ترتعشان ولم أستطع أن أنطق بحرف واحد، فأنهيت المقابلة وأمرت بإرجاعه إلى السجن لتقديمه إلى المحاكمة في المساء، وعند وقوفه حاول أن يمد يده لمصافحتي ولكنه لم يتمكن لأن يده كانت مكبلة بالحديد" .

وعقدت للشيخ الشهيد محكمة هزلية صورية في مركز إدارة الحزب الفاشستي ببنغازي مساء يوم الثلاثاء عند الساعة الخامسة والربع في ١٥ سبتمبر ١٩٣١م،

وبعد ساعة تحديداً صدر منطوق الحكم بالإعدام شنقاً حتى الموت،

وعندما ترجم له الحكم، قال الشيخ "إن الحكم إلا لله . . . لا حكمكم المزيف ... إنا لله وإنا إليه لراجعون" .

وفي صباح اليوم التالي للمحاكمة الأربعاء، ١٦ سبتمبر ١٩٣١م، اتخذت جميع التدابير اللازمة بمركز سلوق لتنفيذ الحكم بإحضار جميع أقسام الجيش والميليشيا والطيران،

وأُحضر ٢٠ ألفا من الأهالي وجميع المعتقلين السياسيين خصيصاً من أماكن مختلفة لمشاهدة تنفيذ الحكم في قائدهم.

وأُحضر الشيخ عمر المختار مكبل الأيدي، وعلى وجهه ابتسامة الرضا بالقضاء والقدر، وبدأت الطائرات تحلق في الفضاء فوق المعتقلين بأزيز مجلجل حتى لا يتمكن عمر المختار من مخاطبتهم،

وفي تمام الساعة التاسعة صباحاً سلم الشيخ إلي الجلاد، وكان وجهه يتهلل استبشاراً بالشهادة وكله ثبات وهدوء، فوضع حبل المشنقة في عنقه، ونُقل عن بعض الناس الذين كانوا على مقربة منه أنه كان يؤذن في صوت خافت أذان الصلاة، والبعض قال إنه تمتم بالآية الكريمة "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية" ليجعلها مسك ختام حياته البطولية. وبعد دقائق صعدت روحه الطاهرة النقية إلي ربها تشكو إليه عنت الظالمين وجور المستعمرين.

وسبق إعدام الشيخ أوامر شديدة بتعذيب وضرب كل من يبدي الحزن أو يظهر البكاء عند إعدام عمر المختار، فقد ضرب جربوع عبد الجليل ضرباً مبرحاً بسبب بكائه عند الإعدام. ولكن علت أصوات الاحتجاج ولم تكبحها سياط الطليان، فصرخت فاطمة العبارية وندبت فجيعة الوطن عندما علا الشيخ شامخاً مشنوقاً، ووصفها الطليان "بالمرأة التي كسرت جدار الصمت" .

لقد داس بادوليو وعصابته على القيم العسكرية التي تقضي باحترام الخصم الشجاع الشريف، كما فعلت فرنسا مع الأمير عبد القادر الجزائري وأسبانيا مع عبد الكريم الخطابي وبريطانيا مع العديد من زعماء مصر وفلسطين .

لقد ضم اسم عمر المختار إلى قائمة الخالدين وعرفه العالم أجمع كبطل من أبطال الحرية، في حين وقع بادوليو على وثيقة استسلام إيطاليا وخروجها من الحرب العالمية الثانية مهزومة مدحورة، وقد فر في نفس الليلة هو وحكومته والأسرة المالكة على ظهر سفينة حربية إلى جنوب إيطاليا للاحتماء بالأميركيين تاركين روما بدون حكومة .

ولكن جذوة الجهاد لم تنطفئ، واستمر الشعب الليبي في جهاده ضد الاستعمار إلى نهايات الحرب العالمية الثانية، قدم خلالها الليبيون تضحيات عظيمة في سبيل وطنهم، حتى تم خروج آخر جندي إيطالي من ليبيا في ٢٥ من يناير ١٩٤٣ .

ويروي الصحافي الدانمركي كنود هولمبو في مذكراته مشاهداته في ليبيا و هي تئن تحت نير حكم الفاشست في سنة ١٩٣٠، حيث كان مقيما في المغرب، وقرر القيام برحلة طويلة بسيارته عبر شمال إفريقيا المحتلة، حتى وصل أخيرا إلى منطقة طرابلس الغرب، إذ لم يكن اسم ليبيا مستعملا آنذاك، ليشاهد هناك هو وزوجته، التي كانت تصحبه، الاضطهاد الفاشستي لليبيين !!

يقول هولمبو الذي يعتز به الليبيون كثيرا، لأنه لم يكن أميناً في وصفه لكفاحهم الرائع ضد الاحتلال الإيطالي، فحسب، بل كان أيضا متعاطفاً مع قضيتهم العادلة

لأبعد الحدود .. حتى إن الطليان اغتالوه – فيما بعد– عندما أصبح مدافعاً عن هذه القضية ..

انظر إليه ماذا يقول في مذكراته، التي تميل إلى "أدب الرحلات":

" شاهدنا الأعلام المثلثة الألوان على جميع الأبنية الرسمية، و الشباب الفاشستي بقمصانهم السوداء يسيرون في عرض الشارع منشدين النشيد الفاشستي . وفي كل مكان علق الشعار الفاشستي مع تاريخ السنة التي ابتدأت فيها إيطاليا الجديدة: السنة الثامنة من عهد موسوليني. أما الجدران فقد رسم عليها رأس الديكتاتور باللون الأسود . وبدت مجموعة الرؤوس كأنها مجموعة من رؤوس الموتى . وتحت كل رأس وضع شعار : "من ليس معنا فهو ضدنا "

بدأنا بعد قليل نسمع أول ألحان النشيد الفاشستي . وكان الإيطاليون يصرخون بينما بقى العرب على صمتهم . ومر حملة الرايات بسرعة وهم يرفعون أربعة أعلام ممزقة. إنها الرايات التي أحضرت من مرزق و فزان في أقصى الجنوب من المستعمرة، حيث استطاعت القوات الإيطالية بقنابلها ومدافعها الرشاشة أن تنتزعها من أيدي قلة صغيرة من البدو.

وارتفعت أيدي الإيطاليين بالتحية حين مرت الرايات و ارتفع معها الهتاف: عاش موسوليني عاشت إيطاليا. و أخذ رجال الشرطة يرمقون الناس محذرين، فارتفعت ببطء أيدي العرب و كان اليهود قد سبقوهم إلى التحية بحماس غير أن العرب لم يشاركوا في الهتافات إطلاقا ."

تحدث كنود مع جندي إيطالي و سمع منه رأيه في المقاتل عمر المختار:

"إن البدو يحاربون كالجن، يقودهم رجل غريب يدعى الشيخ عمر المختار. وهو عجوز ناهز السبعين لا يترجل عن جواده أبدا، يتنقل به من مكان لآخر، وحين نظنه في مكان معين ونتهيأ للقبض عليه، إذا به يتبخر فجأة " .

كما تعرف كنود على الطفل اليتيم محمد ذي الاثني عشر ربيعا الذي قتل والده على يد الإيطاليين وكلفه بحراسة سيارته خلال ساعات النهار . وبعد محاولات عدة استطاع كنود الحصول على إذن مرور للسفر إلى بنغازي، وذلك مقابل توقيعه مستندا هو و رفيقه الأميركى بمكتب نائب الحاكم بعدم تحميل السلطات الإيطالية أية مسؤولية مقابل أية أضرار قد تقع لهما بالطريق، حيث إن منطقة برقة كانت في حالة حرب مستمرة ضد الغازي الإيطالي. كما أن اليتيم محمد طلب مرافقتهما إلى بنغازي للعيش مع عم له يقيم هناك، مما جعل كنود يقابل زوج أم محمد ويطلب موافقته على اصطحابه معه، والتي حصل عليها بعد ممانعة أولية، وحزنت الأم التي لا تعرف إذا كانت ستراه مرة أخرى أم لا .

وهكذا غادر الرفاق الثلاثة، دانمركي وأمريكي ويتيم عربي، طرابلس نحو المجهول. وسارت الرحلة بلا مشاكل حتى مدينة سرت حيث قاربت منطقة برقة والحرب ما زالت دائرة هناك . وها هو كنود يصف تجمعاً للبدو على مشارف سرت يبدو كأنه بداية ترحيل البدو لمعسكرات الاعتقال الفاشستية :

"وتحت سرت كانت تقوم مضارب ضخمة للبدو و كانت النيران تتألق خارج الخيام. وذهب تاربوكس لينام ولكن محمد وأنا ذهبنا لإلقاء نظرة على المعسكر. في الواقع لم أشهد مثل هذا الفقر. كانت النساء ترتدي أسمالا بالية يلففن بها أجسامهن، وكان الرجال في حالة أشد سوءا. وهرع الأولاد الجياع نحونا يستجدون النقود .

وسألت أحد أفراد البدو : كم مضى عليكم من الوقت هنا ؟

وأجاب: ثلاثة أشهر، و لا نعرف متى يسمح لنا بالرحيل. إن حياتنا تتوقف على التنقل . وهنا لا يتوافر الكلأ لماشيتنا . وينبغي علينا الآن أن نبيع بعضا منها لنتمكن من تأمين الغذاء لنا و لشراء العلف لما يتبقى منها . وفي الحقيقة لا أدرى ما يمكن أن يحل بنا .

- و هل يريدون منكم أن تتوطنوا في مكان واحد ؟

- الله و حده يعرف ماذا يريدون ... "أعتقد أنهم يريدوننا أن نموت".

ويستمر كنود في رحلته شرقا من سرت حيث لا يوجد طريق معبد و لا علامات حياة، وفي هذه الصحراء القاحلة و المجدبة ما بين النوفلية والعقيلة تتعطل السيارة بالرفاق الثلاثة ويتوهون في الصحراء: "وهكذا غدا الوضع يائسا : لم يكن لدينا ماء، كما لم نأكل شيئا طيلة الساعات الثماني والأربعين الماضية بسبب ما عانيناه من اضطراب معدنا بعد تناولنا الماء الملوث . وكان يستحيل علينا ازدراد الطعام بدون ماء. وبعد بحث عاجل قررنا التخلي عن السيارة . وشربنا بقدر ما نستطيع من الماء الموجود في الرادياتور و أخذنا الباقي معنا . و هكذا بقى لدينا أمل ضعيف في الوصول إلى بئر مردومة أحياء."

قارب كنود ورفيقاه الموت بسبب العطش و الجوع ورياح القبلي و برودة ليالي الصحراء القارية، و شاهدوا في مأساتهم مأساة الآخرين متمثلة في جثث المقاتلين العرب مبعثرة في الصحراء والحيوانات النافقة، حتى قيضت لهم النجاة عن طريق الإيطاليين الذين بدأوا البحث عنهم، عند عدم وصولهم للعقيلة كما كان متوقعا . كما قابلوا بعض المجاهدين في طريقهم إلى الكفرة التي مازالت حرة، ولم يتعرضوا للأذى عندما عرفوا أن كنود كان مسلما، كما عرفوا الشهيد والد محمد عندما حكي لهم قصته . وهكذا وصلوا في نهاية المطاف إلى بنغازي، حيث فارقهم محمد للإقامة مع عمه، كما أن قصتهم أصبحت معروفة عن طريق نشرها بالجريدة الإيطالية المحلية . وأقام كنود و رفيقه الأمريكي في فندق البيرجو إيطاليا .

وفي بنغازي رأى كنود المشانق التي تنصب كل يوم لتنفيذ أحكام الإعدام بحق المجاهدين أو من يشك بأية صلة لهم، ويتعرف على صاحب مكتبة يهودي وصديقه المسلم المثقف أحمد على، الذي عرفه على الطرق الصوفية وعلى كتاب المصري عمر بن الفارض، وأفكار الغزالي، وانتهاء بالحركة السنوسية التي تقود الجهاد

ومقاومة الغازي في برقة من ملاذها الأخير في واحة الكفرة. كما يتعرف على الضابط الإيطالي فورنارى الذي كان أسيرا في الكفرة حيث لم تطأ من قبل قدم أوربي،عدا الألماني رولف و الأسير الفرنسي من تشاد والإنجليزية روزيتا فوربيس، ويسمع منه حكايته . وها هو يصف لنا احتفالا شاهده بمناسبة تسليم البنادق للشبيبة الفاشستية، وحضره حاكم برقة الجنرال جراتسياني، فيقول :

"وعزفت إحدى الجوقات النشيد الفاشي، وانطلقت حناجر جميع الفتيان بالهتاف، فقد ظهر الجنرال جراتسياني على شرفة مقر الحكومة، وكان طويل القامة نحيلا وذا سحنة مقدودة هي شكل نموذجي للجندي. ولم يكن يحسن الخطابة جيدا، وكان صوته يشبه النباح الصادر عن المشتركين في الاستعراض .

وصرخ قائلا : أيها الفتيان لقد تسلمتم اليوم بنادقكم . إنها البنادق التي ستستخدمونها دفاعا عن إيطاليا التي نحبها جميعا، ومن أجل تعزيز جبروتها. عليكم ألا تنسوا لحظة واحدة بأنكم إيطاليون، رومانيون، وتذكروا أن أجدادكم وطئوا مرة أرض هذه البلاد. أنتم رومانيون تقاتلون البرابرة، فكونوا رحماء معهم، ولكن كونوا دائما أسيادهم . تذكروا أنكم رومانيون .

ورفع الجنرال جراتسياني يده مشيرا بالعلم الإيطالي المثلث الألوان و قال:

- "إن الراية الإيطالية تخفق مجددا فوق هذه البلاد، وستظل تخفق إلى الأبد. عاشت إيطاليا "

وفي نهاية المطاف يقابل كنود جراتسياني ويقنعه بإعطائه إذن المرور المطلوب لتكملة رحلته حتى مصر، مقابل توقيع نفس التعهد بعدم تحميل السلطات الإيطالية أية مسؤولية عن أى ضرر قد يقع له .

وبعد أن أنهى كنود الصيانة الكاملة لسيارته في بنغازي، غادرها تاركا رفيقي رحلته سابقا فيها،حيث إن محمدا استقر مع عمه وبدأ مباشرة عمل له، أما صديقه

الأميركي فقد قرر عزمه على الرجوع إلى أوربا . وفي طريقه للمرج شاهد تنفيذ شنق ثلاثة من المحكوم عليهم بالإعدام عن طريق المحاكم الطائرة . وفي المرج تعرف على الحاكم العسكري الإيطالي بها الكومندان ديودييس، ولعله الإيطالي الوحيد الذي يعرض عنه صورة إنسانية غير ملوثة بالتطرف الفاشي للآخرين، ولكنه كما يبدو كان حذرا حتى في إبداء آرائه الحقيقية و لكن نفهم من كلامه مع كنود بأنه كان يفضل لغة الحوار والتعايش، و يعتقد بأنه من الممكن السلام عن طريق المصافحة باليد.

يغادر كنود المرج و يدخل في الجبال و الغابات التي كانت الملاذ لعمر المختار ومقاتليه، حيث كانوا يحاربون حربا ضروسا لا رحمة ولا شفقة ولا أمل في النصر فيها، قرارهم الوحيد الاستمرار والشهادة . ويتم أسره من قبل بعض هؤلاء المقاتلين الذين عاملوه كعدو في البداية و لكن بعد التأكد من شخصيته و كونه مسلما ووجود القرآن معه بالإضافة إلى تكلمه العربية، تغيرت معاملتهم له، بل قضى معهم ليلة سمر حيث استمع إلى قصصهم، وفي صباح اليوم التالي تركوه يواصل طريقه سالما.

٨- موسوليني - أثيوبيا

المسلة شاهدة على المأساة!



■ وضع بنيتو موسوليني عينه على أثيوبيا كمستعمرة اقتصادية ليضيفها إلى الأراضي الإرترية والصومال التابعة لإيطاليا في شرق أفريقيا منذ ١٩٢٠،وكان يأمل في توطين عشرة ملايين إيطالي في شرق أفريقيا. وعلى الرغم من عضوية إثيوبيا في عصبة الأمم والتي منحتها حق اللجوء إلى الدول الأعضاء طلباً للمساعدة في حالة تعرضها لأي غزو، فإن موسوليني فعلها، ولم يكترث !!

٨- موسوليني - أثيوبيا

المسلة شاهدة على المأساة!

في عام ٢٠٠٠، أعلنت الحكومة الإيطالية أنها ستعيد إلى إثيوبيا أشهر آثارها، وهي مسلة "أكسوم" الضخمة، التي سرقها جنود موسوليني إبان الاحتلال الإيطالي لإثيوبيا، قبل أكثر من ستين عاما ونقلوها إلى العاصمة الإيطالية روما !!

فعلى الرغم من مرور كل هذه السنوات على سرقة قوات الفاشي المسلة الإثيوبية، فإنها لا تزال تحتل مكانها في قلب العاصمة الإيطالية أمام المقر الرئيسي لمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة، وبالقرب من المسرح الروماني الشهير !!

والمعروف أن مدينة أكسوم التي أخذت منها المسلة هي إحدى أهم المدن التاريخية في إثيوبيا وتعد مهد الحضارة الأثيوبية القديمة !!

وقد أعاد هذا الوعد الإيطالي بإعادة المسلة إلى إثيوبيا إلى الأذهان من جديد صفحة من صفحات ديكتاتورها السوداء، واحتلاله لإثيوبيا، في واحدة من أشرس نزواته التوسعية، والتي كان يعتبرها مجرد محطة لاجتياح وسط القارة وجنوبها، ولكن الوقت لم يمهله !!

وقبل الحديث عن دور موسوليني الرهيب في أثيوبيا يجدر بنا التوقف عند ولادة فكرة الاستعمار الإيطالي لهذا البلد، ففي الجزء الأخير من القرن التاسع عشر. انعقد مؤتمر برلين في عام ١٨٨٤ حيث عقد اتفاق بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا والبرتغال وبلجيكا على اقتسام القارة الأفريقية، فاستعمرت بريطانيا كل من النيجر ونيجيريا وزنجبار وجنوب أفريقيا والسودان ومصر وكينيا

وأوغندا وروديسيا، في الوقت الذي احتلت فيه فرنسا تشاد والجابون ومدغشقر والجزائر وتونس وجيبوتي ومراكش، وحصل ملك بلجيكا على الكونغو كملك خاص، وحصلت البرتغال على أنجولا وموزمبيق وغزت ألمانيا توجو والكاميرون.

وكانت إيطاليا منقسمة إلى عدة دويلات، وكان الجزء الشمالي للبلاد تحت نير الحكم النمساوي ، وبعد كفاح طويل وثلاث حروب من أجل الاستقلال، استطاع الإيطاليون توحيد البلاد والتحرر من السيطرة الأجنبية، وتكونت بذلك في سنة ١٨٦١ المملكة الإيطالية الموحدة، ولكن بدون روما وفينيسيا اللتين انضمتا فيما بعد إلى هذه المملكة.

وخلال سنتين فقط من نيل إيطاليا لاستقلالها بدأت تفكر في المستعمرات حتى يكون لها مناطق نفوذ في القارة السمراء تماما كفرنسا وبريطانيا ، وبدأ مستكشفو هذه الدولة التي كافحت من أجل الحرية والمساواة، يجوبون البحر المتوسط والبحر الأحمر ويرسلون تقاريرهم إلى بلدهم ليستعبدوا شعوب هذه المنطقة.

وكتب بالفعل "كريستوفورو نيجري" في ٣٠ أغسطس ١٨٦٣ في مجلة "لوبنيوني دي تورينو" ما يلي : "لا توجد دولة أكثر من إيطاليا ينبغي عليها أن تهتم بموضوع الشرق الأوسط والبحر الأحمر:

إذا وقعت مثلا مصر تحت الحكم الإنجليزي ومعها قناة السويس، وإذا وقعت تونس تحت فرنسا ، وإذا ما دخلت النمسا في دالمازيا عن طريق ألبانيا، فسنجد أنفسنا في نصف البحر الأبيض المتوسط بدون أن نحصل حتى على الهواء اللازم للتنفس"... "إن إيطاليا كدولة بحرية إذا أرادت ألا تبقى منعزلة في البحر الأبيض المتوسط، فينبغي عليها أن تحصل على مواقع في أماكن غير بعيدة عن الساحل الإيطالي، وفي هذه المواقع يجب إنشاء اثنين أو ثلاثة موانى، لاستعمالها من قبل الأسطول الإيطالي وذلك لإتمام التنسيق الاستراتيجي" .

وتحدث نفس الكاتب عن العوامل السكنية على النحو التالي : "إن عدد سكاننا يتزايد باستمرار، حيث نتج عن ذلك اتساع الهجرة إلى البلدان الأجنبية ولوضع حد لتثبيت آلاف من الإيطاليين حول العالم. تزدهر بأعمالهم بلدان أخرى. فإنه ينبغي تنظيم هذه الهجرة وتوجيهها نحو أرض تكون تابعة لنا."

وقال وزير خارجية إيطاليا (ماتسني) في عام ١٨٨٥ مقولته المشهورة : "إن مفاتيح البحر الأبيض المتوسط هي في الحقيقة في البحر الأحمر، فمن تكون له السيادة في هذا البحر الأحمر يتحكم في البحر المتوسط فالبحر الأحمر طريق بحرية استراتيجية تهم العالم كله ويجذب التنافس الخارجي والصراعات المختلفة".

ومنذ افتتاح قناة السويس ١٨٦٩ اكتسبت قضية البحر الأحمر أهمية عالمية، وسعت الدول الاستعمارية : بريطانيا وفرنسا وإيطاليا إلى احتلال المنطقة والتأثير على مصائرها، وخلق صراعات جديدة في المنطقة. أضافت إليها عناصر عرقية وإقليمية غير متجانسة ففصلتها عن موطنها الأصلي وأبناء جلدتها وحشرتها في جغرافية صنعها الاستعمار.

وعلى كل حال ومن خلال الاتفاقيات المبرمة بين الدول الأوربية الكبرى المستعمرة وإيطاليا فيهم، تم توزيع مناطق النفوذ ، وقررت إيطاليا أن تتقاطع بين فرنسا في جيبوتي وبريطانيا في السودان، وعليه سعت إلى أن ترسخ أقدامها في إرتريا عبر المناطق التي تقطنها قبائل عفر ،عبر خداع السلطان إبراهيم سلطان قبائل عفر ، في عصب وضواحيها. حينما جاء إليه المبشر سابيتو الذي أقنعه بحسن نيته ليشتري (أو يستأجر على خلاف بين الروايات) منه قطعة أرض وذلك لحساب شركة روباتينو للملاحة البحرية الإيطالية لتكون محطة تموين لسفنها على خليج عصب.

وفي أبريل عام ١٨٨١ وصلت بعثة إيطالية مسلحة قوامها خمسون رجلاً على ميناء عصب، ثم توغلت تدريجياً إلى عمق أرض الدناكل، وفي "بيلول" بمنطقة دنكاليا أبيدت البعثة عن آخرها.

وفي الخامس من يونيو عام ١٨٨٢، أعلنت شركة روباتينو الإيطالية عن تنازلها عن ممتلكاتها في عصب للحكومة الإيطالية، وصدر في نفس الوقت مرسوم إيطالي يقضي بتحويل عصب إلى مستعمرة إيطالية، ورحبت بريطانيا بهذا الاستيطان الاستعماري الإيطالي لإرتريا لأنها كانت تخشى من انتشار النفوذ الفرنسي، الذي استولى على جيبوتي في البحر الأحمر.

وفي يناير ١٨٨٥ أصدرت الحكومة الإيطالية أوامرها لقواتها العسكرية باحتلال مصوع، وبالفعل بعد أن أنذرت الحامية المصرية الضعيفة والمتواجدة في المدينة، وصلت السفن البحرية الإيطالية ميناء مصوع يوم الخامس من فبراير عام ١٨٨٥،فاحتلت المدينة بعلم ومباركة بريطانية في وقت قصير من شراء الأرض، ثم زحفت على داخل الأراضي الإرترية ومدت نفوذها في جميع الاتجاهات وانتهى ما سمته الاحتلال السلمي.

وأعلن الملك أمبرتو الأول ملك إيطاليا في عام ١٨٩٠ إرتريا مستعمرة إيطالية في شرق أفريقيا.

وقد تميز الحكم الاستعماري الإيطالي في إرتريا بالعنصرية الفاشية حيث استولى الإيطاليون على الأراضي الزراعية الخصبة وبنوا المدن الحديثة وشبكة من الطرق العصرية، وأقاموا صناعات حديثة وطوروا ميناء مصوع على البحر الأحمر والذي ارتبط بخط "تلفريك" لنقل البضائع من الميناء إلى العاصمة "أسمرا".

كما أنشأوا خطا للسكك الحديدية يربط الميناء بأسمرا ويمتد حتى مدينة كرن في الوسط وأغوردات في الغرب، وذلك لجعل إرتريا قاعدة للإمبراطورية الإيطالية في شرق أفريقيا وقد حرص الإيطاليون على حرمان أبناء إرتريا من الاستفادة من خيرات بلادهم فمنعوهم من حق التعليم إلا في أضيق الحدود، بل طبقوا سياسة الفصل العنصري في العاصمة أسمرا التي بنوها على أحدث الطرز المعمارية لتكون مدينة إيطالية في قلب أفريقيا، ولم يسمحوا للسكان من أبناء إرتريا بالإقامة في الأحياء الإيطالية الراقية.

كان للساسة الإيطاليين ، وخاصة رئيس الوزراء "كريسبي" . الذي شغل المنصب بين عامي ١٨٨٧ و١٨٩٦، نية توسيع نفوذ الإمبراطورية الاستعمارية الإيطالية في منطقة شرق أفريقيا التي سماها " شرق أفريقيا الإيطالي"، وتضم إرتريا وإثيوبيا والصومال .

وقد أيد الفكرة بشدة كل من الكنيسة الكاثوليكية وأصحاب المصالح الاقتصادية في إيطاليا. وكان الإيطاليون قد تمكنوا من التسلل إلى الحبشة وأقاموا قواعدهم فيها بدعوى حماية المسيحيين من الثورة المهدية التي اشتعلت في السودان خلال ثمانينيات القرن التاسع عشر، وعقدت إيطاليا في الثاني من مايو١٨٨٩ معاهدة مع الملك منيليك الثاني ملك إثيوبيا، عرفت بمعاهدة "أوشالي" استهدفت منها إيطاليا تأكيد نفوذها في إثيوبيا.

وقد تضمنت تلك المعاهدة اعتراف منيليك الثاني بسيادة ملك إيطاليا على الأراضي الإرترية وعدم وجود أي أحقية لإثيوبيا عليها، وجاء في النص : "إن جلالة ملك إثيوبيا يقبل أن يعهد إلى حكومة جلالة ملك إيطاليا في مفاوضات الدول والحكومات الأجنبية في كل شأن من الشؤون التي يريد أن يخاطبها فيه" .

واعتبرت إيطاليا هذه المعاهدة بمثابة قبول من الإمبراطور بالحماية علي بلاده، في حين أن الرجل كان يتصور إنها معاهدة صداقة وتعاون، وقالت إيطاليا إن إثيوبيا يجب أن تكون كل اتصالاتها الخارجية عبر إيطاليا.

ورفض منيليك هذا التفسير للمادة ١٧ من المعاهدة وألغي المعاهدة برمتها، وكان هذا سببا مباشرا في نشوب الحرب بينهما، وعندما تقدمت إيطاليا في الأراضي الإثيوبية حقق الإمبراطور منيليك الثاني النصر عليها في معركتي إمبالاجي عدوى، و"تجراي" عام ١٨٩٦، وقد هزمت إيطاليا شر هزيمة .وبذلك كبح منيليك جماح الطموح الإيطالي، وأفشل هذه المرة سياسة "التوسع السلمي" .

وتمكن منيليك بعدها بكل سهولة من توحيد أثيوبيا ، وبدأت نهضة جديدة للأمة الأثيوبية،، فلم تكن لأثيوبيا قبل عام ١٨٨٧ عاصمة أو مقر دائم للحكومة، إذ كانت عواصمها تتغير تبعا لتغير الملوك والرؤساء، وكان اختيار المدينة التي تكون عاصمة يعتمد على الملك الذي يعد قاهرا في حربه على الملوك الآخرين.

ولقد وقع اختيار الإمبراطور منيليك الثاني. الذي حكم من عام (١٨٨٩-١٩١٣) كإمبراطور لأثيوبيا - على أديس أبابا لتكون عاصمة لبلاده ومنطلقا لإعادة توحيد أثيوبيا المنقسمة والمجزأة، وحرص على تبني سياسات التحديث، ونجح في قبول إثيوبيا عضوا في عصبة الأمم التي تأسست بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩٢٣، كما أصدر قانونا بإنهاء الرق وتجارة العبيد في العام نفسه.

وفي الثالث من إبريل من عام ١٩٣٠، اعتلا (تفري مكونن) العرش باسم هيلاسيلاسي الذي حرص منذ توليه عرش إثيوبيا على مواصلة مشروع التحديث، وأصدر أول دستور لأثيوبيا عام ١٩٣١.

وعودة إلى موسوليني نجد أن هذا الديكتاتور وضع عينه على إثيوبيا كمستعمرة اقتصادية ليضيفها إلى الأراضي الإرترية والصومال التابعة لإيطاليا في شرق أفريقيا منذ عام ١٩٢٠، وكان يأمل في توطين ١٠ ملايين إيطالي في شرق أفريقيا، وعلى الرغم من عضوية أثيوبيا في عصبة الأمم والتي منحتها حق اللجوء إلى الدول الأعضاء طلبا للمساعدة في حالة تعرضها لأي غزو، فإن إيطاليا - الدولة العضو أيضا بعصبة الأمم - هاجمت أثيوبيا في ٢ أكتوبر ١٩٣٥ جوا وأرضا، ودارت الحرب مدة ٧ أشهر، تمكنت فيها إيطاليا من احتلال العاصمة أديس أبابا، في بداية عام ١٩٣٦ . واعترض الإمبراطور بشدة على هذا الاحتلال، وخرج إلى المنفى في ٢ مايو ١٩٣٦ إلى إنجلترا، وازدادت حيرة العالم وأرادت وكالات الأنباء ملاحقة الإمبراطور هيلاسلاسى في الخارج لمعرفة ردود فعله ، ولكنه تكلم عن رد فعل عصبة الأمم الذي كان ضعيفا، حيث إنها لم تفرض عقوبات كبيرة على إيطاليا خشية أن يؤدي الحظر

إلى إغلاق قناة السويس، مما يحول دون وصول جميع الإمدادات والتعزيزات التي تحتاجها إيطاليا - إلى نشوب حرب وأن تحصل إيطاليا على البترول التي تحتاجه من الولايات المتحدة والتي لم تكن طرفا في اتفاقيات عصبة الأمم.

واقترحت بريطانيا وفرنسا، بدافع الخوف من أن تكون الحرب العامة ستشكل ضررا على أمنهما الجماعي.

وعليه عقدتا مفاوضات سرية مع إيطاليا يتم خلالها منح إيطاليا منطقة في شمال شرق إثيوبيا في مقابل أن ينهي موسوليني عدوانه على إثيوبيا. وتم الاتفاق على عدم إعلام أثيوبيا بهذه المفاوضات إلا بعد أن تصبح واقعا حتى لا يعترض هيلاسيلاسي على هذه الشروط. ويمكن لبريطانيا وفرنسا بعد ذلك معارضة أي عقوبات تفرض على إيطاليا.

ويبدو أن خطط المفاوضات السرية التي تم تسريبها إلى الصحافة وضعت بريطانيا وفرنسا في موقف حرج أمام الإعلام، لتضامنهما ضد عضو ضعيف في عصبة الأمم، ولكن فيما بعد وجدت مجموعة من العوامل التي أدت إلى تلاقي بريطانيا والإمبراطور هيلا سيلاسي.

فمنذ اشتعال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وانضمام إيطاليا في يونيو عام ١٩٤٠ تحت قيادة بنيتو موسوليني إلى المحور الذي قادته ألمانيا النازية ضد دول الحلفاء بقيادة بريطانيا، أدركت بريطانيا أن القرن الأفريقي سيشهد مرحلة حاسمة من مراحل الصراع ، وأن إثيوبيا ستلعب دورا مؤثرا في تحديد النتيجة النهائية لهزيمة إيطاليا.

فعاد هيلاسلاسي إلى السودان متحالفا مع القوات البريطانية، التي كانت تحتل مساحات شاسعة من أفريقيا ومنها السودان، حيث أقام في مدينة حلفا في الشمال مرة، وفي الخرطوم مرة أخرى.

وقام بحشد قوات مشتركة من المقاومة الأثيوبية والقوات البريطانية، قامت بمحاصرة منطقة قوجام في أبريل ١٩٤١، واجتاحت القوات البريطانية الحدود الأرترية مع السودان واستولت على المنطقة الغربية، ثم تقدمت في اتجاه كرن وألحقت سلسلة هزائم بالقوات الإيطالية المتمركزة فيها.

وليس من قبيل الصدفة أن تنسجم ميول بريطانيا مع فرنسا التي كانت تحتل جيبوتي في ذلك الوقت، ولكن الجنرال ديجول المتحالف مع بريطانيا سمح لها بمهاجمة القوات الإيطالية في الحبشة، حتى تحرم إيطاليا من قاعدة مهمة لها في البحر الأحمر والقرن الإفريقي، وهي طبعا إرتريا، وتُفتح عليها جبهة جديدة غير التي كانت تدور في عام ١٩٤٠ على أرض مدينتي برقة وبنغازي في ثاني أهم مدن ليبيا.

وتمكنت قوات فرنسا الحرة من نجدة حليفها البريطاني، مرسلة قوات من وحدات اللواء الأجنبي، وقوات أفريقيا الاستوائية والكاميرون، وجنود البحرية، وكتيبة من الخيالة المغاربة، وفوجين من الجنود السنغاليين والمدفعية، للمشاركة في المعارك التي أسفرت عن سقوط مدينة كرن الإرترية.

وعن ذلك يروي ديجول في مذكراته: "خضنا معارك عنيفة في كرن رغم صعوبة الأرض وحرارة الجو المرعبة، أظهرنا بسالتنا وبراعتنا في المناورة، وتمكنت قواتنا من تحطيم مقاومة الإيطاليين الذين حاربوا بشجاعة. أسرنا ٩١٥ إيطاليا بينهم ٢٨ ضابطا، وغنمنا كميات كبيرة من المعدات الحربية. وقد اشتركت قاذفات قنابلنا بنجاح في العمليات الجوية، وأسهمت فرنسا إلى جانب بريطانيا إسهاما كبيرا في سقوط مدينة كرن".

وفي ١٠ من إبريل ١٩٤١ تمكنت قوات الحلفاء من احتلال مصوع وأسرت ٤٥٠ إيطاليا في محور قبقب وتسعمائة في كرن وسبعمائة على مشارف مصوع وعدة ألوف داخل المدينة نفسها، وكانت خسائر قوات الحلفاء طفيفة للغاية، لم تتجاوز منذ البداية مائة وخمسين، وكان معظمهم من الجرحى.

ولم تتوافر الفرصة لأفواج ديلانج وبويون ورو، من جنود البحرية والدبابات والمدفعية للاشتراك في القتال لأنها كانت في الطريق أو في عرض البحر، وتحقق النصر النهائي للحلفاء .

انهارت المقاومة الإيطالية التي تطاردها القوات البريطانية ومن معها، حتى تمكنت الأخيرة من الاستيلاء على إرتريا بالكامل وإجبار القوات الإيطالية على الانسحاب من أثيوبيا، وخرجت إيطاليا مستسلمة، بعد أن أخذت مسلة أكسوم الأثرية المصنوعة من الجرانيت والتي تزن ٢٠٠ طن . وهي كنز إثيوبي يعود تاريخه إلى ١٧٠٠ عام، وتعد رمزا وفخارا للحضارة الأثيوبية، استولت عليها إيطاليا عام ١٩٣٧ خلال الحكم الفاشي لأثيوبيا، ونصبها موسوليني في قلب روما كرمز لانتصار إيطاليا على أثيوبيا قبل هزيمته وإخراجه من كل مستعمراته مستسلماً للحلفاء بدون شروط.

وفي مايو من عام ١٩٤١ عاد الإمبراطور الإثيوبي هيلاسيلاسي من المنفى إلى العاصمة الإثيوبية أديس أبابا بعد خمسة أعوام من الاحتلال الإيطالي لها.

٩- حرب عالمية ثانية..

دماء ودمار !!



■ ومع ازدياد التقارب الألماني - الإيطالي بسبب اعتراف هتلر بالاحتلال الإيطالي للحبشة، زادت مساحة التباعد بين إيطاليا وكل من بريطانيا وفرنسا لموافقتهما على فرض عصبة الأمم عقوبات ضد إيطاليا، فأعلن موسوليني خروج بلاده من عصبة الأمم ليسكب البنزين على النار !!

٩- حرب عالمية ثانية .. دماء و دمار !!

لا يمكن الحديث عن الحرب العالمية الثانية "١٩٣٩-١٩٤٥" و الدور الرئيسي الذي أداه الزعيم الفاشستي موسوليني، والزعيم النازي أدولف هتلر في إشعالها، وتغذيتها بالوقود اللازم لتحرق أوربا بأكملها، دون الوقوف قليلاً عند النتائج التي تمخضت عنها الحرب العالمية الأولى .

فقد تأثرت العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الأولى بمواقف الدول، فهنالك دول تضررت بعد مؤتمر فرساي وهي ألمانيا وإيطاليا واليابان، وقد أثرت سياسة هذه الدول على سياسة الدول الكبرى : بريطانيا وفرنسا وروسيا وأمريكا، حيث كان التباعد والتناقض واضحا بين هذه الدول .

فألمانيا لم توافق على شروط فرساي ولا على حدود عام ١٩١٩. وأخذت تستعيد قوتها بالتعاون مع روسيا.

ومع صعود النازية إلى الحكم أخذ هتلر في اتباع سياسة توسعية فأعاد إقليم السار، وحصن منطقة الراين، وأنشأ جيشا كبيرا وتقرب من إيطاليا وبريطانيا، وعمل على عزل فرنسا وقطع علاقته مع روسيا، ولكن في عام ١٩٣٩ غير موقفه من روسيا وعقد معها اتفاقية روبنتروب - مولوتوف، وكان من أهم بنودها الهجوم على بولندا.

أما إيطاليا، فقد شعرت بخيبة أمل كبيرة من قرارات مؤتمر فرساي، وفي سنة ١٩٢٢ وصلت الفاشية بزعامة موسوليني إلى السلطة في إيطاليا، وقد اتبع الدوتشي سياسة التوسع والتقرب من ألمانيا بعد احتلال إيطاليا للحبشة. وفي عام ١٩٣٥

تأزمت العلاقات بين إيطاليا وفرنسا ، وفي عام ١٩٣٦ تدخلت إيطاليا في الحرب الأهلية الأسبانية (١٩٣٦- ١٩٣٩) .

وبالنسبة لروسيا، فقد اتبعت سياسة مؤيدة لألمانيا بعد اتفاقية رابالو سنة ١٩٢٢ واستمرت هذه العلاقة حتى سنة ١٩٣٤، عندما قطع هتلر علاقاته بالاتحاد السوفييتي، لتشهد الفترة اللاحقة تقارباً كبيراً بين روسيا وبعض الدول الأوروبية (فرنسا وتشيكوسلوفاكيا) لمنع التوسع الألماني نحو الشرق . كما ازداد قلق روسيا من جراء هجوم اليابان على الصين واحتلال منشوريا .

أما بريطانيا فتمحورت سياستها حول دعم ألمانيا وذلك للمحافظة على ميزان القوى، وكذلك بهدف إضعاف فرنسا . وقد قدمت بريطانيا تنازلات لألمانيا، منها موافقتها على احتلال ألمانيا للنمسا سنة ١٩٣٨ . وبلغت سياسة إرضاء الألمان أوجها في عهد رئيس حكومة بريطانيا نيفيل تشمبرلن .

وعندما نأتي إلى فرنسا، نجد أنها لم تتنازل لألمانيا عن قضية التعويضات بسبب تخوفها من هجوم ألمانيا عليها في المستقبل .

ولكن بسبب الضغوط الدولية، ومعارضة بريطانيا لفرنسا، أخذت فرنسا تبدي تنازلات لألمانيا. واهتمت فرنسا بتقوية عصبة الأمم لإعادة التعاون مع بريطانيا.

ولكن بعد صعود هتلر إلى الحكم في ألمانيا، عقدت فرنسا حلفاً عسكرياً مع روسيا سنة ١٩٣٥.

أما الولايات المتحدة، فقد عادت إلى سياسة العزلة بعد الحرب العالمية الأولى حسب "مبدأ مونرو"، ولكنها قامت بدعم ألمانيا كيلا تقع تحت التأثير الشيوعي .

وبالرغم من عدم اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الشيوعي، فإنها قدمت الدعم لروسيا الشيوعية لكي تقف في وجه الخطر الياباني . وقد استمر حياد أمريكا حتى عام ١٩٤١ حين دخلت الحرب ضد دول المحور(ألمانيا وإيطاليا واليابان) .

وبالنسبة لليابان، بعد الحرب العالمية الأولى، فقد أخذت تتوسع في منطقة الشرق الأقصى، وذلك لرغبتها في الحصول على المواد الخام لتقوية صناعاتها. وفي عام ١٩٣١ قامت اليابان باحتلال منشوريا من الصين، وأعلنت انسحابها من عصبة الأمم، و قامت بالتقارب من إيطاليا موسوليني، وألمانيا هتلر، وتشكيل محور "روما – برلين – طوكيو" ودخلت الحرب العالمية الثانية كواحدة من دول هذا المحور.

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، وبالتحديد خلال الفترة بين ١٩٢٠- ١٩٢٢ عقدت عدة مؤتمرات أهمها:-

مؤتمر واشنطن:- واشتركت فيه الدول الكبرى واقتصر عمله على الشرق الأقصى والتوازن البحري.

مؤتمر جنوا سنة ١٩٢٢ : عقد في جنوا في إيطاليا لبحث قضية التعويضات الألمانية وقضية الديون الروسية . ولكن هذا المؤتمر فشل بسبب الموقف العدائي الذي أظهرته الدول الكبرى تجاه روسيا وألمانيا.

مؤتمر رابالو سنة ١٩٢٢ : عقد بين روسيا وألمانيا وتقرر فيه التعاون المشترك بين البلدين بعد فشل مؤتمر جنوا، وقد استمر التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري بينهما حتى عام ١٩٣٣ حين صعد هتلر إلى السلطة في ألمانيا.

وبدأت بوادر الحرب الثانية تلوح في الأفق مع احتلال فرنسا منطقة فرنسا "الرور" عام ١٩٢٣ بمساعدة بلجيكا، وذلك لضمان نقل الفحم بموجب اتفاقية التعويضات. وكانت هذه المنطقة تحتوي على ٨٠٪ من مناجم ألمانيا كما كانت مركزا للصناعة الألمانية.

و قد أدى هذا الاحتلال إلى عدة نتائج وخيمة أهمها:-

- أثار رد فعل عنيفا داخل ألمانيا حيث حاول هتلر القيام بانقلاب في ميونخ ولكنه فشل وسُجن.

- أخذت ألمانيا تحرض سكان الرور الألمان على مقاومة الاحتلال الفرنسي.

- أثار الاحتلال احتجاج ومعارضة بريطانيا والولايات المتحدة واستخدمتا الضغط الاقتصادي على ألمانيا، فعُقد مؤتمر في لندن سنة ١٩٢٤ برئاسة داوز الخبير الاقتصادي الأمريكي الذي وضع برنامجاً للتعويضات الألمانية.

- تأزمت العلاقات بين ألمانيا وفرنسا وكذلك بين فرنسا وبريطانيا.

وقد مهد هذا الطريق إلى عقد معاهدة لوكارنو سنة ١٩٢٥ في سويسرا، التي اشترك فيها فرنسا وألمانيا وبلجيكا. وبتأييد بريطانيا، وبموجب هذه المعاهدة، تم تحديد الحدود المشتركة بين هذه الدول الثلاث، كما تقرر عدم اعتداء أي دولة على أخرى وحل المشاكل بالطرق السلمية .

وقد أدت هذه المعاهدة إلى تحسين العلاقات بين بريطانيا وفرنسا، ولكنها أثارت معارضة روسيا.

ثم جاء غزو اليابان لمنشوريا، حيث قامت اليابان باحتلال منشوريا من الصين عام ١٩٣١ لتحقيق عدة أهداف أهمها:

إيجاد أسواق في الصين لتصريف الإنتاج الياباني.

إيجاد حل لمشكلة ازدياد عدد سكان اليابان .

وقد استغلت اليابان حادثة تفجير خط سكة حديد ياباني في منشوريا، فرفضت طلب عصبة الأمم بالانسحاب وأعلنت خروجها من عصبة الأمم، وهذا زاد من التوتر الدولي . وكان احتلال اليابان لمنشوريا بمثابة الضوء الأخضر لدول أخرى، فجاء غزو إيطاليا للحبشة سنة ١٩٣٥ ليزيد الطين بلة، حيث قامت إيطاليا باحتلال الحبشة لبناء إمبراطورية كبيرة في أفريقيا، وقد اتبع موسوليني سياسة استعمارية توسعيه مقلداً اليابان.

وكان موقف عصبة الأمم إدانة إيطاليا ففرضت عليها عقوبات اقتصادية، ومنعت الدول الأخرى من التعاون معها .

وقد تمثلت خطورة هذا الاحتلال في :-

- ازداد التقارب الألماني – الإيطالي مع اعتراف هتلر بالاحتلال الإيطالي للحبشة، وأقيم محور روما – برلين.

- ازداد التباعد بين إيطاليا وكل من بريطانيا وفرنسا بسبب فرض العقوبات من قبل عصبة الأمم على إيطاليا.

- أعلن موسوليني خروجه من عصبة الأمم بعد أن رفض طلب بريطانيا وفرنسا الانسحاب من الحبشة، وهذا أدى إلى ازدياد التوتر الدولي.

وحتى يتم سكب البنزين على النار جاء انسحاب هتلر من عصبة الأمم، فقد أعلنت ألمانيا عام ١٩٣٣ عن انسحابها من عصبة الأمم، وذلك بعد أن رفضت الدول الأوروبية إعلان مساواة ألمانيا في مجال التسلح، وهذا الانسحاب أثار قلق وتخوف فرنسا خاصة، وبقية الدول الأوروبية عامة وساعد في اشتداد التوتر الدولي .

ثم أعلن هتلر عن ضم قطاع السار سنة ١٩٣٥ بعد إجراء استفتاء شعبي استعمل فيه الإرهاب، ونقض هتلر الشروط العسكرية والبحرية لمعاهدة فرساي وأخذ في بناء قوات برية وبحرية وجوية ألمانية، وأعاد تسليح منطقة الراين عام ١٩٣٦.

وفي نفس العام تقدم الجيش الألماني واحتل منطقة الراين وأعلن عدم الالتزام بالتعويضات التي فرضت على ألمانيا، ما زاد من تأزم العلاقات الدولية، فأخذت بعض الدول تستعد عسكريا واحتدم سباق التسلح .

ثم جاءت الحرب الأهلية الأسبانية (١٩٣٦- ١٩٣٩) **لأسباب عديدة أهمها :**

- المشاكل الاقتصادية التي واجهت أسبانيا في فترة ما بين الحربين.

- الصراع الداخلي بين أحزاب اليمين واليسار على الحكم، وقد تركز الصراع بين الجمهوريين والملكيين. فقد وصلت أحزاب يسارية إلى الحكم وقامت بمصادرة أملاك الكنيسة وكبار الملاكين وتوزيعها على الفلاحين ما أدى إلى ازدياد نشاط قوى اليمين.

- عام ١٩٣٦ فازت الأحزاب اليسارية في الانتخابات، وتم اغتيال أحد زعماء اليمين ما أدى إلى إشعال نار الحرب الأهلية، وقد قاد قوى اليمين الجنرال فرانكو.

أما عن مواقف الدول من هذه الأزمة فقد كانت :

- وقفت بريطانيا وفرنسا موقف حياد على اعتبار أن هذا الصراع هو أمر داخلي في أسبانيا وليس من حقيهما التدخل.

- الاتحاد السوفييتي أيد قوى اليسار وقام بإرسال مساعدات عسكرية ومتطوعين لمساعدة القوات اليسارية - الجمهورية لمنع استيلاء اليمين على السلطة في أسبانيا.

- ألمانيا وإيطاليا وقفتا إلى جانب قوى اليمين بزعامة الجنرال فرانكو وأمدتاه بالسلاح للقضاء على القوات اليسارية الشيوعية .

وهكذا أصبحت أسبانيا ميداناً للصراع العسكري والأيديولوجي بين الشيوعية من جهة وبين النازية والفاشية من الجهة الأخرى، وتحولت هذه الحرب إلى إحدى الأزمات الدولية التي ساعدت في توتر العلاقات الدولية في أوربا، فقد كان تعاون ألمانيا وإيطاليا مع فرانكو المتمرد في الحرب الأهلية الأسبانية خطوة أخرى نحو الحرب العالمية الثانية.

وجاء احتلال ألمانيا للنمسا ١٩٣٨، ليشتعل الموقف . فقد نشأ حزب نازي في النمسا مؤيد لألمانيا، وطالب هذا الحزب بإشراكه في الحكم فرُفض طلبه، مما دفع هتلر إلى التدخل فاستدعى رئيس وزراء النمسا شوشينج shushing ، وطلب منه توحيد

النمسا مع ألمانيا ومنح النازيين في النمسا مراكز عالية، وقد وافق شوشينج على ذلك ولكنه عاد ورفض هذه المطالب، فأجبره هتلر على الاستقالة وسيطر الحزب النازي على الحكم في النمسا، وأعلنت ألمانيا ضم النمسا إلى ألمانيا ١٩٣٨ وتم احتلالها بدون مقاومة، وأعلن هتلر أن النمسا جزء لا يتجزأ من ألمانيا (الرايخ الثالث).

ولم تتدخل عصبة الأمم في ذلك بسبب عجزها، واكتفت بريطانيا وفرنسا بتوجيه اللوم لألمانيا، في مثال واضح لسياسة الترضية التي اتبعتها هذه الدول تجاه ألمانيا، وكان وراء سياسة الترضية رئيس وزراء بريطانيا نيفيل تشمبرلن، وذلك مع تعيينه رئيسا للحكومة عام ١٩٣٧، وقد كان من كبار دعاة سياسة الترضية وبموافقته وتأييده استطاع هتلر ضم عدة مناطق إلى ألمانيا.

تميزت سياسة الترضية والتنازلات والتساهلات لصالح ألمانيا بسبب تهديدها بالحرب وإلغاء قيود معاهدة فرساي . وقد اعتقد تشمبرلن أن سياسة الترضية تؤدي إلى تفادي نشوب حرب عالمية. وقد وصلت هذه السياسة أوجها في مؤتمر ميونخ في التاسع و العشرين من سبتمبر عام ١٩٣٨، برئاسة موسوليني (إيطاليا)، هتلر (ألمانيا)، دالادييه (فرنسا)، تشمبرلن (بريطانيا). وكان هدف المؤتمر إقرار السلام في أوربا، ومن أهم قراراته :-

- تنازل تشيكوسلوفاكيا عن السوديت لصالح ألمانيا (خاصة المناطق التي تسكنها أغلبية ألمانية).

- إجراء استفتاءات تحت إشراف دولي في أقاليم أخرى.

- تكليف لجنة دولية لتخطيط الحدود الجديدة بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا .

ومن نتائج المؤتمر:-

- قبلت تشيكوسلوفاكيا مرغمة بالتسوية. وعبر الجنود الألمان إلى السوديت

- اعتبر هذا المؤتمر نصراً دبلوماسياً لهتلر حيث نقض معاهدة فرساي.

- تأجيل موعد الحرب سنة واحدة إلى ١٩٣٩.

- عدم اتخاذ الدول الديمقراطية ـ خاصة بريطانيا وفرنسا ـ موقفا حازما من ألمانيا، واعتبر هذا مثالا آخر لسياسة الترضية.

وكان مؤتمر ميونخ آخر محاولة لإقرار السلام في أوربا، واعتقد تشمبرلن أنه حقق السلام ومنع انفجار الحرب .

ولأن المصائب – كما يقولون – لا تأتي فرادى، فقد جاء احتلال هتلر لتشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٣٩، حيث لم يكتف هتلر بضم المناطق الحدودية بل قام بمهاجمة مناطق أخرى في تشيكوسلوفاكيا، واحتلال "براغ" العاصمة، وأجبر هتلر الرئيس التشيكي على توقيع وثيقة تنص على ضم بلاده إلى ألمانيا، وهكذا زالت تشيكوسلوفاكيا عن الخارطة الأوربية ولم يعبأ هتلر باحتجاجات الدول الكبرى.

لقد أدى هذا الاحتلال وأعمال عدوانية أخرى قامت بها ألمانيا وإيطاليا إلى تغير في موقف بريطانيا وفرنسا بعد أن تأكدتا من فشل سياسة الترضية.

وبعد أن تم تمهيد الساحة لحرب ضروس من العيار الثقيل الذي لا يسلم من ويلاتها أحد، و كما يدلنا التاريخ، بقيت ساعة انفجار الحرب مرهونة بأسباب مباشرة،منها :-

١- اتفاقية روبنتروب- مولوتوف أغسطس ١٩٣٩.

فبعد فشل المفاوضات بين بريطانيا وفرنسا من جهة وروسيا من الجهة الأخرى لضمان المساعدة المتبادلة ضد ألمانيا، قام ستالين زعيم الاتحاد السوفيتي بالتوصل إلى اتفاق مع هتلر عرف باتفاقية روبنتروب-مولوتوف التي كان من أهم بنودها:-

- عدم اعتداء أي من الدولتين على الأخرى لمدة ١٠ سنوات.

- تحديد مناطق نفوذ كل منهما في أوربا بموجب اتفاق سري.

- اتفاق الدولتين على احتلال بولندا وتقسيمها بينهما.

- تشاور الدولتين في الأمور السياسية الهامة.

وكمنت أهمية هذه الاتفاقية في :

- ضم روسيا دول البلطيق إليها ، الأمر الذي عارضته دول الغرب.

- ضمان ألمانيا حياد روسيا في حالة حرب بينها وبين بريطانيا وفرنسا.

- أثبتت هذه الاتفاقية فشل سياسة الترضية، حيث تحطمت آمال بريطانيا وفرنسا في استمرار هتلر بمعاداته للشيوعية، لهذا أوقفتا سياسة الترضية وهذا جعل نشوب الحرب أمراً مؤكداً.

٢- أزمة دانتزيج في الأول من سبتمبر ١٩٣٩ :-

فقد أعلنت بريطانيا وفرنسا عن وقوفهما إلى جانب بولندا في حالة أي اعتداء عليها. ولكن لم يعبأ هتلر بهذا التهديد، حيث قام في صباح الأول من سبتمبر ١٩٣٩ بمهاجمة بولندا لاسترجاع ممر دانتزيج، وبعد ذلك بخمسين ساعة، أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا وتبعتها فرنسا وهكذا بدأت الحرب العالمية الثانية، والتي استمرت ٦ سنوات !!

ولكن كان العنصر الحاسم في رسم نهاية هذه الحرب، ومعها نهاية هتلر وموسوليني، هو الولايات المتحدة وقرارها دخول الحرب إلى جانب الحلفاء .

فقد قامت سياسة الولايات المتحدة منذ بداية عشرينيات القرن التاسع عشر على ما عرف حينها بمبدأ مونرو (مبدأ الحياد) ، وهو إعلان أطلقه الرئيس الأمريكي جيمس مونرو سنة ١٨٢٣، وقد نص مبدأ مونرو الذي تم طرحه في خطاب أمام الكونجرس الأمريكي على:

- ضرورة عدم مد الدول الأوربية نفوذها الاستعماري نحو أميركا.

- التزام الولايات المتحدة من جانبها بعدم التدخل في المشكلات أو العلاقات الأوربية.

إلا أن هذا المبدأ ما لبث أن تم التخلي عنه بعد قرن من إقراره، حيث تبنى الرئيس وودر ويلسون (١٩١٣-١٩٢١) الدعوة إلى الحرب واستخدام القوة العسكرية، ومع أن أهمية التمسك بمبدأ مونرو ظلت تتردد في الأوساط السياسية الأميركية، فإن مجيء فرانكلين روزفلت إلى الرئاسة (١٩٣٣ – ١٩٤٥) قضى على هذا المبدأ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت أميركا تنتهج خطا عسكرياً مؤثراً في الأحداث الدولية،وتهدد أمن كل من يقف أمام المصالح الأميركية، اعتماداً على الإمكانيات الهائلة التي تمتلكها الولايات المتحدة. وكانت أبرز عملية عسكرية قامت بها أميركا في الحرب العالمية الثانية هي إنزال نورماندي .

ففي ٦ يونيو عام ١٩٤٤، قامت قوات الحلفاء بقيادة الجنرال الأميركي دوايت أيزنهاور ـ الذي سيصبح فيما بعد رئيس الولايات المتحدة ـ بإنزال عسكري في شمال فرنسا على شاطئ نورماندي. وقد تم إنزال أكثر من ٢٠٠ ألف جندي أغلبهم أميركيون، والبقية بريطانيون وكنديون وفرنسيون.

وقد تم التخطيط للعملية ـ التي تعد أكبر إنزال عسكري في القرن العشرين ـ في بريطانيا وقد تم تحرير المنطقة من الجيش الألماني، بعد أن بلغت الخسائر في الطرفين ما يقدر بـ ٣ آلاف قتيل و٦ آلاف ما بين جريح وأسير ومفقود.

وقد كان الدخول الأميركي للحرب عقب معركة بيرل هاربر، حيث كانت أميركا في عهد فرانكلين روزفلت قد قامت بفرض حظر بترولي على اليابان، ومنعت تصدير الحديد إليها تعاطفا مع حلفائها التقليديين البريطانيين والروس، فما كان من اليابان إلا أن هاجمت القطع البحرية الأميركية في ميناء بيرل هاربر بالمحيط الهادي في ديسمبر ١٩٤١ مغرقة أكثرها.

وقبل نهاية ١٩٤٢ هزم الأميركيون الأسطول الياباني في معركة "ميداوي"، وهُزم القائد الألماني رومل في العلمين بمصر، كما هزمت القوات الألمانية في ستالنجراد بالاتحاد السوفييتي، فبدأت هزيمة دول المحور تلوح في الأفق ودخل الحلفاء ألمانيا في ديسمبر ١٩٤٤. كما أعدم الثوار الإيطاليون "موسوليني" وعلقوه من قدميه في أحد أعمدة الإنارة بميلانو. وانتحر هتلر يوم ٣٠ أبريل ١٩٤٥ فاستسلمت ألمانيا.

ثم كان إلقاء القنبلة الذرية ونهاية الحرب . وكانت اليابان آخر دول المحور انهزاما، فلم توقف الحرب إلا بعد قصف مدينتيها هيروشيما وناجازاكي بأول قنبلتين ذريتين في التاريخ، وإثر ذلك وقعت اليابان وثيقة الاستسلام دون قيد أو شرط يوم ٢ سبتمبر ١٩٤٥، وبعدها بثلاثة أيام ارتفع العلم الأميريكى فوق طوكيو.

وهكذا انتهت الحرب العالمية الثانية بعد ست سنوات من القتال الشرس، خسرت فيها البشرية حوالي ١٧ مليونا من العسكريين وأضعاف هذا العدد من المدنيين.

وهكذا لم يرد هتلر الوقوع في أيدي الروس لا ميتاً ولا حياً، ولذا أطلق النار على نفسه في الثلاثين من أبريل، بينما سممت زوجته إيفا براون نفسها، وتم حرق الجثتين بناء على وصية من هتلر، لكن الإذاعة أعلنت في اليوم التالي أن القائد أدولف هتلر لقي حتفه في مكتب مستشارية الرايخ وهو يكافح من أجل ألمانيا وضد الشيوعية.

أما المعارك الميدانية فقد استمرت في برلين تحت قيادة جنرالات متشددين، مما أدى إلى مقتل مدنيين أكثر ممن قتلهم القصف الجوي خلال السنوات الماضية، واستسلمت القوات الألمانية في برلين في الثاني من مايو، لكن خليفة هتلر "دونيتس" أمر بمواصلة القتال لأنه أراد تجنب الاستسلام الكامل غير المشروط،مع أمله بعودة الجنود الألمان من غرب ألمانيا التي أصبحت في أيدي الحلفاء.

وهكذا جعلت الانتصارات الخاطفة التي حصدها هتلر في بداية الحرب العالمية الثانية وبالتحديد، الفترة الممتدة من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٢، جعلت منه رجل الاستراتيجية

الأوحد في ألمانيا، وأصابته بداء الغرور والامتناع عن الإنصات إلى آراء الآخرين، أو حتى تقبّل الأخبار السّيئة وان كانت صحيحة. فخسارة ألمانيا في معركتى ستالينجراد والعلمين وتردّي الأوضاع الاقتصادية الألمانية وإعلان ألمانيا الحرب على الولايات المتحدة في ١١ ديسمبر ١٩٤١، وضعت النقاط على الحروف ولم تترك مجالا للشك في بداية النهاية لألمانيا هتلر. فمجابهة أعظم إمبراطورية (الإمبراطورية البريطانية) واكبر أمّة (الاتحاد السوفييتي) وأضخم آلة صناعية واقتصادية (الولايات المتحدة) لاشك تأتي من قرار فردي لا يعبأ بلغة العقل والخرائط السياسية.

وفي ١٩٤٣، تمت الإطاحة بـ (موسوليني) واشتدت شراسة الروس في تحرير أراضيهم المغتصبة وراهن هتلر على بقاء أوربا الغربية في قبضته، ولم يعبأ بالتقدم الروسي الشرقي.

وفي ٦ يونيو ١٩٤٤، تمكن الحلفاء من الوصول إلى الشواطئ الشمالية الفرنسية وبحلول ديسمبر، تمكن الحلفاء من الوصول إلى نهر الراين وإخلاء الأراضي الروسية من آخر جندي ألماني.

عسكرياً، سقط الرايخ الثالث نتيجة الانتصارات الغربية، ولكن عناد هتلر أطال من أمد الحرب لرغبته في خوضها لآخر جندي ألماني. وفي نزاعه الأخير، رفض هتلر لغة العقل وإصرار معاونيه على الفرار إلى بافاريا أو النمسا، وأصر على الموت في العاصمة برلين.

وفي ١٩ مارس ١٩٤٥، أمر هتلر أن تدمّر المصانع والمنشآت العسكرية وخطوط المواصلات والاتصالات وأوصى بتعيين هينريك هيملر مستشاراً لألمانيا. كما قام بإغراق أنفاق مدينة برلين حيث كان يختبىء المدنيون باعتبارهم خونة لعدم وقوفهم في وجه العدو الروسي على أبواب برلين.

وبقدوم القوات الروسية على بوابة برلين، أقدم هتلر على الانتحار وانتحرت معه زوجته إيفا براون في ٣٠ أبريل ١٩٤٥ والتي كان قد تزوجها قبل انتحارهما بيوم واحد في ٢٩ أبريل ١٩٤٥، وأسدل الستار على كابوس الحرب العالمية الثانية.

١٠ - إعدام زوج الابنة
لإنقاذ الأحفاد



■ ثم دار الزمن دورته، وإذا بأشهر فتاة في إيطاليا (إيدا) تطوف على بيوت الأصدقاء والصديقات، تلتمس منهم ملجأ لليلة واحدة .. ليلة واحدة فقط.

١٠- إعدام زوج الابنة لإنقاذ الأحفاد

سنة (١٩٢٨) زفت أشهر فتاة في إيطاليا (إيدا موسوليني) إلى الكونت شيانو، وما من نافذة في روما إلا وعلقت عليها أوراق للزينة بهذه المناسبة، لأن والد الفتى (العريس) كان يمتلك أضخم مصانع الورق في البلاد.

ثم دار الزمن دورته، وإذا بأشهر فتاة في إيطاليا (إيدا) تطوف على بيوت الأصدقاء والصديقات، تلتمس منهم ملجأ لليلة واحدة .. ليلة واحدة فقط لتنقذ زوجها المحبوب، من رصاص فرقة الإعدام، لكن البيوت، كل البيوت.. أغلقت في وجهها أبوابها فتضطر الفتاة إلى أن تمضي تلك الليلة الزمهريرية في شتاء يناير، على مقعد في أحد شوارع روما.

سقطت الفاشية في إيطاليا.

تعالت الأصوات ضد موسوليني زميل هتلر، وعقد المجلس الفاشي الأعلى اجتماعه ليتخذ قرارا بتجريد الدوتشي من سلطاته، ويصوت وزير الخارجية شيانو إلى جانب المجموعة التي تريد الإطاحة بموسوليني، الذي ما إن رآه، حتى أخذ يردد كلمة شهيرة:

(حتى أنت.. يا شيانو) .. فرد عليه قائلا:

يا دوتشي.. ليس هذا وقت التشدق بالكلمات التاريخية.. ثم انك لست يوليوس قيصر، وأنا لست بروتس! أى نعم، إنني أعطيت صوتي للإطاحة بحكمك، لأنك جررت البلاد إلى حافة الكارثة بانحيازك الأعمى لهتلر، ويستحسن من أجل تاريخك القديم كله أن تنسحب الآن من الميدان السياسي، ليتمكن المخلصون من إنقاذ إيطاليا، بعد أن ورطتها.

وبالفعل اتخذ القرار بالإجماع، للإطاحة بحكم الدوتشي وكان صدى سقوطه مدويا في برلين.

ثار هتلر، وجمع أركان حربه على الفور، وأصدر أوامره بالزحف فورا على روما، مع كافة التفصيلات الضرورية، لاعتقال جميع أعضاء الحكومة الجديدة، واعتبر ذلك أمرا واجب التنفيذ، حيث ختم اجتماعه بالقول: «لا بد من إلقاء القبض على تلك المجموعة من الخنازير، وعلى وجه الخصوص المجرم شيانو".

وقبل أن تسيطر المجموعة التي أطاحت بالدوتشي على زمام الأمور في البلاد، وقبل أن تسارع إلى الاتفاق مع الحلفاء، الذين كانوا قد أنزلوا قواتهم بجزيرة صقلية، كان هتلر قد سبق الجميع، واحتل روما وشمال إيطاليا كله.. وتساقط أعضاء الحكومة الجديدة في أيدي الجستابو رجلا بعد آخر، وفي مقدمتهم شيانو صهر موسوليني، زوج "إيدا" ابنة أبيها المدللة.

واتخذ القرار ضمنيا بإعدامهم جميعا بعد محاكمة شكلية، لكن موسوليني لم يكن راغبا في ذلك، ولهذا فقد قال لهتلر:

(ألا ترى يا فوهرر أن المحاكمة في هذه الظروف قد تضعف من قوة الحزب الفاشي؟!). فيجيبه هتلر ساخرا:

(الحزب الفاشي؟! لا تداعب خيالك هذه الآمال الكاذبة يا دوتشي، لأنك فشلت بالفاشية، ولأن بلدك غير مستعد لتتسم ذرى المجد.. أنت يا عزيزي موسوليني ضعفت، ولم تعد تصلح للقيادة.. لا تغضب مني يا عزيزي، فإن هذا لا يقلل من قدر إنجازاتك القديمة! وارى أن تشرع على الفور في محاكمة هؤلاء الخنازير!).

فيتساءل الدوتشي:

(هل سنحاكمهم جميعا؟!).

فيجيبه هتلر:

(وأولهم شيانو لأنه خانك وهو القريب منك، فيجب أن يعدم مائة مرة).

لكن موسوليني يدرك حجم المأساة التي ستعانيها ابنته الوحيدة، فيلتمس من هتلر أن يعفي شيانو من الإعدام، فيتوسل إليه قائلا:

(فوهرر .. من اجل أيامنا القديمة المجيدة، أرجوك كل الرجاء أن تعفي شيانو، انه زوج ابنتي الوحيدة التي لا أرجو سواها من الدنيا.. انه والد أحفادي الثلاثة). فيجيبه هتلر:

(ألم أقل لك انك اضعف من أن تكون حاكما قوي الشكيمة! لا يا دوتشي، شيانو يجب أن يعدم قبل الجميع!).

وصدر قرار يقضي بمحاكمة كل من اشترك في أحداث (٢٣) يوليو (١٩٤٣)، وهرعت ايدا إلى أبيها في محاولة مستميتة لإنقاذ زوجها، فيطمئنها موسوليني بالقول: «لقد اخترت بنفسي هيئة المحكمة، وكلهم يعرفون رغبتي في إنقاذ شيانو»، فتنظر إليه غير مصدقة لما يقول:

(لا يا أبي إنك لا تريد إنقاذ زوجي، وإنما تريد أن تشتري برأسه سلامتك عند هتلر!).

لكن موسوليني يساير ابنته فيفتح ذراعيه لاحتضانها، وما إن تلقي برأسها على صدره، فيبادرها قائلا:

(ما هذا الهراء يا ابنتي؟! كيف يخطر ببالك أنني أساهم في حرمان أحفادي من أبيهم؟! كوني على ثقة يا إيدا أن المحاكمة شكلية)، فتنتزع نفسها من بين يديه، وتنظر إلى وجهه بحدة وعصبية، وتقول:

(أبي .. لا تخدعني! الكل يردد أن الأحكام ستصدر بإعدامهم جميعا، وهتلر هذا لن يستريح حتى تتدحرج رأس شيانو تحت قدميه القذرتين..) فيجيبها:

(حتى لو افترضنا يا إيدا أن الأحكام قد صدرت بإعدامهم، فمن حقي إبدال حكم الإعدام بالسجن.. وستتغير الأحوال حتما، وسيخرج العزيز شيانو من السجن بعد أن يمضي فترة قصيرة). لكن إيدا بعد أن سمعت ذلك تهجم على أبيها وتضرب بكلتا يديها على صدره، والشرر يتطاير من عينيها، وتردد:

(وحش .. وحش .. هذا هو أنت يا دوتشي .. ماذا .. ماذا فعل شيانو عندما طلب هو وزملاؤه منك التخلي عن منصبك لمن يقدر على إنقاد البلاد من سيطرة هتلر عليها وعليك؟! ماذا فعل؟! هيه .. تكلم .. تكلم.. ماذا فعل؟!).

ويحاول موسوليني جاهدا أن يجعل ابنته تسيطر على انفعالاتها، ويخبرها أن لدى هتلر أدلة قاطعة تدين شيانو، لأنه كان يتصل بالحلفاء للاستسلام، فتصيح إيدا:

(هذا هراء. وليس لدى هتلر أي دليل على ذلك..).

فيقول لها:

(اسمعي يا ابنتي خذي بنصيحتي، وغادري إيطاليا إلى أي مصح في سويسرا، إلى أن تتضح حقيقة الموقف، ثم تعودين).

فتجيبه: (كلا يا دوتشي .. يا والدي العزيز .. يا زعيم الفاشية في العالم).. واسترسلت إيدا في الإمعان بالسخرية من والدها: (بل سأبقى هنا، حتى يصدر حكم الإعدام، فأرى بنفسي توقيعك على العفو عن شيانو.. وإذا لم تفعل ذلك فسوف اقتل أحفادك الثلاثة، واقتل نفسي بعدهم)!

ويمر الزعيم الفاشي بأزمة نفسية مروعة، كتب أنصاره:

(ليس هناك أروع من بطولة الدوتشي وهو يضحي بأعظم حب في حياته، حبه لابنته، من اجل مبادئه الوطنية).

وكتب خصومه:

(ما أجبنه! من أجل إنقاذ رقبته الحقيرة من مشنقة هتلر ضحى كبير الفاشست بابنته وأحفاده، وصهره!).

في مدينة فيرونا وهي التي اختارها شكسبير مسرحا لأحداث روميو وجوليت. جرت المحاكمة التاريخية في يوم (١٥) يناير (١٩٤٤)، ومثل المتهمون الـ (١٦) في القفص الحديدي، وكان شيانو ابن الأربعين المفعم قوة وصحة وحيوية، يجلس إلى جانب باديليو الذي أسقمه سرطان المعدة، ودي بونو البالغ التسعين من عمره، حيث وجهت إليهم تهمة الخيانة العظمى، وعقوبتها الإعدام، فوقف شيانو متسائلا:

(الخيانة العظمى لمن يا سيدي الرئيس؟! للدوتشي؟! أم لإيطاليا؟! وإذا كانت الخيانة العظمى تهمتي لأنني صوت في ليلة (٢٣) يوليو إلى جانب المجموعة المعارضة، وقد اعتبرتم ذلك خيانة للدوتشي، فإني أقر بالتهمة، ولكنني لست خائنا لإيطاليا، فأنا ما صوت ضد الدوتشي إلا من أجل إنقاذ إيطاليا، فمن المستحيل أن أخون هذا البلد العظيم، وأرجو يا سيادة الرئيس أن تراجعوا سجل حياتي لتكتشفوا أنني قد ساهمت بدفع عجلة الاتفاق بين هتلر والدوتشي، والتنسيق بين الدولتين، عندما كنت وزيرا للخارجية .. ولكن لما جاء الوقت الذي أدركنا فيه أن التنسيق مع ألمانيا قد ألغى إرادة الإيطاليين، كان لا بد لي كأي مواطن إيطالي، أن أطالب بتنحي موسوليني، واسترداد البلاد إرادتها!).

فيجيبه رئيس المحكمة:

(ألم تقل في المجلس الفاشستي الأعلى: لقد آن لإيطاليا أن تخرج من أتون هذه الحرب التي لا ناقة لنا فيها؟!).

فيجيبه شيانو:

(لقد أخطأ كاتب الجلسة في تدوين أقوالي، فأنا لم أكن أعني هذا، وإنما ...)،

لكن رئيس المحكمة يقاطعه مسترسلاً في توجيه التهم: (ألم تقل للكونت جراندي المتهم الـ (١٤) والهارب الآن في البرتغال: انك ترشح الجنرال باديليو رئيسا للوزراء بدلا من الدوتشي؟! وإن على باديليو في هذه الحالة أن يأخذ الموافقة من الملك للإسراع بالاتفاق مع الحلفاء؟!).

فيقول شيانو:

(لم يصدر عني هذا الكلام!).

فيجيبه رئيس المحكمة:

(لكن الكونت جراندي نشر هذا الكلام في الصحف البرتغالية!).

فيقول شيانو:

(لست مسئولا عما يكتبه جراندي! وما لنا يا سيدي الرئيس بما يزعمه جراندي؟ والجنرال باديليو أمامكم، سلوه .. عما إذا كنت قد قلت بالذي زعمه جراندي!).

ويقوم باديليو وهو في القفص ليقول:

(أقسم بربي أن ذلك لم يحدث..).

وتستمر المداولة بين القضاة لأيام وأيام، تأرجح فيها مصير قادة إيطاليا في ذلك العام الحرج من تاريخها، فنصف القضاة كانوا مؤيدين للسجن المؤبد، والنصف الآخر لديهم تحفظات على الحكم بالإعدام، وإن لم يستبعدوه!

وأوشكت المحكمة أن تعلن الحكم بالسجن المؤبد بعد أن اتفقت الأغلبية من أعضاء المحكمة على ذلك .. وفجأة يقتحم غرفة المداولة حيث يجتمع القضاة مندوب هتلر، ورئيس الجستابو هيملر يحمل رزمة من الأوراق وزعت على أعضاء المحكمة، وبعد أن تدارسوها خرجوا إلى القاعة ليعلنوا الحكم بإعدام الجميع .. وللدوتشي تخفيف الحكم إذا شاء ذلك!

كتب الدوتشي في أسفل وثيقة الحكم السطور التالية:

«ينفذ فيهم حكم الإعدام حتى الموت، في أقرب وقت يحدده وزير الداخلية».

وأسرعت إيدا هلعة فزعة إلى الفيلا التي يقيم فيها أبوها، ولكن الحراس حالوا بينها وبين الدخول .. فاستلت خنجرا من حقيبة يدها، وصرخت فيهم:

(أترون هذا الخنجر؟! إذا لم تدعوني أقابل الدوتشي، سأغرزه في صدري أمامكم، ثم صاحت فيهم: ماذا جرى لكم أيها الإيطاليون؟! هل فقدتم الإحساس بالشرف والكرامة؟!).

ورغم ما لدى الحراس من أوامر صارمة بعدم السماح بدخول أي أحد على الدوتشي، فقد أدركوا خطورة الموقف، فسمحوا لها بالدخول على أبيها الذي ما إن رآها مقبلة عليه، حتى وقف فاتحا ذراعيه لاحتضانها وهو يقول:

(أيتها الحبيبة إيدا .. أتحسبين أن قلبي لم ينفطر حزنا وأنا أصدق على حكم الإعدام؟!).

فصاحت به ودموعها تخنقها:

(لماذا فعلت هذا يا أبي؟!». فيجيبها بصوت منكسر: «لم يكن هناك من مفر إلا أن يموت شيانو!).

فتتساءل إيدا بحيرة والدموع تنهمر من مآقيها:

(لماذا يا دوتشي؟!..). فيقول:

(لأنه البديل الوحيد من أجل أن يعيش أولادك، وأحفادي، لأنهم الآن في أيدي الجستابو!).

فتجيبه بحدة:

(أنت تكذب يا موسوليني! لقد تركت أولادي في بيت الماركيز بوتشي، ولا أحد يعرف مكانهم، وبوتشي لن يخونني).. فيقول لها:

(اهدئى يا ابنتي .. لقد أبلغوني ساعة وضعوا أمامي وثيقة الحكم بالإعدام لكي أصدق عليها .. ابلغوني بأنهم أخذوا أولادك الثلاثة رهائن حتى يتم تنفيذ الإعدام على أبيهم .. وهددوا بقتلهم جميعا إذا بدلت الحكم بالسجن، أو أصدرت عفوا عن شيانو!).

فتنهار إيدا حتى يكاد يغمى عليها، وهي تردد:

(وحوش .. خنازير .. سفلة .. قتلة .. مجرمون ..!).

فيهدئ موسوليني من روعها:

(صدقيني يا ابنتي، لقد وعدوني أن يحضروهم إلى هنا سالمين إذا صدقت على حكم الإعدام! وقد فعلت يا إيدا .. نعم فعلت .. إذ لم يكن أمامي غير هذا لأنقذك وأنقذ أحفادي الثلاثة من الاغتيال!).

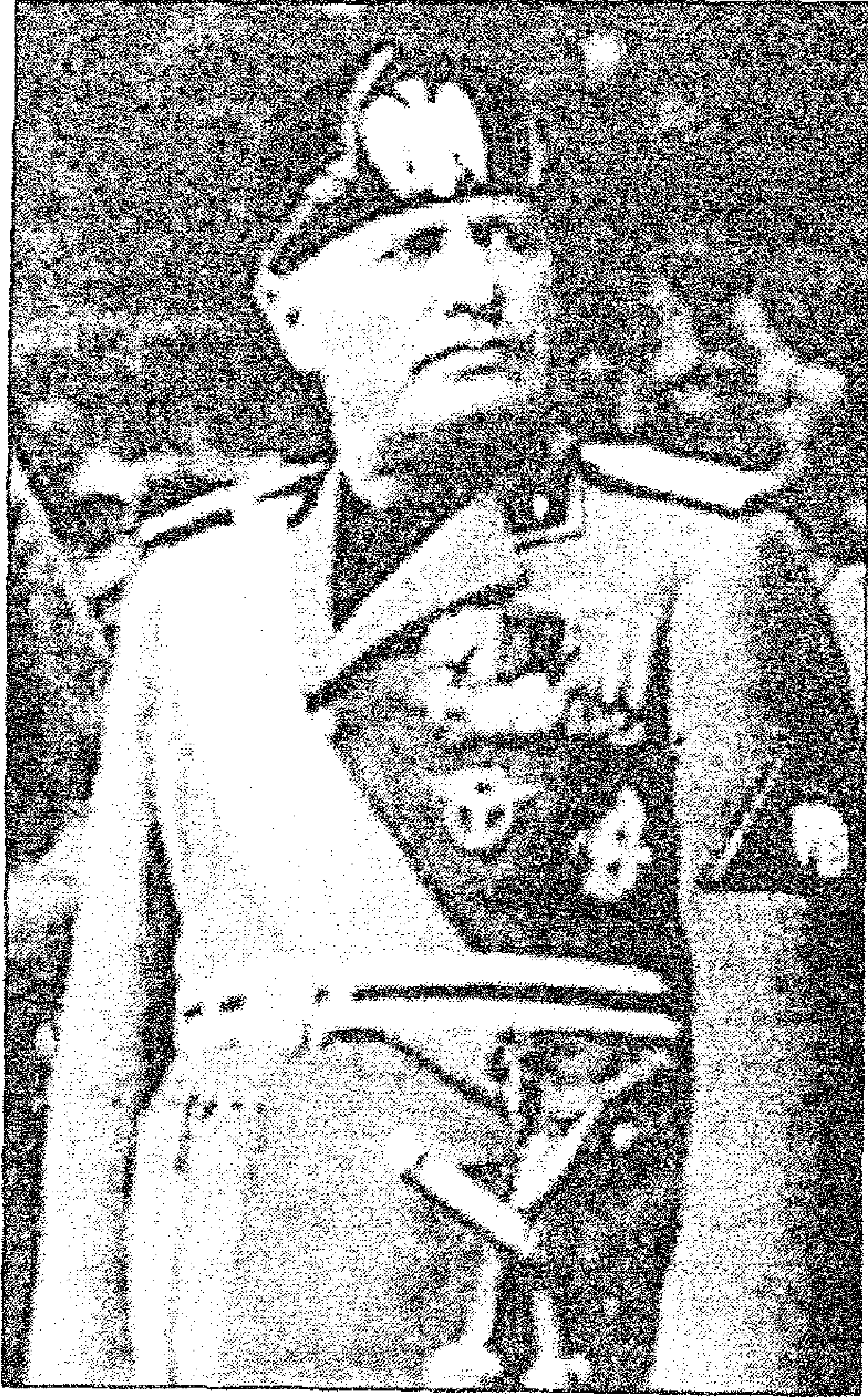
في تلك الليلة الباردة في (١٥) يناير (١٩٤٤)، تم إعدام شيانو، كما تم إحراق كل ما كان قد كتبه في الزنزانة من رسائل إلى زوجته، والى أولاده، والى صهره الذي صدق بيده على حكم إعدامه، لكن القس الذي شهد إعدام شيانو حمل رسالة سرية إلى إيدا، حيث كتب لها يقول:

(حبيبتي الجميلة .. أبدأ في هذه الساعة الأخيرة التي يداعبك فيها أمل، لخلاصي من هذه المحنة، وحلم سعادتنا عندما ألتقيك والأولاد من جديد .. لا أطلب منك يا شريكة العمر الحلوة غير أن تصلي أنت والأعزاء الصغار من أجلي.. ليبارككم الله .. لقنيهم يا إيدا مبادئ الشرف والأمانة التي لقنني إياها أبي .. ولا تحطي من قدر تلك المبادئ لأنها قادتني في النهاية إلى الموت، فإن الموت في سبيلها أفضل ألف مرة من الحياة دونها! احذري يا إيدا أن تقع الأوراق التي سلمتك إياها

في أيدي الألمان.. اعتمدي على الماركيز بوتشي لإخراج تلك الأوراق من إيطاليا .. وداعا أيتها الحبيبة..).

لم يعش موسوليني بعد إعدام صهره أكثر من عام ونصف العام، شنقه الإيطاليون مع صديقته كلارا بيتاتشي. أما الأوراق التي أشار إليها شيانو في رسالته إلى إيدا، فقد كانت لها آثار بالغة في تسليط الضوء على مساوئ الحكم الفاشي.

١١ - واخترقت الرصاصات جسد الديكتاتور
وبقيت البندقية شاهدة على النهاية !!



■ وأخذوا ينفضون من حوله بسرعة، عندما شاهدوا الزعيم يهذي وبه مس من الجنون. وفي ٢٥ أبريل كان في "كومو" مدينة عشيقته الأخيرة "كلارا"، ومنها كتب آخر رسالة له إلى زوجته راتشيلي يطلب منها الهروب إلى سويسرا. قبل أن يحاول هو الهرب مع كلارا باختبائه في مؤخرة سيارة !

١١ - واخترقت الرصاصات جسد الديكتاتور
وبقيت البندقية شاهدة على النهاية !!

في ميدان "دونجو" بميلانو، بجانب محطة الوقود . التي أزيلت وأنشيء بنك مكانها . لا يزال الحائط الذي شهد إعدام موسوليني موجوداً، وعلى جدرانه لا تزال آثار الرصاص

يوم إعدامه مع أعوانه .. ذلك اليوم الذي ما إن علم فيه هتلر بما شهده من نهاية بشعة لحليفه، حتى قرر أن يقتل بعضا من أعوانه الكبار، ثم ينتحر هو، و يحرق جثته خوفا من التمثيل بها، و عندما بحثوا عنه، بعد سقوط برلين، وجدوا من جسده المحترق فقط بقايا من أسنانه .

أما البندقية التي أزهقت روح ديكتاتور إيطاليا العتيد، فقد ظهرت في تيرانا عاصمة ألبانيا، لتكشف عن أسرار جديدة من قصة إعدام هذا الطاغية !!

فبعد أن تعطل مسدسان إيطاليان استخدم فالتر أوديسيو بندقية نصف آلية فرنسية لتنفيذ المهمة.

وظلت البندقية طوال ٤٧ عاما في غياهب متحف بالعاصمة الألبانية تيرانا بعد أن حصل عليها الزعماء الستالينيون في ألبانيا هدية من الرجل الذي أطلق النار على موسوليني وعشيقته حين كانا يحاولان الهرب في جبال الألب. وعرضت البندقية في المتحف الوطني بتيرانا وذلك في أول ظهور علني لها منذ انتهاء الحكم الشيوعي في ألبانيا عام ١٩٩١ .

والبندقية ذات القاعدة الخشبية الملونة والحزام الجلدي القصير، صنعت عام ١٩٣٨ من طراز (إم.إيه.إس) وتحمل رقما مسلسلا (إف. ٢٠٨٣٠)، وقد

أرسلها أوديسيو هدية إلى حكومة الديكتاتور الشيوعي أنور خوجة. وكان أوديسيو أحد الإيطاليين الثمانية الأعضاء في قوة أوكلت إليها مهمة إعدام الزعيم الفاشي موسوليني.

وكتب أوديسيو رسالة إلى تيرانا قال فيها : "أرسل إليكم هدية السلاح الذي أُعدم به يوم ٢٨ أبريل عام ١٩٤٥ مجرم الحرب بنيتو موسوليني، تنفيذاً لأوامر القيادة العامة للقوات الإيطالية " .

ولكن ماذا عن تفاصيل إعدام هذا الديكتاتور العتيد، و كيف كان هذا المشهد المأساوي الذي وضع نهاية لدولة مختطفة على أيدي طاغية ؟!

ولكن لا يمكن الحديث عن محاكمة موسوليني و إعدامه دون أن نتطرق لبداية نهاية الديكتاتور العتيد، والتي قادته إلى هذا المصير المحتوم !!

مع نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ أعلن الزعيم الداهية حياد إيطاليا - على الرغم من التحالف المعقود قبل ذلك بسنوات بين إيطاليا وألمانيا- إلا إن ضغوط "هتلر" المتزايدة ونجاح القوات الألمانية المذهل في غزو معظم أوربا في وقت قياسي؛ دفعا "موسوليني" لدخول الحرب مع ألمانيا.

كانت تلك هي بداية النهاية التي ربما شعر بها "موسوليني"، وفي أقل من عامين منيت الفاشية بعدة هزائم أفقدتها مستعمراتها في أفريقيا الشرقية.

في يوليو ١٩٤٣ حطت القوات البريطانية والأميركية على ساحل صقلية لتبدأ زحفها على إيطاليا من جهة الجنوب، ليوافق موسوليني مكرها على انعقاد "المجلس الكبير" يوم ٢٤ يوليو ١٩٤٣ ـ بعد توقف سنوات عن الانعقاد ـ بدعوى تحمل مسئولية إيطاليا بشكل جماعي في محنتها.. بيد أن عضو المجلس جراندي تقدم بمشروع قرار يطالب الملك بتحمل شؤون المبادرة العليا بتسلمه قيادة القوات المسلحة والقيادة العليا، في طلب ضمني بتقليص صلاحيات موسوليني الذي كان يتولى وزارة الحربية

من ضمن الوزارات الرئيسة السبع التي جمع بينها، وبعد عدة ساعات من الجدل صوتت أغلبية المجلس لصالح القرار .. في إعلان لإسقاط موسوليني ونظامه..

وفي اليوم التالي ذهب موسوليني لمقابلة الملك فيكتور عمانويل .. فطلب منه الاستقالة، قائلا له :

"إنك لأبغض من نقمت عليهم إيطاليا وما عليك الآن إلا أن تستقيل .."

وخرج الديكتاتور من لقائه بالملك مرتجفا، وفي طريقه لسيارته، تقدم منه أحد الضباط قائلا:

لقد كلفني صاحب الجلالة بالسهر على راحتك.. اصعد هنا من فضلك...

وفي سيارة إسعاف أُخذ ديكتاتور إيطاليا إلى مكان إقامته السري، وعين بادوليو رئيسا للوزراء.

اعتقل موسوليني في جزيرة بونزا، ثم نقل لجزيرة مادالينا شمالي سردينيا في ٨ أغسطس خشية إقدام هتلر على اختطافه،كما كانت هناك إشارات إلى أن دول الحلفاء تسعى للعثور عليه.. وقد كان على بادوليو منع سقوط الدوتشي في أيدي الألمان أو الحلفاء لمصلحة إيطاليا..

ولكن الألمان الذين كانوا يحتلون سردينيا عرفوا مكان موسوليني وتمكنوا من اختطافه عند ظهر ١٢ سبتمبر، وذهبوا به إلى ميونخ لمقابلة هتلر، حيث كانت زوجته راشيل وأبناؤه بانتظاره..

التقى هتلر وموسوليني في ١٥ سبتمبر، ودهش الفوهرر حينما رأى ديكتاتور إيطاليا وقد انقلب إلى رجل آخر يملأ اليأس والتسامح نفسه..ولكن الفوهرر كان يريد إعادة حليفه للحكم بأي ثمن، لكن الدول رفضت الاعتراف بحكومة موسوليني غير الشرعية القائمة تحت السلاح الألماني،، خاصة أن الأسبوع السابق على لقاء الرجلين شهد إعلان إيطاليا انتقالها من معسكر المحور إلى معسكر الحلفاء.

نجح في وضع حليفه على رأس جمهورية في شمال إيطاليا عرفت باسم الجمهورية الإيطالية الاشتراكية، إلا أن إعادة وضع "موسوليني" في السلطة كانت أشبه بعملية تنفس صناعي لجسد فارقته الحياة، إذ فقد بريقه و"كاريزمته" التي ميزته طوال عشرين عاما هي مدة حكمه للنظام الفاشي، و كأن المصائب لا تأتي فرادى، فقد دخلت البلاد على مدى عامين في حرب أهلية بين معسكر مناوئ للفاشية والنازية وآخر مؤيد لها.

ولكن ماذا عن الأيام الأخيرة للديكتاتور ؟!

قرر موسوليني في ١٩ أبريل ١٩٤٥ مغادرة قصره والذهاب إلى ميلانو، فحاول الألمان صرفه عن هذه الفكرة وإقناعه بالاتجاه شمالا، واللجوء لسويسرا.

عند ذلك عرضت أسرة بيتاتشي أن تنظم له ميتة زائفة لتغطية رحلته إلى أسبانيا.. فرفض قائلا إنه لن يغادر إيطاليا أبدا ..

كان وحيدا انصرف عنه رجال كثيرون كانوا يتحلقون حوله ..ولم يبق من حزبه إلا ثلاثة آلاف شخص بعدما كان العدد بالملايين..وفي قصره، حيث الوحدة والألم، قضى عدة أيام في كتابة مذكراته وترتيب دفاعه.. واستقل أحد الزوارق ليلا ليغرق بعض الملفات في البحيرة..فقد كان يأمل أن يفاوض لجنة التحرير القومي في ميلانو، فيعرض عليها استسلام الفاشية مقابل أمانه وأمان أسرته.

وفي ٢١ ابريل ١٩٤٥ كانت مدينة بولونيا قد سقطت أثناء الحرب في يد مقاومة جبهة التحرير الشعبية و قُتل الحاكم العسكري بها. فحل موسوليني حكومته وحاول أن يتصالح مع جبهة التحرير التي انطلقت في الداخل لكنهم رفضوه. وحاول أن يوسط رجال الدين بينه وبين رجال الجبهة ووعدهم بأنه لن يغدر بهم لكن الأوان كان قد فات.

وفي ٢٥ أبريل فر موسوليني من ميلانو تحت حماية قوات ألمانية إلى كومو مدينة عشيقته "كلارا" ومنها كتب آخر رسالة له إلي زوجته "راتشيلي" يطلب منها الهروب إلى سويسرا.

وفي ٢٦ أبريل زاد خوفه ففر إلى ميناجيو مدينة عشيقته الأخرى "إنجيلا".

وفي ٢٧ إبريل ضاقت به الأرض ففر إلى الشمال في حماية قوات الألمان غير أن قوات من جبهة التحرير الشعبية اعترضت القافلة، وبعد مفاوضات سمحت فقط للألمان دون الإيطاليين بالمرور شمالا.

في سبيل تهريبه ألبس الألمان موسوليني ملابس عسكرية ألمانية وأخفوه في شاحنة بين الجنود. لكنه لم يكن صعبا على رجال جبهة التحرير الشعبية كشف الديكتاتور والتعرف عليه من بين الجنود و القبض عليه هو و "كلارا".

الساعة الواحدة و النصف ظهراً يوم ٢٧ أبريل نقلوه إلى بيت ناء ليقضي ليلته الأخيرة.

في اليوم التالي أتت الأوامر من مجلس جبهة التحرير الشعبية بإعدام موسوليني، وجاء العقيد "فاليريو" الذي انضم سرا للجبهة إلى مكان اعتقال موسوليني و أخبره بأنه جاء لينقذه وطلب منه مرافقته إلى المركبة التي كانت في الانتظار. ذهب به إلى فيلا بيلموت المجاورة حيث كان في انتظارهم فرقة من الجنود. كانت جبهة التحرير قد قبضت على أغلب معاونيه و حددت ١٥ شخصا منهم لإعدامهم بعد محاكمة صورية، يروى عن وقائعها أن القاضي سأل موسوليني عن هويته وهل هو بالفعل موسوليني . . فأجاب موسوليني : ها هي هويتي .. وهذا هو أنا شخصيا.. فقال له القاضي : حكمنا عليك بالإعدام .. فما فائدة المحكمة وأنت مدان مقدماً بكل هذه الجرائم ؟!

وأخذوه إلى الشارع وأعدموه على الفور.. لم يعترض أي إنسان على هذه المحكمة، و لا على قرارها، وطريقة النطق بالحكم، لأنها محكمة عادلة !!

ولم يكتب عن موسوليني أي مرتزق من المطبلين له .. لأنهم رأوا بأم أعينهم ماذا فعل هذا السفاح !!

وفي يوم ٢٩ أبريل تم تجميعهم و فيهم موسوليني و عشيقته "كلارا" و تم نقلهم. كما قلنا. ليُشنقوا مقلوبين من أرجلهم في محطة البنزين في مدينة ميلانو.

وكان من العادات القديمة في الأعراف الإيطالية أن النصّاب أو المحتال يعاقب بالإعدام مقلوبا مشنوقا من إحدى قدميه !!

وعرضت جثتا الدوتشي وعشيقته مع جثث خمسة قادة فاشيين آخرين في ساحة عامة في ميلانو معلقة من الأرجل أمام محطة الوقود . وجاءت الجماهير تسبهم وتشتمهم وتبصق عليهم وترميهم بما في أيديهم. وفقدت الجماهير السيطرة على نفسها فأخذت بإطلاق النار على الجثتين وركلهما بالأرجل .

وبعد انتهاء كل شيء أخذت الجثث ودفنت سرا في ميلانو. وفي سنة ١٩٥٧ سُلمت جثة موسوليني لأهله لتدفن قرب مدينته التي ولد بها

ومن أعوان موسوليني الذين أعدموا معه :

- فرانسيسكو باراكو: سكرتير الحكومة .
- فيرناندو ميزازومو: وزير الإعلام .
- نيكولا بامباشي: وزير الداخلية و صديقه الحميم .
- لويجي قاتي: سكرتيره الخاص .
- بيزنطي ليفيراني : وزير الاتصالات.
- روجيرو رومانو: وزير الأشغال .
- باولو بورتا: مدير مكتب الحزب الفاشي .
- العقيد فيتو كاساليفو: مستشار موسوليني .
- أرشيلا ستارس: سكرتير الحزب الفاشي .

وقد روى بعض المؤرخين اللحظات الأخيرة في حياة الديكتاتور على النحو التالي:

طلب موسوليني من مساعديه عشية ٢٥ أبريل من عام ١٩٤٥ أن يحضروا الحقائب للهرب، فالقوات الأميركية كانت تتقدم بسرعة في الأراضي الإيطالية، والمدن كانت تسقط الواحدة بعد الأخرى، بل ترحب بجيش الفاتحين المنتصرين، وكان الشيوعيون وجماعة الأنصار المعادين للفاشية يعلنون عن ابتهاجهم وفرحهم على رؤوس الأشهاد.

أصبح موسوليني يخشى من القبض عليه إذا ما بقي في مكانه ولم يتحرك، لذلك أمر أعوانه بتحميل الحقائب الضخمة في سيارات شحن من أجل الهرب باتجاه الحدود السويسرية، وفي لحظة من اللحظات فكر في الهرب إلى أسبانيا حيث يمكن أن يحظى بالحماية لدى زعيم الفاشية الأسبانية فرانكو.

لكنه عدل عن هذه الفكرة لأن الألمان رفضوا أن يعطوه طائرة للهرب بواسطتها، وهكذا حمّلوا ٥٦ حقيبة ضخمة مليئة بالوثائق السرية وأسرار الدولة. هذا بالإضافة إلى مبالغ مالية ضخمة سحبوها من البنك الوطني الإيطالي، وكذلك ملايين الدولارات وكميات كبيرة من الذهب والجواهر الثمينة. ولكن كل ذلك لم يُجد نفعا في نهاية المطاف. .

وفي حدود الساعة الحادية عشرة مساء انطلقت القافلة بالرجل وأتباعه. وكانت تضم حوالي ثلاثين سيارة ومائة وخمسين إلى مائتي رجل.

وكان موكب موسوليني محاطا بالحرس الراكب على دراجات نارية والمزود بالأسلحة الرشاشة للدفاع عنه في حال الخطر. ثم وصل إلى مدينة "كومو" التي كانت تضم - آنذاك - ٧٠ ألف شخص. ولاحظ موسوليني أن كل الشعارات والرموز الفاشية قد أزيلت من شوارع المدينة بعد انتصار الحلفاء ودخول قواتهم إلى إيطاليا.

لكن بقيت له بعض القوات الموالية. لذلك نزل في المبنى الرسمي للدولة أي مركز المحافظة، ولكن بشكل مؤقت لأنه كان يعرف أن الأعداء يتربصون به وسوف يبحثون عنه ويحاصرونه عاجلا أو آجلا. وأنه لا يستطيع أن يتأخر أكثر من اللازم في هذه المدينة.

وفي صبيحة يوم الخميس ٢٦ أبريل أيقظ موسوليني كل أتباعه من أجل التحرك فوراً، ويبدو أنه كان قد اتخذ قراره بالسير حتى جبل فاستيلاين الذي يمكن أن يتحصن به ويدافع عن نفسه ولو فترة. ومعلوم أنه كان قد خلف وراءه وزير دفاعه بافوليني وأوصاه بتجميع عدد كبير من القوات الموالية ثم الالتحاق به في اللحظة المناسبة.

ولكن عندما وصل إلى المكان المتفق عليه مع وزير الدفاع لم يجد أحدا في انتظاره. فلا جيش ولا قوات ولا يحزنون. فهل تخلى عنه بافوليني يا ترى؟ هل خانه هو الآخر؟ وعندئذ عقد مجلس حرب مع أعوانه لكي يعرف كيف يتصرف وإلى أين يتجه. هل يتجه نحو سويسرا القريبة مثلا ؟

قالوا له إن الأخبار سيئة لأن حرس الحدود الإيطالية - السويسرية أصبحوا من مؤيدي المقاومة الوطنية المضادة للفاشية. وبالتالي هناك خطر في أن يقبضوا على موسوليني ويسلموه إلى أعدائه إذا ما حاول الدخول إلى سويسرا.

أثناء ذلك كان قد وصل إلى مدينة "كومو" ضابط في الاستخبارات الأميركية للتفاوض مع موسوليني وإعطائه الأمان إذا ما سلم نفسه، ووعده بعدم محاكمته كمجرم حرب. فقالوا له أن القائد قد ترك المدينة هذا الصباح . فأرسلوا على أثره فيتو موسوليني وفيتوريو موسوليني، أي ابن أخيه وابنه لإقناعه بعدم الهرب إلى سويسرا، ولكن دون جدوى. فالواقع أن الشيوعيين أوقفوا الرجلين ومن معهما، ومنعوهما من مواصلة الطريق، لأنهم كانوا يريدون القبض على موسوليني، والانتقام منه، قبل أن يسلم نفسه للأمريكان ويصبح في مأمن. والمعروف أن الشيوعيين كانوا حاقدين عليه إلى أقصى الحدود.

والواقع أنه كلما كانت قوات الحلفاء في إيطاليا تتقدم كان الشعب يصعد من ثورته ضد المسئولين الفاشيين، وينتقم من رجال الفاشية، بعد أن أذلوه طيلة سنوات عديدة. ولم يستثنوا حتى نساء وأطفال المسئولين السابقين . ووقعت – آنذاك – تصفيات ومجازر عديدة كما هو متوقع.

وقد زاد هذا من خوف موسوليني ورعبه. وبدأ بعض القادة الفاشيين المرافقين له يهجرونه لكي ينجوا بأنفسهم . وقد حاول أحد وزرائه الوصول إلى سويسرا للالتجاء هناك . ولكنهم قبضوا عليه قبل أن يصل إلى الحدود ببضع خطوات .

وعندئذ سمح موسوليني لكل من يرغب في التخلي عنه بأن يذهب لحال سبيله. وقد تأثروا كثيرا لهذا الموقف، ولكنهم قدموا له آخر تحية قبل أن يختفوا في الأرياف المجاورة، بحثا عن النجاة !!

وأحس موسوليني عندئذ بأن كل شيء ينهار من حوله ويتهاوى . وشعر بأن فراغ الوحدة وبرودة الموت أصبحا قاب قوسين أو أدنى منه .

وعندئذ اختلى بنفسه، وجلس إلى طاولة وكتب هذه الرسالة الأخيرة إلى زوجته راتشيلي (راشيل) :

"عزيزتي راشيل . ها أنا قد وصلت إلى آخر مرحلة من مراحل حياتي . وربما لن نلتقي بعد الآن أبدا . لهذا السبب أرسل لك هذه الرسالة. أرجوك أن تغفري لي إذا كنت قد سببت لك الألم والأذى دون قصد . ينبغي أن تعلمي انك كنت المرأة الوحيدة التي أحببتها فعلا. أقسم على ذلك أمام الله وذكرى فقيدنا الغالي برينو (ابنه الذي مات). بإمكانك أن تأخذي معك الأطفال وتذهبي إلى الحدود السويسرية للجوء هناك . لا أعتقد أنهم سيمنعونك من الدخول. فقد راعيت مصالح سويسرا طيلة حكمي. وأنت خارج السياسة وبالتالي فلن يحاسبوك على ما فعله زوجك. ولكن إذا لم تنجح هذه الخطة فسلمي نفسك للحلفاء . فربما كان

هؤلاء أكثر شهامة معك من الإيطاليين. أستودعك الله وولدينا آنا ورومانو . عاملي آنا وكأنها ابنتك بالفعل . أنت تعلمين كم أحبها . أقبلك وأقبل الطفلين" .

بنيتو موسوليني

٢٦ أبريل ١٩٤٥

وبعد أن أكمل الرسالة وضعها في ظرف وسلمها إلى شخص موثوق وطلب منه نقلها إلى زوجته التي لا تقيم بعيدا عن المنطقة المتواجد فيها. وبعدئذ راح ينظف أوراقه فيحرق بعض الوثائق ويبقى على بعضها الآخر. وقد كتب على بعضها الكلمات التالية: السيد ونستون تشرشل. وقد احتوت على وثيقة سرية جداً رأى أنها يمكن أن تنفعه لتبرير مواقفه والنجاة من حكم الإعدام إذا ما وقع في أيدي الحلفاء.

وكل هذه الوثائق المهمة وضعها في حقيبة صغيرة أصبحت ترافقه على طول الخط دون أن ينساها . وعندما حل الظلام وخيم الليل طلبوه إلى التليفون فإذ امرأته على الخط تريد أن تتحدث معه بعد أن وصلتها رسالته . ولا أحد يعرف كيف استطاعت أن تحصل على رقم التليفون، فكرر على مسامعها ما كتبه لها في الرسالة وأوصاها مرة أخرى بأن تضع الأطفال في مكان آمن لكيلا يصيبهم أذى .

ثم طلب أن يتحدث معهم مباشرة فجاءوا إلى التليفون وهم يبكون . وتحدثوا معه لآخر مرة . ثم ودع امرأته بهذه الكلمات : سوف تكون لك حياة جديدة يا راشيل . فلا تضيعي الوقت واغتنمي فرصة الحياة . أما أنا فقد انتهيت . وداعا يا راشيل . وداعا لا لقاء بعده " .. وأغلق الخط !!

وفي ساعات الصباح الأولى ليوم الجمعة ٢٧ نيسان من عام ١٩٤٥ وصل وزير الدفاع أخيرا، ولكن بدون عسكر ولا قوات.. فالفاشيون كلهم تفرقوا. اختفوا بعد أن سيطر الشيوعيون على الشارع وراحوا يلاحقونهم. فقد حانت لحظة الانتقام.

وبالتالي لم يبق مع موسوليني إلا بعض كبار القادة الفاشيين وستة عناصر من الميليشيات الذين بقوا أوفياء له وأرادوا مشاطرته مصيره أيا كان.

من كل أمجاده الغابرة وسلطته الضخمة التي أرعبت إيطاليا والعالم لم يبق له إلا حفنة من البشر. لأشد ما تغيرت الأمور وانقلبت. بالأمس كان مجرد ذكر اسمه يرعب الدنيا واليوم أصبح شخصا هاربا، متخفيا، يتوقع الموت في أي لحظة.

ثم سارت القافلة باتجاه الحدود السويسرية أملاً بالوصول إليها في أسرع وقت والهروب من إيطاليا. ولكن قبل الوصول إليها ابلغ أحدهم جماعة المقاومة المضادة للفاشية بأن هناك قافلة مشبوهة على الطريق وينبغي أن يوقفوها ويفتشوها بأي شكل.

وهذا ما كان، فما إن وصلت قافلة موسوليني إلى الحاجز العسكري حتى تقدم منها رجال الشرطة، وطلبوا هويات كل الموجودين فيها. فقدم لهم ستة جنود من أعوان موسوليني هوياتهم. ولكن بقي شخص سابع منبطح في أعماق سيارة الشحن ويبدو نائما.

وتردد رجال المقاومة للحظة في طلب تفتيشه لأنه بدا كبيرا في السن ومتعبا. ثم إنه نائم ولكنهم قرروا في نهاية المطاف أن يفتشوه. فصرخوا في وجهه: من أنت؟ أين هويتك؟ انزل من السيارة لكي نفتشك.

وعندئذ لم يجد الرجل بدا من الخضوع للأوامر فنزل بعد أن ساعدوه على ذلك. وما إن أصبح أمامهم ورأوه حتى صعقوا ولم يصدقوا أعينهم. وصرخوا: غير معقول، آنت سيادتك هنا؟! وفي البداية احترموه ولم يشاءوا أن يصيبوه بأي أذى. ولكن المشكلة هي أن أحد قادة المقاومة العنيفين وصل إلى المكان بالصدفة. وعندئذ حسم مصير موسوليني.

في أثناء ذلك كانت عشيقة موسوليني "كلارا" قد التحقت به. فحاول أن يقنعها أن تتركه وتنجو بنفسها ولكنها رفضت، وبعد ذلك بيومين اقتادهما هذا المقاوم العنيف الذي لا يتردد في سفك الدماء إذا لزم الأمر إلى منطقة فارغة من السكان في أسفل الوادي .

وفي أثناء الطريق عرف موسوليني أنه سيصفيه مع عشيقته. وامتقع وجهه بعد أن شعر بأن لحظة النهاية قد أزفت. وما إن وصلوا إلى المكان المحدد للتصفية حتى عصبوا عينيه وعيني عشيقته قبل الإعدام. ويقال إنه قال لهم: اضربوا على القلب لكي يحصل الموت بسرعة. وهكذا كان، وعلى الرغم من توسلات "كلارا" إليهم وصرخاتها فإنهم لم يرحموه ولم يتركوه حيّاً.

ثم قتلوها بعده مباشرة، وعلقوا جسديهما على الجدار، لكي يراهما جميع المارة. وكان ذلك بعد أن نقلوا جسديهما إلى مدينة مجاورة.

وأيا كان الأمر فقد أعدم الرجل الذي ملأ الدنيا وشغل الناس طيلة عشرين سنة أو يزيد..

وبدأت حملة واسعة النطاق لتصفية ممتلكات الديكتاتور الراحل . فاستولوا على قصوره ومزارعه وصادروا أمواله في البنوك، ثم راحوا يبحثون عن كنوز موسوليني من الذهب والمجوهرات، ولكنهم لم يعثروا لها على أثر!

وقالوا وقتها: "لقد أخفتها أرملته راشيل .. دفنتها تحت التراب لتعود إليها عندما تعوزها الحاجة"!!

وعاشت الأرملة سنوات وسنوات بعد انهيار الفاشية في إيطاليا دون أن تظهر عليها علامات الثراء . و عندما التقى بها الصحافيون قبل موتها عام ٢٠٠١، بعد أن تجاوزت التسعين، وعاد الحديث عن الكنوز المدفونة، جلست راشيل تروي مأساتها.. قالت :

"إنني أتضور جوعاً.. لقد تقدمت إلى الحكومة الإيطالية في عام ١٩٩٥ أطلب صرف معاش لي بمقتضى القانون الذي صدر بصرف معاشات لأرامل الحرب بغض النظر عن الجانب الذي حارب فيه أزواجهن. ولكنهم رفضوا بحجة أن حقي في المعاش قد سقط، نظراً لمرور أكثر من عشر سنوات على صدور هذا القانون. ثم

عادوا فتجاوزوا عن هذه النقطة. ولكن المعاش لم يصرف ! .. فقد وجدت وزارة المالية الإيطالية أن أرملة موسوليني تستحق ما يعادل مائة ألف جنيه معاشاً عن الفترة التي انقضت .. وبسبب ضخامة المبلغ توقف الصرف بحجة الخوف من ثورة الرأي العام" !!

وفي شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٦، تم العثور على شريط يصور اللحظات الأخيرة من حياة موسوليني .

وفوجئ العالم بأن اللحظات الأخيرة من حياة الديكتاتور الإيطالي الراحل بنيتو موسوليني كانت قد صورت، وأنه قد تم تعقب الشريط حتى العثور عليه في الولايات المتحدة .

وقال وكيل حفيد موسوليني، لوتشيانو راندازو، في مؤتمر صحافي في روما إن مدة الفيلم هي دقيقتان ونصف الدقيقة، وهو من ضمن أرشيف خاص حفظ في واشنطن!

وقال إن حفيد الديكتاتور الراحل، جويدو موسوليني، لم يطلع على الفيلم الذي يمكن أن يتيح التعرف إلى الأشخاص، الذين قتلوا الزعيم الإيطالي .

وكومو هي قرب القرية حيث قتل موسوليني. وكان حفيده قد طلب رسميا من القضاء في القرية فتح تحقيق رسمي في مقتل جده لتوضيح مسار الأحداث .

ويقول: إن المؤرخين خرجوا بـ ١٩ نظرية متناقضة عن نهاية موسوليني، معلنا عن رغبته في معرفة من قتل جده . وقال كارلو مورغانتي، وهو محام ثان يعمل على القضية، إن النيابة العامة في كومو فتحت تحقيقا في القضية، وجويدو هو حفيد موسوليني من نجله الأكبر فيتوريو. و لا يزال التحقيق مستمراً حتى مثول هذا الكتاب للطبع !!

ومن عجائب الأقدار أن إعدام موسوليني والتمثيل بجثته تم تنفيذاً لأوامر سابقة صادرة منه .. ففي إحدى خطبه للشعب الإيطالي في وقت مجده وقوته، قال مخاطبا الجماهير :

- اتبعوني كلما تقدمت بكم للأمام .. أما إذا تراجعت فاقتلوني .. وإذا هزمت فانتقموا مني وعلقوني من ساقي..!!

١٢ - مكيافيللي .. موسوليني

علاقة من نوع خاص



■ كانت خيارات موسوليني قد تحددت : فقد اختار وهو شاب أن يقدم أطروحة علمية عن (كتاب الأمير) لمكيافيللي سنة ١٩٢٤، وبعدها بقليل كان يقود إيطاليا إلى حقبتها الفاشية وبيمينه (كتاب الأمير) وأفكار مؤلفه التي قادته والبلاد إلى الهاوية .

١٢- مكيافيللي .. موسوليني

علاقة من نوع خاص !!

من بين أوراق موسوليني المثيرة للاهتمام واحدة يتحدث فيها عن هدية خيالية جاءته من فرقة القمصان السوداء الفاشية، التي قال له قائدها إن سيفاً سيهدى إليه في المستقبل وعليه عبارة منقوشة من مكيافيللي هي: ليست المحافظة على الدول بالكلام.

ورغم تأخر تلك الهدية في الوصول فقد كانت خيارات موسوليني قد تحددت، فقد اختار وهو شاب أن يقدم أطروحة علمية عن كتاب الأمير لمكيافيللي سنة ١٩٢٤، وبعدها بقليل كان يقود إيطاليا إلى حقبتها الفاشية، وبيمينه كتاب الأمير وأفكار مؤلفه التي قادته والبلاد إلى الهاوية.

وقد ركز موسوليني في أطروحته على ثلاث نقاط، أولاها: فهم مكيافيللي لطبيعة البشر وثانيتها: موقفه من الملكية، أما المحور الثالث: فعن علاقة الفكر بالقوة والطبيعة الإنسانية.

فالبشر عند مكيافيللي-حسب تحليل موسوليني-خبثاء يتمسكون بالمصالح المادية، وهم على استعداد لتغيير أهوائهم وعواطفهم بسرعة البرق في اتجاه مصالحهم، لذا ترى أحدهم يحزن حزناً بلا حدود إذا نُزعت منه ملكية أي شيء، فالحزن على المال يفوق حزن البشر على الأب أو الأخ، لأن الميت يُنسى أما الثروة المفقودة فتظل حية في الذاكرة والمشاعر.

وفي هذا المحور تحديداً أتت فكرة مكيافيللي التي طورها آخرون لاحقاً عن انتصار الأنبياء المسلحين وهلاك الأنبياء العزل، نظراً لأن طبيعة البشر متقلبة، فمن السهل

أن نستميلهم إلى أمر من الأمور لكن من الصعب أن نبقي على إيمانهم به طويلاً، إن لم يتم التلويح بالقوة وتوابعها من مؤسسات البطش والقمع.

ولأن مكيافيللي كان منافقاً كبيراً فإنه يبلغ ذروة إبداعه في الفصل الخامس من كتابه، وهو الفصل الذي يتحدث فيه عن كيفية الإعراض عن المنافقين، حيث يبرهن من خلال النظرية عن خبرة عميقة قلما توفرت لغيره من كتاب السياسة.

ومن آيات خبث مكيافيللي أنه يقدم فصل الإعراض عن المنافقين مباشرة بعد فصل اختيار الوزراء والمستشارين، فكأنه كان يريد الإيحاء لحكام زمانه وقراء كتابه أن النفاق الحقيقي يعشش بين رجال هاتين الطبقتين، اللتين تشكلان حاجزاً بين الشعب والإدارات الدنيا وبين من هم في قمة الهرم السياسي.

لقد لاحظ مكيافيللي من مراقبته للتشكيلات الحاكمة في عصره في الممالك والإمارات الإيطالية أن معظم فساد السياسات يأتي عن طريق الوزراء، فلا هم موظفون صغار ليسمعوا، ويطيعوا صامتين، ولا هم على قمة هرم السلطة ليستبدوا، ويفرضوا سياساتهم الشخصية دون خوف من انتقام الأعلى من الأسفل.

والظاهر أن هذه الفئة المحصورة بين سوط الحاكم، ولهيب الطبقة البيروقراطية المدربة على الإطاحة بالوزراء والمستشارين كل حين، كانت تعرف سابقاً أنها لن ترضي أحداً، لذا كان الوزير في تلك الأزمان الخالية من الرقابة الشعبية والحكومية يبدأ النهب قبل أن يصدر قرار تعيينه، ولأنه يعرف أن استمراره مرهون برضا رب القصر عنه يُضطر للنفاق والتزلف وتبديل الجلد عدة مرات في اليوم الواحد، إلى أن يصبح النفاق عادة متأصلة تسبق جميع الصفات الأخرى حتى عند المتمكنين من وزراء الحقب المكيافيللية.

ومع النفاق تأتي الازدواجية الشخصية، فالوزير والمستشار يتحدثان مع الحاكم بصوت رخيم مليء بالمسكنة، ومع الموظفين بزمجرة جهورية تشبه قصف الرعد،

وشتان بين الطريقتين والأسلوبين، فالفرق بينهما بحجم الفروق بين تلقي الأوامر وإصدارها عند قوم يصدرون أحيانا أوامرهم بالإشارات، بعد أن تبح أصواتهم من كثرة توجيه الأوامر الصوتية.

إن نقطة الضعف في أفكار مكيافيللي . وهذا ما لم يقف عنده المعجب به جداً مواطنه موسوليني . انه يبني أحكامه كلها دون أن يأخذ في الحسبان نبل الروح الإنسانية، فهو لا يؤمن (بهراء من هذا النوع) لكن هذا الهراء موجود، فبعض البشر يحافظون على أصالة أرواحهم حتى وهم في قمة السلطة، وهم قلة بالطبع، لكن قلتهم لا تبرر إهمالهم، فمع وجودهم وتشديد الرقابات الدستورية يصبح انحراف طبقتي المستشارين والوزراء صعباً، بوجود قوانين ملزمة للجميع يتم فرضها على القوي قبل الضعيف لتكتمل وتنجح معادلات العدالة.

١٣- موسوليني والفاشية..
وجهان لعملة واحدة!!



■ ولهذا السبب فإن جدران روما كانت مغطاة بالعبارة التالية في الثلاثينيات من القرن الماضي (العشرين): "موسوليني دائماً على حق"! فالقائد الأعلى لا يخطئ وينبغي اتباعه بشكل أعمى. وبالتالي فعبادة الشخصية هي إحدى سمات الفاشية الأساسية، وعلى هذا النحو تحول ستالين إلى أب الشعوب، وهتلر إلى صنم معبود، وكذلك موسوليني.

١٣- موسوليني و الفاشية ..

وجهان لعملة واحدة !!

الفاشية عملة رديئة سكها لأول مرة في التاريخ السياسي الحديث بنيتو موسوليني. واصطلاح الفاشية "fascism" مشتق من الكلمة الإيطالية fasces، وهي تعني حزمة من الصولجانات كانت تُحمَل أمام الحكام في روما القديمة دليلاً على سلطاتهم. وفي تسعينيات القرن التاسع عشر بدأت كلمة فاشيا "fascia" تستخدم في إيطاليا لتشير إلى جماعة أو رابطة سياسية عادة ما تتكون من اشتراكيين ثوريين.

وكان توظيف موسوليني لوصف الجماعة البرلمانية المسلحة التي شكّلها في أثناء الحرب العالمية الأولى، وبعدها أول موسوليني في زيه الفاشي مؤشرا على أن اصطلاح "fascisma" قد حظي بمعان أيديولوجية واضحة، وعلى الرغم من ذلك فعادة ما يفتقر توظيف اصطلاحي "الفاشية" "fascism" و"الفاشي" "fascist" إلى الدقة، فكثيرًا ما تستخدم كاصطلاحات تهدف إلى الإساءة السياسية للخصوم السياسيين والاتهام لهم بالدكتاتورية ومعاداة الديمقراطية.

وعلى سبيل المثال أصبح "الفاشي" و"الديكتاتور" لفظين يطلقان بشكل متبادل على كل مَن يتبنى أو يعبر عن آراء منافية أو مخالفة للمنظومة القيمية للأيديولوجية الليبرالية أو مؤسساتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

والحق أنه لا يجب مساواة الفاشية بأساليب القمع الخالص، فقد ساهم نطاق معين من النظريات والقيم في رواج الفكر الفاشي، كما أن الأنظمة الفاشية التي ظهرت في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين قدمت صيغًا من الحكم والإدارة

السياسية التعاضدية، التي يجب دراستها بمعزل عن الطبيعة السلطوية للأنظمة الفاشية؛ نظرًا لأهميتها التعاضدية في نظريات الإدارة السياسية.

ويلاحظ أنه في حين تعد الليبرالية والاتجاه المحافظ والاشتراكية أيديولوجيات تنتمي إلى القرن التاسع عشر، فإن الفاشية وليدة القرن العشرين، خاصة الفترة ما بين الحربين العالميتين على وجه الخصوص .

وقد ظهرت الفاشية في نظر البعض كثورة ضد الحداثة وأفكار وقيم التنوير والاعتقادات السياسية التي أنتجتها، فعلى سبيل المثال زعمت النازية في ألمانيا أن "نتائج الثورة الفرنسية ١٧٨٩ قد سقطت"، وفي إيطاليا حلت شعارات "آمن -أطع- حارب"، وكذلك "النظام -السلطة -العدالة" محل مبادئ الثورة الفرنسية الأكثر شيوعًا "الحرية -المساواة -الأخوة". ولم تكن الفاشية مجرد مفاجأة غير متوقعة، وغير مرجوة لمسيرة التنوير فحسب مثلما وصفها البعض؛ بل عملت على تغيير العالم السياسي، وعمدت إلى اقتلاع الفكر السياسي الحداثي من جذوره.

وبرغم امتداد الأصول البارزة لأفكار ومناهج الفاشية إلى بعض أفكار القرن التاسع عشر فقد تشكلت وتفاعلت مع بعضها في أثناء الحرب العالمية الأولى، وفي أعقابها في مزيج قوي من الحرب والثورة.

وقد تجسدت الفاشية في إيطاليا وألمانيا، ففي إيطاليا تم تشكيل الحزب الفاشي عام ١٩١٩ بزعامة بنيتو موسوليني الذي عين رئيسًا للوزراء عام ١٩٢٢، وبحلول عام ١٩٢٦ قامت أول دولة ذات حزب فاشي واحد، وكذلك تشكل حزب العمال الألماني الوطني الاشتراكي الذي عرف بالنازية عام ١٩١٩ بزعامة أدولف هتلر .

وقد تبنت النازية عن وعي فاشية موسوليني، وانتخب هتلر لمنصب المستشار الألماني عام ١٩٣٣، وفي أقل من عام حول هتلر ألمانيا إلى ديكتاتورية نازية بزعامته كقائد، وفي هذه الأثناء سقطت الديمقراطية أو أُسقِطت في كثير من أنحاء أوربا، في الأغلب على يد اليمين أو الفاشية أو الأنظمة الفاشية الصريحة.

كانت الفاشية نتاج مجموعة مركبة من المؤثرات التاريخية ظهرت في الفترة ما بين الحربين العالميتين.

ففي المقام الأول: كان الحكم الديمقراطي حديث التطبيق في أجزاء عديدة من أوربا، ولم تكن القيم السياسية الديمقراطية قد حلَّت محل القيم السياسية الاستبدادية القديمة، وفي مثل هذه الظروف نالت الرُّوح الحماسية للزعامة القوية الكاريزمية قَبولاً قويًّا.

ثانيًا: اضطرب المجتمع الأوربي من جراء التجربة الصناعية التي هددت على وجه الخصوص الطبقة المتوسطة الدنيا التي تضم أصحاب المتاجر والمزارعين والحرفيين، الذين طحنتهم القوة المتنامية للأعمال الضخمة من جهة، والنفوذ المتزايد للعمالة الموجهة من جهة أخرى. وقد استمدت الحركات الفاشية القَدْر الأكبر من الدعم، وكذلك العضوية، من هذه العناصر المحبَطة والمضارَة، المنتمية إلى الطبقة المتوسطة الدنيا. ومن ثم كانت الفاشية في وجه من وجوهها "ثورة قامت بها الطبقة المتوسطة الدنيا" مما يفسر عداوة الفاشية لكل من الرأسمالية والشيوعية.

ثالثًا: تأثرت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى تأثراً شديداً بالثورة الروسية، وبالخوف الذي غمر الطبقات ذوات الممتلكات من أن تنتشر الثورة الاجتماعية في أوربا كلها.

وقد حصلت الجماعات الفاشية على الدعم المالي والسياسي دون شك من البرجوازية، وكانت نتيجة ذلك أن نظر المؤرخون الماركسيون للفاشية بوصفها شكلا من أشكال الثورة المضادة في محاولة من الطبقة البرجوازية للحفاظ على السلطة وذلك بدعم الديكتاتوريين الفاشيين.

رابعًا: وجهت أزمة الاقتصاد في العالم في ثلاثينيات القرن العشرين ضربة قاضية للأنظمة الديمقراطية الهزيلة، وقد أدى تزايد البطالة والانهيار الاقتصادي إلى خلق أجواء من الأزمات والتشاؤم كانت تربة خصبة لاستغلال المتطرفين السياسيين والجماهير.

وأخيرًا: أخفقت الحرب العالمية الأولى في حل الصراعات والعداءات الدولية؛ ما خلف موروثا قاسيًا من قومية محبطة، ونعرات عصبية، ورغبة عارمة في الانتقام من القوميات الأخرى. واشتد توتر القوميين في الأمم المعدَمة التي هزمت في الحرب مثل ألمانيا التي أصيبت بخيبة أمل بسبب شروط تسوية فرساي السلمية المجحفة.

ولما سبق من عوامل لم يكن سقوط الأنظمة الفاشية على يد ثورات أو حركات معارضة شعبية؛ بل جاء بسبب الهزيمة في الحرب العالمية الثانية، فمنذ عام ١٩٤٥ لم تحقق الحركات الفاشية إلا نجاحا هامشيًا؛ ما شجع البعض على الاعتقاد بأن الفاشية ظاهرة لفترة ما بين الحربين، وهي مرتبطة بالحشد الفريد للظروف التاريخية التي ميزت تلك الحقبة.

لقد بلغت الفاشية بصفتها ظاهرة تاريخية من التعقيد والتركيب ما تعذر معه تحديد جوهر مبادئها أو" الحد الأدنى الفاشي". فأين تبدأ الفاشية ؟ وأين تنتهي؟ وما هي الحركات والأنظمة التي يمكن أن تصنف بأنها فاشية خالصة؟ ويمكن تحديد ملامح وخصائص عامة للفكر الفاشي:

١- مناهضة المذهب العقلاني :

يرتبط غياب الثقة في المنطق والفكر عند الفاشية بالإيمان بالمذهب الحيوي، ويرى المذهب الحيوي أن الكائنات الحية تستمد خصائصها من "قوة حياتية" عالمية، وكان لمثل هذه الأفكار تأثير خاص على ألمانيا النازية كما ساعدت على قيام ثقافة القوة الجسدية، والبراعة الفائقة؛ فكان شعار النازية "الدماء والتربة" Blut und Boden تجسيداً لذلك.

كذلك كان لأفكار العالم البيولوجي البريطاني "تشارلز داروين" في القرن التاسع عميق الأثر لا على العلوم الطبيعية فحسب بل على الفكر الاجتماعي والسياسي كذلك في أواخر القرن التاسع عشر، وأمد الفكر الدارويني الفاشية بمجموعة متميزة من

القيم السياسية تساوي بين "الخير" و"القوة"، وبين "الشر" و"الضعف"، ثم نمت صورة الفضائل المتطورة بـ"الاختيار الطبيعي" على يد الفيلسوف الليبرالي وعالم الاجتماع "هيربرت سبنسر" لتصل إلى فكرة "البقاء للأصلح"، وهو الاعتقاد في أن المنافسة بين الأفراد سوف تكافئ الجادين والموهوبين وتعاقب الكسلة وغير الأكفاء.

وأخيرًا أضفى مفهوم الفاشية عن الحياة بأنها "صراع أبدي"- أضفى عليها طابعًا مضطربًا وتوسعيًا. وأنه لا يمكن زرع الصفات القوية - القومية إلاَّ بالصراع، ولا يمكن إظهارها إلا بالنصر والفتح.

٢- القومية العسكرية:

شهدت القوى الفاشية نموًا للقومية كشعور وهوية، ولا تدعو القومية الفاشية إلى احترام الثقافات المختلفة أو التقاليد القومية؛ بل تؤكد تفوق أمة أو عنصر على جميع الأمم الأخرى، وجاء هذا التعبير صريحًا وجريئًا في الإيمان بتفوق الجنس الآري الألماني، والاعتقاد بأن الألمان هم "عنصر الأسياد".

وتسعى الفاشية إلى دعم ما هو أكثر من الوطنية وحب الوطن، فهي ترمي إلى خلق شعور كثيف وعسكري بالهوية القومية، وهو ما عُرِف بـ "القومية المتكاملة"، وتجسد الفاشية شكلاً من أشكال الرأسمالية المتعصبة والأمل في انبعاث القومية وميلاد الكبرياء القومي من جديد.

٣- الفاشية والدولة:

كان نظام الفاشية هو النموذج الديكتاتوري المتمثل في خضوع الفرد التام للدولة، وجذبت الدولة الفاشيين بشدة حيث إنهم رأوا فيها أداة للتحديث، ولم تسمح الفاشية بوجود مجتمع مدني ولا ديني قوي ورأت في ذلك تهديدًا لقوة الدولة، وسحقت المعارضة سحقًا، وعرف نظامها الداخلي قبضة بوليسية حديدية.

والسؤال: هل تشهد الفاشية رواجاً في القرن الـ ٢١ ؟! .. من اللافت للنظر أن بعض المراجع الحديثة باللغة الإنجليزية بعنوان الأيديولوجية لا تدرج الفاشية ضمن الأيديولوجيات وكأنها شيء من الماضي، ويرى باحث متميز مثل "مايكل فريدان" أن النسوية والبيئية أولى بالدراسة تحت عنوان الأيديولوجية، وهو اختيار جدير بالتأمل ويتوازى مع الانطلاق من الليبرالية كأيدلوجية منتصرة ومحورية؛ فيخلط بذلك بين الواقع والأمنيات، ويكرس فكرة "نهاية التاريخ"، أو انتصار الليبرالية على المستوى المعرفي.

ويرى بعض الباحثين أن الفاشية في مفهومها الصريح لم تجد رواجاً في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن ثم تصبح فرصة استمرارها في القرن الحادي والعشرين أقل، ولكن تطورات جديدة على الساحة السياسية في أوربا جذبت انتباه بل ودهشة الباحثين:

فالجبهة القومية بزعامة جون ماري لوبان شهدت صعوداً ودعماً انتخابياً متزايداً في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين لبرنامجها الذي يقوم على مقاومة قدوم الهجرات من دول الفرانكفونية.

كما جذبت الجماعات المناهضة للأجانب والقوميين الراديكاليين كحزب Republikaner دعماً متزايداً بعد الوحدة الألمانية عام ١٩٩٠؛ ونتيجة لتدفق المهاجرين من الشرق الشيوعي سابقا.

وفي المملكة المتحدة (بريطانيا) أحيا الحزب البريطاني القومي BNP الدعوة العنصرية بمعارضة السماح باستقبال المهاجرين من آسيا للعمل في بريطانيا، أو للجوء السياسي في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين.

وبسقوط الحكم الشيوعي في روسيا هبت جماعات تنادي بمعاداة السامية وتدعو للقومية الروسية، وقد تبنى هذا الموقف الأيديولوجي الحزب الليبرالي الديمقراطي بزعامة فلاديمير زيرينوفيسكي.

وينظر البعض إلى الفاشية على أنها خطر دائم ومستمر تدب جذوره في النفسية البشرية، أو كما سماه البروفيسير "إريك فروم" "الخوف من الحرية".

فقد أتاحت الحضارة الحديثة قدرًا أكبر من الحرية، ولكن يلازمها خطر العزلة وغياب الأمن. وفي مثل هذه الأزمات العصيبة قد يهرب الأفراد من الحرية سعياً وراء الأمن الذي يجدونه في الخضوع لزعيم له السلطة المطلقة أو لدولة ديكتاتورية، ومن ثم قد ينجم عن الأزمة الاقتصادية أو عدم الاستقرار السياسي والصراعات بين القوميين في الماضي تربة خصبة للحركات الفاشية، ومن الخطر إغفال إمكانية انبعاث الفاشية من جديد في المستقبل.

ويربط مفكر آخر مثل "زيجموند باومان" بين الإبادة العنصرية التي هي من ملامح الفاشية وبين الحداثة، فهو لا يرى أن الإبادة مناقضة للحداثة بل هي نتاج لها، فالحداثة بما تكرسه من فردية تخلق مساحة اجتماعية بين الأفراد وتحول المجتمع من مجتمع عضوي إلى تجمع من أفراد يقوم على المصلحة المشتركة، وبذلك تمهد الحداثة لطاعة الدولة وللمسافة النفسية بين الإنسان وأخيه الإنسان، مما يعد الشرط السوسيولوجي للإبادة- ومثالها الإبادة النازية لليهود في نظره، وهو اقتراب نظري مختلف من الإبادة والفاشية، باعتبارها الوجه الآخر القبيح للاستنارة، ونتيجة وثمنًا مفزعًا وواقعًا لها، وهو اقتراب يستحق النظر خاصة مع تكرار الإبادة في ظل نسق قيم قومي عرقي عنصري في البوسنة وكوسوفا.

وفي بعض الأوجه تظل الظروف التاريخية في أواخر القرن العشرين موحية مثلها مثل دروس فترة ما بين الحربين، وبالتحديد درس أن الفاشية تنشأ من الأزمات والتشكك والاضطراب.

أدت العولمة في أشكالها الاقتصادية والسياسية والثقافية إلى تراجع السيادة المطلقة للدولة القومية ونمو أشكال منفصلة من القومية، تقوم على أسس عرقية أو عنصرية مثلت -كما في الماضي- تربة خصبة لنمو الفاشية.

لكن ما هو نوع الفاشية الذي تعتنقه هذه الأحزاب الفاشية الجديدة ؟ ..

الأمر الرئيسي الذي تدعي جماعات مثل الجبهة القومية والحزب البريطاني القومي والأحزاب اليمينية في إيطاليا والحزب الليبرالي الديمقراطي في روسيا أنها تختلف فيه عن الفاشية التقليدية هو قبولها التعددية السياسية والديمقراطية الانتخابية . فهل يعني ذلك أن "الفاشية الديمقراطية" ستكون بدون زعامة كاريزمية أو ديكتاتورية عنصرية صريحة؟

بشكل أو آخر، نجد أن هذا الشكل من الفاشية مؤهل للانتعاش في القرن الحادي والعشرين، فهو يبدو في الظاهر وكأنه دفن ماضيه ولم تعد تلطخه بربرية هتلر وموسوليني من ناحية، بدليل توصله إلى تسوية مع الديمقراطية الليبرالية، وكذلك هي مرشحة لجذب الأنصار؛ لأنها تمتلك القدرة على تقديم سياسة الوحدة العضوية والترابط الاجتماعي في زمن يهيمن فيه الاضطراب السياسي والاقتصادي من ناحية ثانية.

ويتحتم عند تقييم مستقبل الفاشية الجديدة Neofascism اختبار كلا الاحتمالين. فالاحتمال الأول يتمثل في التساؤل عما إذا كانت الفاشية ستظل ملتزمة بمبادئ الفاشية الموجودة بالفعل، بينما تتجه نحو التسوية مع الليبرالية في الوقت نفسه، فالتأكيد على الوحدة العضوية للمجتمع القومي يعطي الفاشية تركيزًا مناهضًا لليبرالية يضعها في موضع معارض مع أفكار، مثل: التعددية والتسامح والفردانية والسلمية.

ويتيح هذا الاحتمال أن يجبر الصراع على الصلاحية الانتخابية تدريجيا الأحزاب الفاشية "الديمقراطية" أن تتخلى عن قيمها ومعتقداتها التقليدية، وذلك بشكل يقترب من الاشتراكية الديمقراطية، ومن ثم ستتفوق المقومات الديمقراطية على الجذور الفاشية لتلك الحركات.

أما الاحتمال الثاني فيتمثل في أن التسوية الفاشية مع الديمقراطية الليبرالية تكتيكية بالضرورة، ويعني ذلك استمرار الروح الأصلية للفاشية، لكن الفاشية الجديدة تغطيها بغطاء دعائي ذكي وخطاب معاصر مراوغ فحسب بهدف كسب الاحترام والنفوذ. وتلك هي الإستراتيجية القديمة للفاشية، فقد استمر هتلر والنازيون مثلا في دعمهم الديمقراطية البرلمانية إلى أن استطاعوا الحصول على القوة عام ١٩٣٣، ولن يتضح ما إذا كانت حركات وأحزاب الفاشية الجديدة تستخدم الديمقراطية بوصفها أداة تكتيكية فحسب أم لا إلا إذا بلغوا هذا المبلغ من القوة عبر الآليات الديمقراطية.

وربما لا يعرف الكثيرون أن الفاشية التي ابتدعها موسوليني لم تتوقف عند حدود بلاده إيطاليا، و إنما تجاوزتها بكثير، ليمتد نفوذها وتأثيرها إلي معظم أنحاء القارة الأوربية !!

وتشير دراسة الحركات الفاشية الأوربية والدور الذي لعبته إيطاليا فيها داخليا وخارجيا إلى توسع الفاشية الإيطالية خارج حدودها مع احتلال الإيطاليين لليونان وكرواتيا وإثيوبيا وبعض الدول المتوسطية الأخرى . لكن ما هي الفاشية الأوربية يا ترى؟ ما هي القيم التي تؤكد عليها وتتمسك بها ؟! .. و ما هي القيم التي ترفضها؟!

في الواقع أن الفاشية الأوربية هي حركة فكرية وسياسية ترفض المجتمع الليبرالي الذي كان قد تأسس في القرن التاسع عشر في أوربا، وهو المجتمع البرلماني الديمقراطي القائم على مبادئ وقيم فلسفة التنوير، التي ازدهرت في القرن الثامن عشر. والمعروف أن فلسفة التنوير كانت قد شقت طريقها مع بزوغ فجر الثورة الفرنسية .

ولذلك فإن الفاشيين يكرهون الثورة الفرنسية وكذلك الثورة الأميركية وكل ما نتج عنهما. والفاشيون لا يؤمنون بقيم المساواة والعدالة التي رفعتها الثورة الفرنسية

كشعار لها. ففي رأيهم أن الناس ليسوا متساوين ولا ينبغي أن نحاول إقامة المساواة بينهم.

كما لا يؤمنون بأن الإنسان طيب بطبيعته، وهم يكرهون المفكرين الكبار من أمثال ديكارت، وكانت، وجان جاك روسو. ومعلوم أن هؤلاء كانوا يعتقدون بأن الإنسان قادر على تحقيق التقدم في التاريخ وتحسين وضعه والخروج من مرحلة الجهالة والبربرية إلى مرحلة الاستنارة العقلية والحضارة الإنسانية. وكانوا يثقون بالطبيعة الإنسانية.

يضاف إلى ذلك أن الفاشية تكره الديمقراطية كرهاً شديداً ولا تؤمن بها. لماذا؟ لأنها عبارة عن نظام ضعيف في نظر الفاشيين . فالنظام البرلماني الديمقراطي هو نظام الثرثرة الفارغة والمجانية داخل جدران البرلمان . . إنه نظام الأحزاب المتصارعة أو المتكالبة على السلطة . وبالتالي فلا خير يرجى منه لأن النواب يقضون كل وقتهم في المماحكات الجدلية بين بعضهم البعض وبالتالي فتضيع مصالح الأمة في مثل هذا الجو.

وترى الفاشية أن اختيار القادة السياسيين من قبل الشعب شيء تافه وضار بالمصلحة العليا للأمة. لماذا ؟ لأن الشعب قد يكون جاهلا وبالتالي فيختار أسوأ الناس لقيادته .

وترفض الفاشية أيضا حقوق الإنسان والنزعة الإنسانية عموما، كما تحتقر الكرامة الإنسانية لأن الإنسان غير موجود في نظرها إلا بقدر ارتباطه بالأمة العرقية. فالأمة في نظر الفاشية، هي الأساس وليس الفرد . ولذلك فإن الفاشية ترفض المجتمع الليبرالي، فهي تعتقد أن الليبرالية، أي الحرية، تؤدي في نهاية المطاف إلى الانحلال والميوعة، وتقضي بالتالي على تماسك الأمة ووحدتها المتراصة.

وبالتالي فقيم التسامح، والتعددية، والليبرالية في نظرها هي قيم سلبية لا إيجابية على عكس ما كان يظن فلاسفة التنوير ومن اتبعهم. يضاف إلى ذلك أن الفاشية ترفض العقل والعقلانية. لماذا ؟ لأن العقلانية تؤدي في نظرها إلى كبح جماح الطاقة الحيوية أو الاندفاعة الحيوية للإنسان الأوربي . فالإنسان لكي ينطلق ويصنع المعجزات بحاجة إلى "جنون" أو بالأحرى إلى تحرير طاقاته الداخلية من أسر العقل والعقلانية . ولذلك فإن الفاشية هي عقيدة الفطرة والغريزة الهائجة والعنف الثوري المتفجر.

وبعد أن ذكرنا القيم التي ترفضها الفاشية يجدر بنا أن نذكر القيم التي قامت على أساسها ودافعت عنها بكل قوة وعنف .

أول هذه القيم هي القومية الشوفينية المتعصبة. فالإنسان الفاشي هو شخص قومي متحزب لعرقه أو جماعته إلى حد التعصب الأعمى. وهو يعتقد بأن الأمة الإيطالية مثلا أو الألمانية أو الفرنسية، الخ هي أمة مقدسة . وبالتالي فينبغي أن نضحي بمصلحة الفرد لصالح الأمة. وينبغي أن نحتقر الأمم الأخرى إذا كنا نحب أمتنا بالفعل .

والفاشية تدعو إلى تطهير الأمة من العناصر الأجنبية التي دخلت إليها ولوثتها. ولهذا السبب فإن الفاشيين عنصريون بطبيعتهم.

ومعروف أن هتلر قسم البشرية إلى عدة أعراق على هيئة هرم نازل ووضع على رأسه العرق الآري أو الجرماني، وفي أسفل الهرم وضع الأفارقة السود والعرب واليهود باعتبار أنهم أعراق دنيا غير جديرة بالحضارة!

والأمة لكي تحقق أهدافها وعظمتها بحاجة إلى قائد تاريخي قوي، فاشي. ولهذا السبب فإن الفاشيين يتعلقون بالقادة الدمويين الذين لا يتورعون عن سفك الدماء إذا ما لزم الأمر. وينبغي على الشعب كله أن يسير وراء القائد الفاشي كالقطيع .

ولهذا السبب فإن جدران روما كانت مغطاة بالعبارة التالية في الثلاثينيات من القرن الماضي: موسوليني دائما على حق! فالقائد الأعلى لا يخطئ وينبغي اتباعه بشكل أعمى. وبالتالي فعبادة الشخصية هي إحدى سمات الفاشية الأساسية، وعلى هذا النحو تحول ستالين إلى أب الشعوب، وهتلر إلى صنم معبود وكذلك موسوليني.

فالقائد داخل النظام الفاشي هو شخص من طبيعة فوق البشر! وما بين القائد الأعظم والشعب ماذا يوجد؟ لا شيء إلا الحزب الواحد الأوحد: أي الحزب الفاشي، وهو حزب لا يؤمن بالتعددية ولا بحرية النقاش ولا بالرأي والرأي الآخر على الطريقة الديمقراطية .

كل هذه أشياء ينبغي حذفها في النظام الفاشي القائم على تدجين الجماهير وتأطيرها من أجل عبادة الزعيم واتباعه بدون أي مناقشة .

وبالتالي فالطاعة الكاملة والعمياء مطلوبة في النظام الفاشي، ولهذا السبب فإن موسوليني قضى على الحياة البرلمانية في إيطاليا، وقام بتكميم الأفواه وحرية الصحافة، وفرض صحافة الحزب الواحد: أي الحزب الفاشي الإيطالي الذي يدجّن الناس كما يشاء ويشتهي، ويربيهم على حب الزعيم الملهم الذي لا يفعل إلا الخير مهما فعل .

والقائد الفاشي شخص مغامر لا يحسب الحساب لأفعاله. فعندما يخطر على باله أن يغزو أحد البلدان فإنه يرسل جيوشه في جنح الظلام لاحتلاله حتى ولو أدى ذلك إلى كارثة فيما بعد .

ولهذا السبب راح موسوليني يتوسع في الخارج ويحتل العديد من البلدان الواقعة حول البحر الأبيض المتوسط بالإضافة إلى إثيوبيا .

أما هتلر فقد احتل ثلاثة أرباع أوربا، وبالتالي فالقائد الفاشي يحب أن يبرهن لشعبه على أنه رجل !!

١٤ - اختراع موسوليني اسمه "الشمولية" وآخر اسمه "أدلجة الفن والثقافة" !!



■ هناك شبه اتفاق بين المؤرخين على أن موسوليني كحاكم شمولي عتيد، استطاع بلورة مفهوم تسييس الفن والثقافة، هو المعلم الأول في هذا المجال للديكتاتور النازي أدولف هتلر، والديكتاتور السوفييتي جوزيف ستالين والصيني ماوتسي تونج !!

١٤- اختراع موسوليني اسمه "الشمولية" ..
و آخر اسمه "أدلجة الفن والثقافة " !!

يربط المؤرخون بين ظهور مصطلح "الشمولية" ومصطلح "أدلجة الفن والثقافة" بمعنى تسييسهما، وبين ظهور الفاشية على يدي ديكتاتور إيطاليا الراحل بنيتو موسوليني .

وباستثناء وصاية الفكر الديني على الأنشطة الفنية والثقافية في أماكن مختلفة من العالم ولفترات محددة من التاريخ البشري، فإن الفنون والآداب لم تقع تحت هيمنة النظم الفكرية والسياسية إلا في مطلع القرن العشرين، خاصة حينما تحقق ذلك بشكل سافر تحت سيطرة النظام الفاشي بزعامة موسوليني !!

فمع وصول موسوليني للسلطة ظهرت" المدرسة المستقبلية " في الفن في إيطاليا، تماشياً مع أفكاره، على أيدي "مارينيتي" و "بوجيوني" و "سفريني" و "بالا"، الذين أعلنوا الثورة على الماضي، والتقاليد القديمة، ومجدوا المستقبل، الذي وعدوا أن يكون منيرا بعنفوان الشباب، ومتفجرا بحيويتهم، ونشاطهم، وجرأتهم، واستعدادهم لركوب الأخطار، متخذين من التطور التكنولوجي، وسرعة إيقاع العصر، والعنف، رموزاً لتفوق وانتصار الإنسان على الطبيعة والأوضاع التقليدية.

وقد استقبل الشباب الإيطالي هذه الفلسفة بحماس كبير، مما خلق لها شعبية واسعة، خاصة بين حركات الشباب العسكرية، والميليشيات، والتي من خلالها وجدت المستقبلية طريقها المعد إلى قلب موسوليني، الذي كان بدوره قد انفصل - آنذاك- عن الماركسية، وأصبح قومياً اشتراكياً ثائراً ومتعصباً .

وهكذا انضوت الحركة المستقبلية تحت لواء حركة " القمصان السود " ، التي كان يقودها موسوليني، والتي كانت تدعو إلى تغيير الأوضاع بالقوة . فمع حماس وولاء المستقبليين سيطرت حركة موسوليني على الشارع الإيطالي - بشكل مطلق - ما قاد إلى استلامها السلطة عام ١٩٢٢، ليبدأ رسميا عصر الثقافة الأيديولوجية وتطور أساليب تسييس الفنون والآداب حتى وصلت إلى ما نعرفه اليوم.

وترتبط عملية تسييس الفنون و الثقافة بأي نظام شمولي، و هنا نقول إن موسوليني ونظامه هو أول من سك مصطلح " الشمولية " أو " التوتاليتارية " التي تنظر إلى تسييس الفنون و الثقافة كأهم أدواتها لإحكام سيطرتها على الجماهير .

ويعتبر الفيلسوف الإيطالي جيوفاني جنتيل، الذي استوزره موسوليني للتعليم في الحكومة الفاشية، أول من استخدم مصطلح التوتاليتارية (الشمولية) قبل أن يشيع استخدامه من قبل السلطات الفاشية الإيطالية باعتباره أفضل ما يعكس وحدة وشمولية وكفاءة النظام.

ويتميز النظام التوتاليتاري أو الشمولي -بصفة عامة- بسيطرة الدولة وتنظيمها لكل مرافق الحياة العامة والخاصة، وإشرافها على نشاطات المواطنين المادية والفكرية والشخصية، تحت حجة كفاءة النظام الجمعي المبني على ولاء الكل وإخلاصهم، والذي تذوب فيه الفردية لصالح خدمة المجموع، الذي يفترض أن تمثله الدولة ومؤسساتها بأهلية وأمانة!!

ولذلك يرى الشموليون أن الوسيلة الجوهرية والفعالة لتحقيق أهداف النظام هي قيام السلطة السياسية بتعبئة كل الشعب وحشد جميع طاقاته وتسخير كل إمكاناته لخدمة ودعم فكر وفلسفة تلك السلطة وبرنامجها السياسي، وتصفية كل ما يقف في طريقها أو يعارضها.

ويمكن تمييز ملامح النظام التوتاليتاري الأساسية في ما يلي:

- حزب سياسي واحد يقوده ديكتاتور غالبا ما يكون متعصبا لأيديولوجيا معينة، قومية أو عنصرية أو طائفية أو عشائرية أو دينية أو حزبية.

- نظام تنفيذي حديدي إرهابي صارم يبتلع الأجهزة التشريعية والقضائية، ويعتمد الهيمنة التامة على مؤسسات الجيش والشرطة والأمن والعدل، وينتهج الإكراه والتخويف والتهديد والعنف، مستخدما وحدات البوليس السري والرقابة والاستخبارات لتضييق الخناق على المواطنين وحصر نشاطاتهم وطموحاتهم وتطلعاتهم بالدائرة التي تضمن تحقيق أهداف السلطة و صمودها وبقائها.

- نظام مركزي للتخطيط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي يضمن السيطرة التامة على وسائل الإنتاج المادية والثقافية، ويمتلك المبادرة في استخدام وتقنين الموارد الطبيعية والبشرية والعلاقات الخارجية وقضايا الحدود.

- نظام مركزي نشيط وفعال للدعاية والتعتيم الإعلامي (البروباجاندا) الذي يتولى احتكار وسائل التعليم والإعلام والاتصال، ويقوم بزرع الولاء والطاعة والاستكانة ويحرّم الانفتاح والحوار والنقد.

وخلافا لما هو شائع، لم تكن الثقافة الأيديولوجية من صنيع الديكتاتوريين والسياسيين المتطرفين، إنما هي النتاج الشرعي لغيرهم ممن يساهم مساهمة فعالة في شرعنة النظم الديكتاتورية الشمولية، وتكريس مناهجها المتطرفة وترسيخ عدوانيتها، وإطالة أمد استبدادها واستئثارها بالسلطة. فبالإضافة إلى أجهزة النظام الرسمية بكل مستوياتها، والتي تقوم بتنفيذ كل ما ترومه السلطة المتنفذة، هناك ثلاث مجموعات متميزة من المهنيين والاختصاصيين الذين يضطلعون عادة بالمهمات الأساسية لخلق وترسيخ الثقافة الأيديولوجية، تحت ضغوط وإغراءات السلطة السياسية، والاستعانة بموارد البلاد ومؤسسات الدولة والمجتمع المسخرة كليا لهذا الغرض، بحكم قوانين وأعراف الدولة التوتاليتارية، وهذه المجموعات هي:

- مصممو المناهج وواضعو أصول التدريس، وكتّاب البيانات والبلاغات الحزبية، ومنمقو تقارير المؤتمرات، وصائغو الخطب السياسية وصانعو الديباجات ومروجو الشعارات، والمنظرون المختصون بطرح التحليلات المقنعة واختراع المعاني الجميلة لكل ما ليس له أي معنى، والذين يضفون الشرعية والهيبة على فكر السلطة ويصبغونها بما يدل على العقلانية والأهلية والعدالة .

يتميز أفراد هذا الفريق بكفاءتهم المشهودة وتفوقهم العالي، وقد يكونون من المؤمنين فعلا بالفكر الشمولي أو ممن تشتريهم السلطة بأثمان باهظة. وهذا هو الفريق الصغير الذي لا يتعدى حجمه عددا قليلا من الأفراد، هو الفريق الذي يرسي الدعائم الأساسية لفكر السلطة ومنهجها الأيديولوجي، ويصوغ ويعزز برامجها السياسية، وغالبا ما يكون هذا الفريق هلاميا منسحبا إلى الوراء ومختفيا وراء بهرجة القائد.

- المثقفون والمتعلمون من أدباء وشعراء وفنانين وعلماء وفلاسفة وأساتذة ومربين وقادة ومرشدين ومهنيين، ممن ينضوون بخيار أو دونه تحت لواء الحزب والثورة ويعملون من أجل صيانتهما ورفعتهما وتحقيق أهدافهما، وكذلك أنصاف المثقفين والأدعياء والمنتفعون والمصفقين وبائعو الضمير. هذا هو الفريق الأكبر عددا والأوسع انتشاراً والأكثر خطورة لكونه قادراً على تعليم وإقناع وتطبيع الجماهير وإلهاب مشاعرها بعواطف الثورة، وهو الخبير أيضا في ترويج الشائعات وإطلاق الاتهامات وتسبيب المظالم .

فهو، إذن الأداة، القادرة، خاصة في الأمد البعيد، على تحويل وجهة الوسائل الثقافية والتعليمية باتجاه غسيل الأدمغة وتحويل أفكار السلطة إلى حقائق مطلقة كجزء لا يتجزأ من حيوات الناس. وبالتالي تعزيز إمبراطورية الخوف وترسيخ ثقافة القطيع .

ولاشك فإن هذا الفريق هو الظهير العملي لقوات البوليس السري وأجهزة القمع المسئولة مباشرة عن تغييب وتهجير وإخضاع وتدجين كل من تبدر منه بادرة التردد

ﻓﻲ تمجيد النظام، وبموجب ذلك فإن هذا الفريق هو المسئول بشكل غير مباشر عن تدوير وتزييت عجلات النظام التوتاليتاري وتأليه قادته.

– السلبيون الذين لا سبيل لهم سوى الانجراف مع التيار الهادر، وأولئك المبدعون الذين ينسحبون إلى الوراء ويتخذون من الاعتزال والاختفاء والهجرة إلى الخارج حلولا فردية للكارثة التي تحيق بالبلاد. وبهذا الفريق تكتمل دائرة الذنب الجمعي التي تضع الجميع ﻓﻲ دائرة المسئولية، مهما اختلقنا من أعذار وتبريرات. وﻓﻲ ظل هذا التواطؤ الشامل، ينفسح المجال أمام العصابات المريضة المتعطشة للسلطة أن تفعل ما تشاء . وبهذا يحرص الثوار التوتاليتاريون إلى ترسيخ وجودهم وتشديد قبضتهم على زمام الأمور، وإرساء دعائم ما يسمونه بـ "الثورة الثقافية الجديدة" التي تتلخص ﻓﻲ فرض النمط الثقاﻓﻲ المستند إلى أيديولوجية فردية معتمدة على إلغاء وتصفية كافة الأنماط الثقافية الأخرى، والتي غالبا ما تُتهم بإعاقة تقدم الثورة.

ومن الإجراءات التقليدية بهذا الصدد أن تقوم السلطة بـ:

– تأميم أو ضم كل أو اغلب المؤسسات الفنية والأدبية إلى القطاع العام بشكل فوري أو تدريجي، واحتكار تمويلها وإدارتها والإشراف على صياغة توجهاتها وبرمجة نشاطاتها، الأمر الذي يلغي الفرص الثقافية المختلفة ويجفف منابع التمويل الأخرى، ويسهم بالتالي ﻓﻲ تحويل قسم كبير من الفنانين والأدباء إلى توابع ومستفيدين ومرتزقة، ويدفع القسم الآخر منهم إلى الهروب، فيما يلقى القسم المعارض جزاءه بالإهمال أو السجن أو القتل.

– التشديد ﻓﻲ بياناتها وتقارير مؤتمراتها الحزبية والرسمية وخطب قادتها على أن الثقافة، وخاصة بشقيها الفني والأدبي، عبارة عن سلاح ماض لحماية أيديولوجية الثورة وصيانة مكاسبها الجماهيرية ومحاربة أعدائها ﻓﻲ الداخل والخارج، الذين يتربصون بها أي فرصة لإجهاضها.

- التركيز على تأسيس الاتحادات والنقابات الثقافية المرتبطة بالنظام وتسليم قياداتها للأفراد الذين يفتقرون إلى الموهبة ويتميزون بالولاء والطاعة العمياء، وحصر النشاطات والامتيازات بالعضوية التي تتحول تدريجيا إلى ما يشبه صك الغفران، الأمر الذي يؤدي لا محالة إلى تهميش وتحجيم بقية التجمعات والحركات والنوادي الثقافية الأخرى، ووصمها بالانشقاق عن خط الثورة من أجل التهيئة للإجهاز عليها وإزالتها نهائيا من الوسط الثقافي.

وهكذا فإن الإلزامية غير المباشرة للعضوية ستتسبب في اقتران الأهلية الفنية بالانتماء الحزبي، الأمر الذي يجعل كفاءات ومواهب المبدعين مرهونة بتبعيتهم السياسية، ويحول سجلات العضوية وفعاليات الاشتراك في النشاطات إلى أدوات للرقابة والاستخبارات والسيطرة، من أجل ترسيم خريطة الولاء للسلطة. وفي مرحلة متقدمة عندما يتم ضمان ولاء كل المثقفين تنتفي الحاجة إلى الإبداع والمنافسة، ويتحول المبدعون إلى آلات تدور لتنتج ما يرغب فيه النظام. وفي هذه المرحلة سينتهي النقد والتقييم لأنه ليس من مصلحة السلطة أن يساهم الناس في تقييم الأمور وتحليلها ومقارنتها. وهو هدف تسعى عادة السلطة إلى تحقيقه.

في خطاب لجوزيف كوبلز وزير الإعلام النازي ألقاه في عام ١٩٣٦ قال:

"بسبب فشل النقد الفني في الإتيان بأي قيمة جديدة خلال هذه السنة، فإننا سنمنع منعا باتا ممارسة كل صنوف النقد الفني وكل ما ينتجه النقاد الذين ينصبون أنفسهم حكاما على مستويات ونوعيات الفنون. واعتبارا من تاريخ اليوم سيخضع كل ما يكتبه النقاد إلى رقابة مشددة من قبل محرري الزوايا الثقافية، الذين من واجبهم أن يتأكدوا من أن كل ما يكتب عن الفن يجب ألا يتعدى كونه تقارير وصفية لا تحمل أي رأي أو تقييم أو مناقشة أو تحليل أو تشكيك".

وبعد يومين من إطلاق هذا التصريح، انبرى بوق النظام بوباختير لتنميق وتوضيح ما صرح به كوبلز، قائلا:

"إن المعيار الوحيد المقبول لتقييم الفنون هو مدى انطباق وتماشي تلك الفنون مع المفهوم الاشتراكي القومي لثقافتنا. وليس لأي أحد الحق في تغيير أو تحوير هذا المعيار غير سلطة الحزب ومؤسسات الدولة".

ولاشك فإن هذه الأنظمة تؤمن بمنهج الهيمنة وتبرره كوسيلة فعالة لبلوغ غاياتها، مستندة في ذلك إلى فلسفة قوامها:

- الادعاء بأن أيديولوجية الثورة تستند إلى القاعدة التاريخية وموروث الشعب الثقافي، وتتمخض عن صلب الحقائق والحجج المطلقة الدالة على أصالتها وخدمتها للشعب، الأمر الذي يسمح لثقافة الثورة بإعادة تقييم التاريخ وصنع حقائق ذاتية جديدة بدلا من الاستناد إلى الحقائق الموضوعية المتوفرة.

وهكذا يعاد إطلاق الأحكام على الأحداث والنتاجات الثقافية ومنتجيها، ويتقرر من جديد معنى الإبداع ويتعرف ما هو جيد وما هو رديء وفق حقائق الثورة المصطنعة.

-الإيمان القاطع بأن قادة الحزب والثورة هم الممثلون الشرعيون الوحيدون المؤهلون لقيادة المجتمع دون الحاجة إلى استفتاء الشعب ومعرفة ميوله، ناهيك عن عدم الحاجة إلى السماح له بالانتخاب! ومن هنا تنشأ، ليس فقط ظاهرة الحزب الواحد، بل سرعان ما تتطور إلى معضلة القائد الأوحد الذي يحوّل بدوره الحزب ومؤسسات الدولة ومرافقها إلى أدوات لتنفيذ ما يراه مناسبا. وسواء كان ما يراه القائد معقولا أم عمليا أم لا، فإنه لا يلقى إلا المصادقة المطلقة من قبل رفاق الحزب وكبار مسئولي الدولة وعموم الشعب، حتى يصبح كل ما ينطق به القائد كتابا مُنزّلا.

وهكذا فمثلما يرشد الفنار السفن الضالة في عتمة البحار، فإن حب القائد والتفاني في طاعته وتأليهه تصبح بمثابة الفنارات المنيرة في دروب الثقافة، التي

ترشد الفنانين والأدباء وكل من يؤثر في المجتمع، إلى بر الأمان المتمثل بشاطئ أيديولوجية الثورة الجديدة.

-الإيمان العميق بضرورة شمول كافة أفراد الشعب وقطاعاته بفكر الثورة، والتظاهر بعدم الاكتراث لوجود الاختلاف بين الناس أو تعمد إلغاء الاختلافات ومعاملة جميع الناس كتوابع، الأمر الذي يتجسد في شعار "من ليس معنا فهو ضدنا" الذي يعمل بسرعة وفعالية على استقطاب المواطنين إلى فريقين : الفريق المستفيد الذي يضم المنتمي والموالي والمتعاون والصديق، والفريق الخاسر الذي تتوجب تصفيته . في ظل هذا الظرف يصبح التشبث بالسلطة ومحاولة الاحتفاظ بها بأي ثمن هو الهدف الذي يستلزم ضمان الجميع وتأمين جوانبهم كإحدى الوسائل الكفيلة ببلوغ ذلك الهدف.

ومنذ الأيام الأولى لاستلام موسوليني السلطة في إيطاليا، تبوأ مثقفو المستقبلية مناصب الصدارة وتربعوا على العرش الثقافي، فأخذت نتاجات الرسامين والنحاتين والمعماريين تزين قصور الحكم ومؤسساته. وشرعوا مع الكتاب والشعراء والصحافيين في التخطيط الشامل لوضع خارطة الثقافة الفاشية الشاملة الجديدة. ولكن التحاماً مع فكر موسوليني، بل ذوباناً فيه، تخلى المستقبليون عن فلسفتهم الجوهرية في تجديد الشباب الثائر والتجأوا إلى اعتناق الماضي، وتمجيد التراث الروماني التليد كرمز لقوة الجذر وعراقة الأصل، وكمنطلق لجعل روما المنافس الأكبر لباريس في الجمال والذوق والأناقة، مع التركيز على الفارق الكبير ألا وهو التوجه الأيديولوجي الموحد الذي يفتقر إليه الإبداع الفرنسي!!

وفي اتجاه تحقيق أهداف الفاشية بإنعاش الثقافة السياسية، أصبحت جميع الموارد والقنوات الفنية والأدبية تخضع لإدارة مباشرة وتفصيلية من قبل الأجهزة الحكومية، مما ساعد على انفجار عدد المشاريع الثقافية المدعومة من قبل الدولة، وازداد الإنفاق فيها ليصل إلى حد تشريع قانون الـ ٢٪، القاضي بتخصيص ميزانية

بهذه النسبة للمصروفات على التماثيل واللوحات الفنية، واقتطاعها من الميزانيات الكلية المخصصة لكل مشروع من المشروعات العامة.

وفي هذا الجو الناشط ثقافياً والمحمل بشحنة سياسية عالية، نضجت الأرضية الملائمة لنشوء وتطور المفاهيم التي تبنتها الأنظمة التوتاليتارية اللاحقة مثل "الفن كسلاح في المعركة" و"الفن كوسيلة لتثقيف الجماهير بروح الحزب والثورة"، و"لا ثقافة خارج السلطة أو ضدها". وكان موسوليني قد عبر عن ذلك في إحدى خطبه قائلا:

"على الحقل الثقافي أن ينهض بمهمات تجسيد التلاحم الجمالي والروحي بين الحكومة والشعب. فالشعب الذي لا يلتحم بحكومته ليس بشعب، إنما مجاميع من الغوغاء! ولذلك فإن الاتحادات والنقابات الفنية والأدبية المسجلة لدى الدولة هي السبيل الوحيد لبلوغ ذلك التلاحم. ولهذا السبب فإننا لن نسمح مطلقا لأي تجمع فني أو أدبي أن ينشط خارج إطار الدولة أو يعمل ضدها".

ومن هنا أيضا بدأت هيمنة النقابات والاتحادات المهنية المرتبطة بالحكومة واحتكارها للنشاط الثقافي، وظهرت مشاريع مثل معارض الحزب والمهرجانات الشعرية والمنتديات الأدبية القومية التي تدار بشكل حزبي من قبل تلك المؤسسات النقابية، فكان على سبيل المثال التنظيم الحديدي الدقيق للمعارض الفنية في عموم إيطاليا متمثلا بعقد بينالي فينيسيا وترينالي ميلانو وكوادرينالي روما. لكن هذا الانتعاش الثقافي الكبير لم يدم طويلا، بل بدأ يخفت شيئا فشيئا بتأثير انزلاق موسوليني في عالم النازية وارتباطه مع هتلر في "حلف الدم والحديد". وهذا ما يثبت أن تركيب وصفة الثقافة السياسية لابد أن يتغير باتجاه زيادة المكونات السياسية وتقليل المكونات الثقافية، خاصة عندما يخوض النظام في المزيد من الأزمات والحروب! ويستمر التغيير إلى أن تنفد المكونات الثقافية تماما فلا تبقى إلا الشعارات السياسية الفارغة. وما قاله موسوليني آنذاك يعبر خير تعبير عن تغيير

الأولويات، والهوس بالانتصار على الأعداء، حيث جاء في إحدى خطبه أيام افتتانه بالحلف النازي ما يلي :

" أود أن أرى أعلام أعدائنا المنكسرين منكسة في قاعات متاحفنا الإيطالية أكثر من التماثيل واللوحات الفنية والتحف التي نعتز بها" .

وكان من نتائج قيام موسوليني بأدلجة أو تسييس الثقافة أن انقسم مجتمع المثقفين من نخبة المجتمع الإيطالي إلى : أغلبية تحمل المباخر للدوتشي، وأقلية بسيطة ترفض الفكر الفاشستي .

فقبل وصول موسوليني للسلطة كانت هناك صداقة قوية، شخصية وفكرية، تربط بين أكبر مثقفين عرفتهما إيطاليا في القرن العشرين وهما : بيندتو كروتشي، وجيوفاني جنتيلي. كلاهما كان من أتباع المدرسة الهيجلية، مدافعا عن مبدأ المثالية، وحملا معا على المدرسة الوضعية، وأسسا معاً عام ١٩٠٣ مجلة "الناقد"– La Critica– و ظل كروتشي يتولى فيها تحرير شؤون الفن والأدب والتاريخ، على حين تولى جنتيلي تحرير شؤون الفلسفة.

ودامت صداقتهما الفكرية قرابة ربع قرن، وبعد أن صار الأمر لموسوليني أصبح يضرب بهما المثل في العداوة الفكرية والسياسية . فأصبح كروتشي رمزاً لمعارضة الحكم الفاشي، بينما أصبح جنتيلي الفيلسوف والمنظّر الرسمي له و أكبر المدافعين عن جرائم زعيمه موسوليني و خطاياه !!

ويعدّ كروتشي أحد أكبر الفلاسفة والنقاد الأدبيين الذين عرفتهم إيطاليا في تاريخها، بل كان، بلا منازع، أكبر مثقف عرفته إيطاليا في القرن العشرين. لقب "بالوحش الثقافي" للحجم الهائل من الثقافة والعلوم التي التهمها في حياته، وضخامة المراجع التي ألفها في الفلسفة والتاريخ والأدب والفن. كان مدرسة قائمة بذاتها، ومرجعية علمية، رغم أنه لم يكمل تعليمه الجامعي. ولا يزال كثير من

مفكري إيطاليا وأساتذتها الأكاديميين متأثرين إلى اليوم بنظريته في الفن والجمال، وبمنهجه النقدي في الفلسفة والأدب والتاريخ. تأثر به الفيلسوف الماركسي أنطونيو جرامشي والفيلسوف والمؤرخ البريطاني روبين كولينجود أحد أشهر الأساتذة الجامعيين في أكسفورد.

ودخل كروتشي البرلمان عام ١٩١٠، و عارض الغزو الإيطالي لليبيا، ولم يفوّت مناسبة إلا وندد فيها بالتوسع الإيطالي في ليبيا والقرن الإفريقي، كما عارض دخول إيطاليا في الحرب العالمية الأولى .

وقد تولى كروتشي وزارة التعليم في آخر حكومة لجيوفاني جوليتي في مطلع العشرينيات من القرن العشرين. و هادن في بداية الأمر موسوليني آملاً أن ينهي الفوضى التي سادت أرجاء إيطاليا، ولكنه سرعان ما ثار عليه عندما ألغى الأحزاب، وبدأ يسعى للاستئثار بالحكم والسلطة، ليظل طوال العهد الفاشي معارضاً بلا هوادة أو تراجع، فندد علناً بسياسة القمع بما فيها الاغتيالات التي قامت بها القوات الفاشية. وأسس عام ١٩٤٣ الحزب الليبرالي الإيطالي، وكان الوحيد من رجال الرعيل الأول الذي بارك للمقاومة الإيطالية حملها السلاح لإنهاء الحكم الفاشي، ثم انضم حزبه رسمياً للمقاومة المسلحة. و قد حالت مكانته الفكرية وشهرته العالمية دون اعتقاله أو تصفيته جسدياً على يد القوات الفاشية.

وقد كان كروتشي المرشح الأقوى ليكون أول رئيس للجمهورية الإيطالية بعد سقوط الملكية، ولكنه رفض المنصب بعد أن صوت حزبه لصالح استمرار الملكية، ورفض أيضاً أن يعين سيناتوراً مدى الحياة، وهو أعلى منصب شرفي في إيطاليا بعد رئاسة الجمهورية، لا يتقلّده أكثر من سبعة أشخاص في وقت واحد بحسب الدستور. وظل يمارس النشاط السياسي والفكري حتى توفي عام ١٩٥٢ عن عمر يناهز الـ ٨٦ عاماً.

أما صاحبه جنتيلي، الذي اختار أن يسير في ركاب السلطة، فقد درس الفلسفة في جامعة بيزا، ثم واصل دراسته العليا في فلورنسا. ودرّس الفلسفة في عدة جامعات

إيطالية. ودخل البرلمان الإيطالي عام ١٩٢٢، وفي السنة نفسها عُين وزيراً للتعليم في حكومة موسوليني. وكان أول محرر علمي للموسوعة الإيطالية بعد تأسيسها عام ١٩٢٥. ثم تولى رئاسة لجنة تعديل الدستور الإيطالي في بداية عهد موسوليني، وأسس المعهد الوطني الفاشي للثقافة، أخطر مؤسسة إيطالية روجت للفكر الفاشستي.

وبات جنتيلي بعد وصول موسوليني للسلطة المنظّر الفلسفي والرسمي للدولة. وظل جنتيلي وفياً لموسوليني إلى أن لقيّ مصرعه في فلورنسا على يد رجال المقاومة في إبريل عام ١٩٤٤.

ومن أشهر ما ارتبط بحياة جنتيلي و كروتشي أنهما أصدرا خلال عشرة أيام فقط بيانين متضادين أحدهما يهتف باسم موسوليني، و الأخر يدعو لإسقاطه.

ففي ٢١ إبريل ١٩٢٥ (العيد القومي لروما) أصدر جنتيلي أحد أشهر بيانين عرفتهما إيطاليا في تاريخها، وهو "بيان المثقفين الفاشيين" الذي حمل توقيعات عديد من رجال الفكر والأدب في إيطاليا، و معهم عدد من العلماء والسياسيين والمؤرخين والنقاد والصحفيين والفنانين.

أعلن جنتيلي في بيانه نهاية الثورة الفاشية، وبداية الدولة الفاشية، ودعا في البيان إلى إنهاء دور الكتائب العسكرية الفاشية وبداية دور المثقفين الفاشيين في ترسيخ دعائم الدولة الفتية. ويستبعد بعض المؤرخين أن جنتيلي أقدم على إصدار بيانه دون استشارة الدوتشي موسوليني وعلمه، ومنهم من يذهب إلى أن محرر البيان هو موسوليني نفسه !!

ولم يمض على صدور بيان جنتيلي عشرة أيام حتى فوجئ النظام الحاكم بكروتشي يصدر بياناً في الأول من مايو مناهضاً "بيان المثقفين الفاشيين". وفيه ندد كروتشي بتسييس الثقافة لخدمة الحزب الحاكم، وتعمد صدور بيانه هذا في الأول من مايو ليصادف عيد العمال، رداً على اختيار جنتيلي ليوم ميلاد روما.

وقد وقع بيان كروتشي عدد من رواد الأدب والصحافة الذين تحتفي بهم إيطاليا حتى اليوم، في حين ظلت النقمة تلاحق الموقعين على البيان الأول، إلا من عاد منهم وتراجع عن موقفه كالأديب الإيطالي العالمي لويجي بيرانديللو، الذي قيل إنه تبرأ من الحكم الفاشي في أواخر أيام حياته .

وكان صدور البيانين علامة فارقة في تاريخ إيطاليا، أثرت في الحياة الثقافية والسياسية نقداً ونشراً، وقسمت مثقفي إيطاليا إلى فريقين متنافرين متعاديين . وسيطر الحزب الفاشي عملياً على كل المراكز العلمية والثقافية في البلاد، وفرض تدريس الفكر الفاشي في المدارس والجامعات والمعاهد، وكاد يكون من المحال الحصول على عمل في البلاد بدون حمل بطاقة عضوية الحزب الفاشي.

وهناك شبه اتفاق بين المؤرخين على أن موسوليني كحاكم شمولي عتيد، استطاع بلورة مفهوم تسييس الفن و الثقافة، هو المعلم الأول في هذا المجال للديكتاتور النازي أدولف هتلر، والديكتاتور السوفييتي جوزيف ستالين والصيني ماو تسي تونج !!

فقد سار نظام النازي في ألمانيا على نهج الفاشية الإيطالية في تسييس الثقافة، رغم أن المنهج النازي تفوق على نظيره الفاشي في أدلجته الثقافة بدرجات أعلى من التعصب القومي ودرجات أشد من العنصرية. ومثلما كان موسوليني قريباً من الوسط الثقافي كصحفي وروائي سابق، اعتبر هتلر نفسه فناناً مبدعاً، حتى قيل إن الفن شغل حيزاً كبيراً من تفكيره وطاقته للدرجة التي أصبح فيها يمثل الهوس الثاني بعد هوسه القومي العنصري. ولهذا كانت سياسته واضحة في حصر الفنون والثقافة بما يتعلق بتقاليد العنصر الألماني وتراثه، واعتبار كل ما اختلف عن ذلك باطلاً.

تبدّت أول محاولة لتنفيذ هذه السياسة بشكل صريح ومباشر عندما أمر وزير التعليم "فون ثرنكن فرك" عام ١٩٣٠ بإزالة سبعين لوحة من صالات متحف فايمر، مصرحا بأنه ليس هناك مكان في ثقافة ألمانيا الجديدة لفنون وتقاليد الشعوب الملونة ذات المراتب الدنيا في الحضارة الإنسانية. وعلى أثر ذلك تمت إزالة ١٦٠٠

عمل فني آخر، كما تم طرد عدد من مدراء المتاحف بتهمة تعاطفهم مع ما وصف بأنه دخيل على النقاء الألماني.

وكان من ضمن الفنانين المشمولين باللعنة بعض الانطباعيين الألمان، الأمر الذي سرعان ما تحول إلى حظر شامل للانطباعية الألمانية التي وصفت بأنها فن التفسخ والفساد!

وكان من أكثر المتحمسين لترسيخ هذا الاتجاه منظّر الفن المعروف ألفريد روزنبرج الذي قاد التوجهات الثقافية في ألمانيا ابتداء من ١٩٢٧، والذي حظي باحترام وتقدير هتلر الذي كان نفسه يعتبر التكعيبية والدادائية نماذج لتفسخ الفن وانحلاله.

ومن الشخصيات الثقافية المعروفة الأخرى التي ساهمت مساهمة فعالة في نشر الأفكار النازية المتعصبة، الخبير في العمارة والفن بول شولتز نورمبرج الذي نشر كتبا ذاع صيتها مثل : "الفن والأصل العرقي، ١٩٢٨"، و"وجه البيت الألماني، ١٩٢٩"، اللذين شن فيهما هجوما شنيعا على الحداثة في العمارة والفن. ولابد من ذكر ريتشارد ديريس الذي عمم مذهب "الدم والتراب" كدعامة أساسية للفلسفة النازية في الثقافة.

في معرض تعليقه على ضرورة تغيير الحياة الثقافية الألمانية بما ينسجم مع السياسة النازية قال هتلر في خطاب له ألقاه عام ١٩٣٣:

"في الوقت الذي نقوم فيه بتنقية حياتنا من شرور الماضي وما تعلق به من شوائب، ستقوم حكومتكم المظفرة، حكومة الرايخ الثالث بالتطهير الأخلاقي والمعنوي الشامل لكل الوسائل والقنوات الثقافية المتاحة للأمة الألمانية من آداب وفنون ومسرح وسينما وصحافة، فتنزع عنها جلدها المهترئ وتجعلها تعبر بصدق عن الواقع الألماني النقي والأصيل"

أما عن التوتاليتارية الثقافية السوفيتية، فلم يظهر التسبيس الشمولي للثقافة السوفيتية بشكله السافر إلا مع بدء المرحلة الستالينية، وعلى وجه الخصوص في عام ١٩٣٢ عندما أصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي المشروع الشامل لإعادة بناء المؤسسات الثقافية، والذي استلزم حل جميع المؤسسات والجمعيات والتجمعات والنوادي الثقافية القائمة آنذاك، وإخضاع جميع النشاطات الثقافية إلى سلطة مركزية تمثلت بكيانات الاتحادات المهنية الفيدرالية للفنانين وللأدباء، والتي أخذت على عاتقها تعميم مفهوم الواقعية الاشتراكية في الثقافة بدلا من الكلاسيكية البروليتارية.

واستنادا إلى ما جاء في كتاب ايكور كولمستاك "الفن التوتاليتاري" المنشور عام ١٩٩٠، فإن مفهوم الواقعية الاشتراكية كان قد تمخض عن الاجتماع السري الذي انعقد بين ستالين. الذي كان مأخوذاً بطريقة تسييس موسوليني للثقافة و الفنون. وعدد من الفنانين والأدباء في بيت مكسيم جوركي بتاريخ ٢٦ أكتوبر عام ١٩٣٢. وكانت قوات الحرس الخاص قد استدعت ليلا ذلك النفر المختار من المثقفين ونقلتهم إلى بيت جوركي دون أن يعلم أحد أي شيء مسبق عن مكان الاجتماع ومن يحضره والغرض منه.

وقد فوجئ الحضور بظهور ستالين وترؤسه الاجتماع، معلنا بأن الغرض من ذلك اللقاء هو الاستئناس برأي المثقفين من أجل تحديد الاتجاه الأساسي الذي يريده الحزب للثقافة السوفيتية الجديدة.

وبذلك فقد وضعت الصيغة الأولى لمنهج الواقعية الاشتراكية في الآداب والفنون أثناء ذلك الاجتماع. إلا إن مفهوم الواقعية الاشتراكية بقي غامضا للجميع لفترة سنتين بعد استنباطه، ولم يجرؤ احد على الاستفسار عن معناه الحقيقي أو كيف يتسنى للمثقف أن يقدم إنتاجه حسب هذا المفهوم. وأخيرا انبرى أندريه جدانوف المستشار الثقافي للنظام في إلقاء الضوء على معنى الواقعية الاشتراكية مستعينا بتعاليم وملاحظات ستالين الشخصية.

كان ذلك في الاجتماع الموحد الأول لاتحادات أدباء الجمهوريات السوفيتية المنعقد عام ١٩٣٤. وقد جاء في تعريف جدانوف بأن "الواقعية الاشتراكية تتمثل أولا في معرفة الفنان أو الأديب لمحيطه واستعداده لتجسيد ذلك الواقع، ليس بالشكل المدرسي الجامد، وليس كحقيقة موضوعية مجردة، إنما تجسيدا للحياة الحقيقية بطورها الثوري الخلاق الذي يتزاوج فيه التراث الأصيل مع مهمات الثورة الاشتراكية العظيمة، بحيث يكون الهدف هو تعليم الجماهير وتثقيفها بروح الطبقة العاملة الكادحة وتنويرها من سناء النظام الشيوعي الخالد" .

وهكذا فقد أصبح الهدف المركزي للأيديولوجيا الشمولية في الثقافة هو إلزام الفنان أو الأديب بأن ينظر إلى الواقع الذي يصوره بعين الحزب، من أجل تجسيد الصيغة الثورية لذلك الواقع، الأمر الذي لا يمكن وصفه إلا بكونه أحادي المنظور!!

ولكن هذه الميزة لم تكن بعيب في ظل الفلسفة التوتاليتارية، إذ أن جدانوف كان قد قال بصراحة : "في ظل صراع الطبقات التي تحسمه الثورة لصالح الطبقة البروليتارية، لابد أن تكون فنوننا وآدابنا منحازة ولا يمكن لها أن تكون غير سياسية" . وهذا ما ردده أيضا هانز شم وزير الثقافة الأول في الحكومة النازية حين قال : "عند الكلام عن ثقافتنا، لا يمكن لنا أن نكون موضوعيين، لأننا ألمان إلى العظم"!!.

وهكذا تركزت الثقافة الأيديولوجية الواحدة الموجهة التي لا يقوى أن ينتقدها أو يهملها أو يعارضها أي أحد. بل أصبحت لزاما على الجميع. ومن يجرؤ أن يختلف، فإنه سيخسر صراع البقاء لا محالة ! .

وكانت أول حملة للتصفية الجسدية للفنانين والأدباء غير المرغوب فيهم، تلك التي شنها ألكساندر كيرامسوف عام ١٩٣٨من داخل اتحاد الفنانين ضد مجموعة ضمت عددا من أعضاء الاتحاد الرسميين، إضافة إلى عدد آخر من غير المنضمين إلى الاتحاد. وكان كيرامسوف، العضو المتنفذ في الاتحاد، قد صرح علنا ودون أي تردد بأنه لابد من التخلص من العناصر المجرمة التي تتحرك في الوسط الفني من

أمثال أعداء الشعب وعملاء الفاشية، جلاوزة تروتسكي وبخارين وكترسنايبس . وقد تلتها حملات أقسى واشمل وأكثر تنظيما راح ضحيتها العديد من المثقفين كما حدث عامي ١٩٤٠ و ١٩٥٣، وما بعدهما.

أما التجربة الصينية فقد كانت النموذج الجلي لعرض شخصية وسلوك النظام الشمولي البحت الذي سك عملته موسوليني، كما اعترف ماو نفسه في إحدى المناسبات .

يقول كولستاك : "ليس هناك تجربة سياسية أكثر من تجربة الصين الشعبية تتضح فيها الخطوط الفاصلة بين القديم والجديد، التقدمي والرجعي، والثوري والمضاد للثورة، مثلما تظهر بوضوح تام في ملامح التجربة الصينية" .

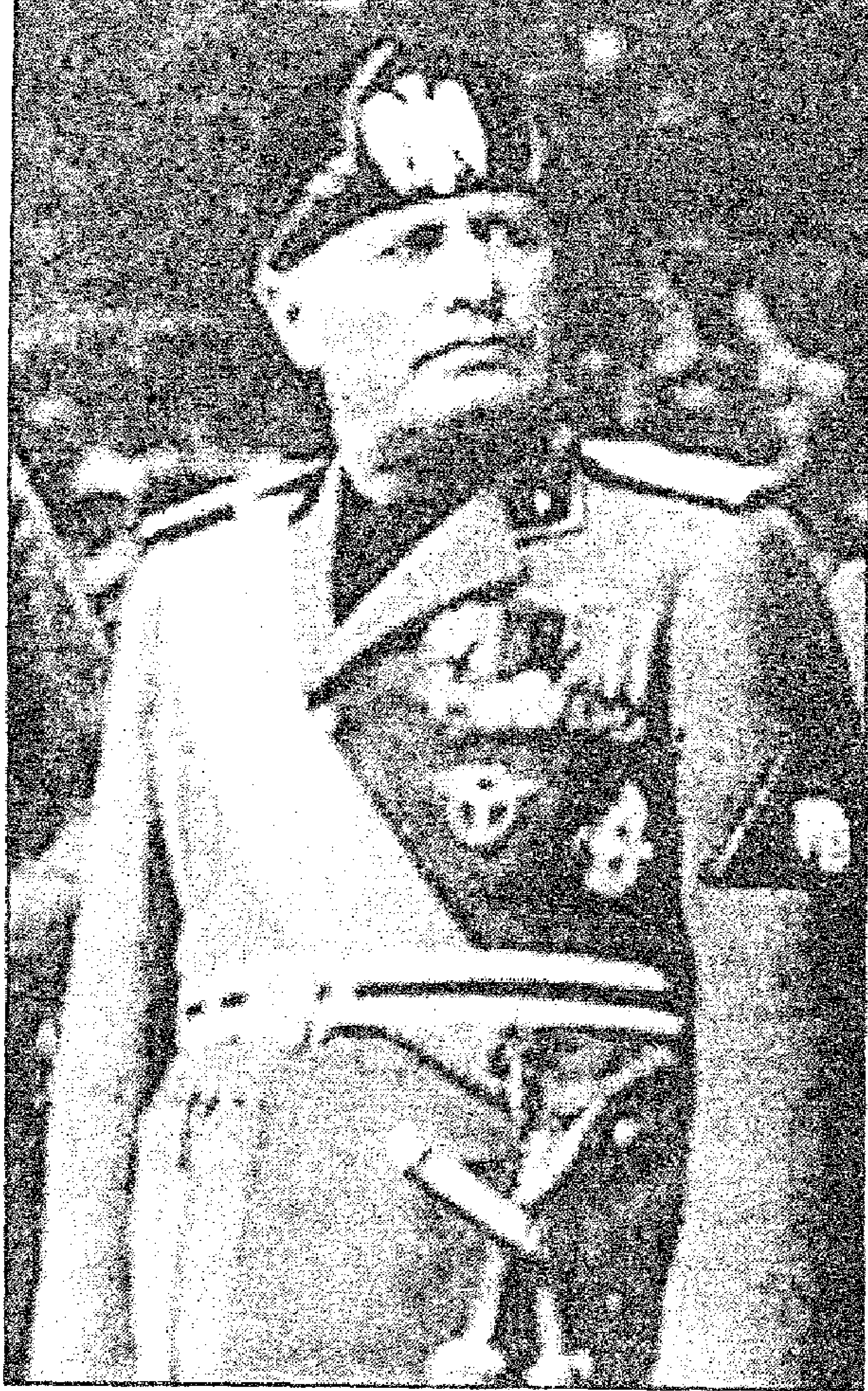
وكانت بساطة وبؤس أغلبية الشعب الصيني قد ساعدت على أن تؤخذ السياسة الفولاذية الوحشية للنظام الصيني وكل ما تفوه به الرئيس ماو مأخذاً جدياً وحرفياً، وكأنها الحجج المطلقة المنزلة من السماء، الأمر الذي حطم كبرياء الشخصية الصينية وقلل من قيمتها لدرجة الإذلال. والتاريخ يذكر جنون الثورة الثقافية الصينية التي امتدت عشر سنوات من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٦، والتي راح ضحيتها الملايين من المواطنين . وبها، وصم الماويون وصمة عار كبيرة في جبين المواطنة الصينية، عندما قرروا رسميا أن ينقشوا بالنار والحديد تعاليم الرئيس ماو ويطبعوها في ذهن وضمير كل مواطن . وهكذا عمم زبانية السلطة على الشعب بان من واجب كل فرد أن يقتني ويحفظ ويحمل في أي وقت وأي مكان الكتاب الأحمر، وهو كتاب الجيب الصغير الذي احتوى على التعاليم .

وكان من مهام الحرس الأحمر الذي تشكل اغلبه من الطلاب المراهقين المندفعين بطيش الشباب أن يوقف أي فرد في أي وقت ومكان، ويسأله عما إذا كان يحمل الكتاب أو يعرف شيئا عن محتوياته، تماما مثلما توقف شرطة المرور السائقين المخالفين وتطلب منهم إبراز رخصهم ووثائق تسجيل سياراتهم! ولكن عقوبة نسيان الكتاب

الأحمر أو التلكؤ في ترديد بعض مقاطعه لم تكن بغرامة مرور عابرة، إنما تضمنت عقوبة الجلد المبرح وشحن المخالفين، حتى المسنّين منهم، إلى سجون الأشغال الشاقة التي لا تطيقها حتى الحيوانات .

وباستثناء تلك الثورة الثقافية التي أخذت منحى صينيا متطرفا، فإن عموم التجربة الصينية لم تكن إلا تجربة منسوخة عن التجربة السوفيتية، إلى الحد الذي لم تكن فيه خطب وتصريحات الرفيق ماو إلا ترديدا وصدى لما قاله القادة السوفييت . وفي المجال الثقافي الذي يشمل نشاطات الفن والأدب فإن السياسة التي اتبعت كانت هي الأخرى من وحي ما جرى في المنهج الستاليني، مثل تفعيل الفن والأدب كأسلحة في معركة الطبقات،وإطلاق اصطلاح "جبهة القلم والفرشاة" التي تقاتل جنبا إلى جنب مع "جبهة البندقية"، وحصر وتوحيد المحتوى الفني بتجربة الحزب والثورة، رغم اختلاف الشكل المعبر عنه، وإلغاء استقلالية وفردية الثقافة وربطها رباطا لا ينفصم عن السياسة والمصلحة العامة.

١٥ - هتلر وموسوليني وستالين
ومع ذلك هنالك فرق كبير!!



■ قد يتراءى للمتأمل للفاشية والشيوعية أنهما ضدان لا يلتقيان، وذلك لما جري بينهما من صراع سياسي وعسكري، في فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي (العشرين)، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، إلا أن الحقيقة هي أن أوجه التلاقي بينهما لا تُعَدّ ولا تحصى !!

١٥- هتلر وموسوليني وستالين ..

ومع ذلك هنالك فرق كبير!!

هناك فارق بين الفاشية والنازية .. فالنازية هي أيديولوجية حزب العمال الاشتراكي الوطني الألماني، والمعروف باسم الحزب النازي، والذي تطور تحت قيادة أدولف هتلر، ولعبت شخصيات وتيارات فكرية متعددة، دورا في تكوين عقيدته، من بينهم هتلر طبعا في كتابه " كفاحي " والذي كتبه في عام ١٩٢٢؛ أي في بداية نمو الحزب النازي وقبل ١٠ سنوات من وصوله إلى السلطة؛ بينما الفاشية هي مجموعة من الأفكار والسلوكيات غير المنتظمة في نسق فلسفي ثابت، والتي طورتها العصبة الفاشية، تحت قيادة موسوليني، والتي كان تركيزها علي العمل أكثر من الفكر، وكانت تهرب لفترة طويلة من تحديد موقعها الفكري، ولم يتم تأطيرها - لو تم أصلا - ، إلا في مرحلة متأخرة، أي في نهاية الثلاثينيات، في كتيب موسوليني الذي اشرنا إليه؛ رغم أن الفاشيين قد وصلوا إلي السلطة في عام ١٩٢٣.

الفارق يكمن طبعاً في الطبيعة المختلفة للمجتمعين الألماني والإيطالي، وتقدم الأول صناعيا، والتقاليد الفلسفية القوية فيه؛ في مقابل تأخر إيطاليا صناعيا؛ وضعف التقاليد الفلسفية في الأخيرة، مقارنة بألمانيا، في القرون السابقة لبروز الفاشية؛ وكذلك طبيعة التقاليد السلوكية والاجتماعية المختلفة في كلا المجتمعين؛ فالألمان معروف عنهم الانضباط والطاعة والاهتمام بالتفاصيل؛ بينما الإيطاليون عرفوا بالانفتاح والفوضى نوعا ما وقلة الاهتمام بالتفاصيل، ومن بينها التفاصيل الأيديولوجية .

من ناحية أخرى، فإن تأثير العلاقات القديمة ؛ وعلي رأسها العلاقات والمؤسسات الدينية، يختلف وضعه في البلدين، حيث للكاثوليكية وجود عميق وتأثير علي الشعب

الإيطالي، ولذلك لم تستطع الفاشية أن تحارب الدين، رغم اختلاف توجهاتها ومُثلها عن توجهات ومُثل الكنسية، في حين حاربت النازية الدين بلا هوادة، علي المستويين الفكري والسياسي، كما أن ألمانيا التي أطاحت بالإمبراطور في ثورة عام ١٩١٩، قد بنت دولة نازية صرفة ، بينما كان الملك، وهو من بقايا العلاقات القديمة، مشتركاً في حكم الدولة الفاشية، ومضفيا عليها طابعا تقليديا خفف من "ثوريتها"، ولم تتم الإطاحة بالملكية إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

كما أن التركيب القومي كان له دور كبري في اختلاف كلتا الفلسفتين والنظامين، فألمانيا كانت بلدا ذا تركيب قومي موحد، بغلبة ثقافية وسياسية للبروسيين، أما إيطاليا فشعب مختلط وهجين؛ ويمكن أن نلمح اختلافات جوهرية ما بين سحنة ولهجة أهل الشمال في بادنيا عن أهل سيسليا الجنوبيين، وقد تعرضت للاختلاطات العرقية مع العديد من القوميات، ولذلك فان الاتجاه القومي العنصري في النازية كان أقوي منه في الفاشية، حيث وجهت النازية ضربتها الأساسية تجاه اليهود والغجر والسلاف، وهم تجمعات عرقية وقومية ودينية ذات تميز كبير عن الشعب الألماني، سواء أولئك الذين كانوا يسكنون بألمانيا، أو من وجدوا خارجها في البلدان التي احتلتها ألمانيا فيما بعد .

كل هذه الأسباب أدت إلى اختلافات كثيرة بين النازية والفاشية، رغم اتفاقهما في العديد من الملامح .

أما بالنسبة للفاشية والشيوعية :فان المتأمل من الوهلة الأولي قد يتراءى له أن الفاشية والشيوعية ضدان لا يلتقيان، وذلك لما جري بينهما من صراع سياسي وعسكري، في فترة العشرينيات والثلاثينيات وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، سواء علي مستوي الصراع الحزبي الداخلي في مختلف البلدان التي عمل فيها التياران : ألمانيا، إيطاليا؛ أسبانيا، بلغاريا .. الخ، أو في شكل الصراع بين الدول التي حكمها الفاشيون والنازيون من جهة والشيوعيون من جهة أخري، كما تبدي في

الحرب العالمية الثانية، بين دول المحور الفاشي - النازي ، ودول الحلفاء، والتي كانت بينها أول دولة شيوعية وهي الاتحاد السوفييتي .

توضح لنا قراءة فكرية وسوسيولوجية عميقة لجذور وبنية الفكرين والتيارين : الشيوعي والفاشي، أن المشترك بينهما، هو اكبر من نقاط الاختلاف ، علي المستويين الفكري والاجتماعي - الاقتصادي، وليس الصراع السياسي -العسكري بين هذين التيارين، إلا صراعا بين شموليتين، اختلافهما اختلاف مقدار؛ لا نوع، حول لمن منهما تكون السيطرة علي القارة الأوربية ، ثم علي العالم من بعد .

وبالنسبة للتقارب علي المستويين الفكري والبنيوي للتيارين الشيوعي والفاشي، فهناك تلاق في النقاط التالية :

- الموقف من الفرد وعلاقة الفرد بالمجتمع .
- الموقف من الدولة ومؤسساتها.
- الموقف من التعددية الحزبية ونظام الحزب الواحد.
- الموقف من الفكر الليبرالي والديمقراطية البرلمانية.
- الموقف من النظام الرأسمالي وطرح البديل عنه.
- الموقف من الحرب والتوسع الاستعماري.
- التحالفات المختلفة بين التيارين عبر التاريخ .
- بروز التنظيمات الشيوعية -الفاشية الحديثة.

١٦ -عندما صرخ موسولينى:

كأس العالم حياة أو موت



■ وإذا كان الإيطاليون جاملوا الأمريكان حين منحوهم فرصة اللعب أمام المكسيك والمشاركة في البطولة، فإنهم لم يرحموهم في المباراة الافتتاحية التي جرت بحضور موسوليني، الذي أبلغ اللجنة المنظمة واتحاد الكرة الإيطالي أنه لن يرضى بغير الفوز بالبطولة مهما كان الثمن!!

١٦- عندما صرخ موسوليني :

كأس العالم حياة أو موت !!

رمى الدوتشي بنيتو موسوليني بكل ثقله من أجل فوز إيطاليا بشرف تنظيم نهائيات كأس العالم الثانية في ١٩٣٤، واستغلالها للترويج لأفكاره ودعم نظامه السياسي، وهو النهج الذي سار عليه هتلر للترويج للنازية، عندما استضافت برلين دورة الألعاب الاولمبية في ١٩٣٦ . فكانت تلك بداية الاستغلال السياسي للرياضة بعد أن كانت البطولات الرياضية السابقة تهدف إلى التقارب بين الشعوب، وتعلن هدنة تتوقف خلالها الحروب أثناء الألعاب الاولمبية القديمة .

وقد سارعت الأوروجواي حاملة اللقب لرد التحية لإيطاليا التي قاطعت الدورة الأولى ولم تلب "الدعوة الكريمة" من الأوروجواي، فقاطعت بدورها الدورة الثانية، وبعد النجاح الكبير الذي حققته البطولة في دورتها الأولى . رغم أنها أقيمت في أقصى أصقاع الأرض وفي ظل عدم وجود نقل تلفازي . ازداد عدد الدول الراغبة في المشاركة فيها، ولذلك ظهر للمرة الأولى نظام تصفيات يتأهل بعده ١٦ منتخبا للمشاركة في النهائيات، ولم يستثن أي منتخب من خوض التصفيات بما في ذلك منتخب البلد المضيف، الذي اضطر إلى مواجهة اليونان ونجح - لحسن حظه - في اجتياز منافسه ٤/صفر، لأنه لو خسر لما سامح الدوتشي أفراده

وحرصا على ضمان وصول الفريق الإيطالي للمباراة النهائية تم إلغاء نظام المجموعات الذي أجريت به البطولة الأولى - والبطولات الحالية - بتوزيع المنتخبات إلى مجموعات تلعب مبارياتها بطريقة الدوري من مرحلة واحدة، وهو النظام الذي وضعه الفرنسي روبير جيران أول رئيس للاتحاد الدولي لكرة القدم، فقررت اللجنة

المنظمة للبطولة الثانية توزيع المنتخبات الستة عشر إلى ثمانية ثنائيات تلعب بطريقة خروج المغلوب، وهو نظام غريب وغير عادل، لأن منتخبات جاءت من أقصى الأرض وقطعت آلاف الكيلومترات ودعت البطولة بعد أن خاضت مباراة واحدة فقط، مثل الفريق المصري الذي خرج بعد هزيمته من الفريق المجري المرعب ٤/٢، ومثلما كانت الولايات المتحدة آخر الواصلين كانت أول المغادرين إذ أوقعتها القرعة في مواجهة البلد المضيف إيطاليا، وإذا كان الإيطاليون جاملوا الأمريكان حين منحوهم فرصة المشاركة في البطولة، رغم أن الولايات المتحدة لم تشارك في التصفيات المؤهلة، بل أرسلت فريقها لإيطاليا واضعة الإيطاليين أمام الأمر الواقع، ما اضطر الإيطاليين لإقامة مباراة فاصلة بين الفريقين الأمريكي والمكسيكي يتأهل الفائز فيها للمشاركة في البطولة، فإن الإيطاليين لم يرحموا الفريق الأمريكي في المباراة الافتتاحية، التي جرت بحضور موسوليني الذي أبلغ اللجنة المنظمة واتحاد الكرة الإيطالي أنه لن يرضى بغير الفوز بالبطولة مهما كان الثمن، وسحق الطليان منافسيهم الأمريكان ١/٧ ".

وفي الدور الثاني الذي أقيم يوم ٣١ مايو تعادل الطليان مع الأسبان ١/١، وأعيدت المباراة في اليوم التالي ليفوز الطليان ١/صفر، بعد أن تلقوا محاضرة شديدة من المدرب القدير فيتوريو بوتسو الذي تولى تدريب المنتخب منذ ١٩٢٩ واستمر معه حتى ١٩٤٨، والذي تلقى بدوره تعليمات من موسوليني بضرورة الفوز ومواصلة الطريق حتى حمل الكأس الذهبية.

كما نجح الطليان في عبور الحاجز النمساوي الرهيب الذي كان فيه المدرب النمساوي هوجو ميزيل يمثل اكبر عقبة أمام بوتسو ولاعبيه، لأن فريقه لم يخسر سوى مباراتين خلال ٤ سنوات ١٩٣١ - ١٩٣٤ خاض فيها ٢٧ مباراة.

وأقيم النهائي تحت أنظار العسكر، و ارتدى موسوليني بزته العسكرية وحشد آلاف المشجعين من الجنود الذين اخذوا أماكنهم بين المشجعين الطليان، وبقي موسوليني

ومعه الجماهير الحاشدة محبوسي الأنفاس طوال المباراة، لا سيما حين سجل بوك هدف التقدم لتشيكوسلوفاكيا في الدقيقة ٧٦، ثم تمكن الإيطالي - الأرجنتيني الأصل - اورزري من إدراك التعادل في الدقيقة ٨١، ومثلما كان الإيطالي شيافيو نجم المباراة الافتتاحية بتسجيله ثلاثة أهداف، كان أيضا نجم النهائي حين سجل هدف الفوز لإيطاليا ٢/١ في الدقيقة ٩٦ من المباراة ونال لقب هداف البطولة!

١٧-ظهور "إيلينا".. ابنة موسولينى المجهولة!



■ كانت كارلا بيتاتشي آخر عشيقة عرفها موسوليني في حياته، وعندما ساورها الشك في أن تكون إيلينا عشيقة جديدة له، اضطر موسوليني، في محاولة منه لتهدئة غيرتها، إلى أن يعترف لها بأن إيلينا هي ابنته غير الشرعية في علاقة سابقة.

١٧ - ظهور "إيلينا" ..

ابنة موسوليني المجهولة !

في الوقت الذي أثار فيه السياسي الإيطالي جيان فرانكو فيني رئيس حزب التحالف القومي. الحزب الذي تطور عن حزب موسوليني، المعروف باسم القمصان السوداء. أزمة سياسية بمهاجمته الفاشية التي تزعمها الدوتشي موسوليني ووصفه لها بأنها شر مطلق،ومع قرار الحفيدة أليساندرا موسوليني، النائبة البرلمانية الانفصال عن حزب التحالف القومي لتؤسس حزبا يمينيا جديدا يعيد لجدها كرامته، قررت إيلينا كورتي، (٨٠ عاما) الخروج من عزلتها وكسر حاجز الصمت والاعتراف أمام العالم في مذكراتها التي نشرت مؤخرا، بأنها الابنة المجهولة في حياة الدوتشي موسوليني.

وجاء في المذكرات أن إنجيلا كورتي والدة إيلينا كانت إحدى عشيقات موسوليني. وأن أول من عرف تلك الحقيقة كانت كارلا بيتاتشي آخر عشيقة عرفها موسوليني في حياته، فعندما ساورها الشك في أن تكون ايلينا عشيقة جديدة له اضطر موسوليني، في محاولة منه لتهدئة غيرتها، إلى أن يعترف لها بأن إيلينا هي ابنته غير الشرعية في علاقة سابقة.

اتسعت دائرة من يعرفون حقيقة علاقة ايلينا كورتي بالدوتشي موسوليني بعد مصرعه بإطلاق النار عليه في إبريل عام ١٩٤٥، نتيجة خيانة الضباط الألمان الذين كان من المفترض أن يؤمنوا رحلة هروبه إلى سويسرا لكنهم سربوا خطة هربه. وتم الزج بعد ذلك بكل من كان على صلة وثيقة بالدوتشي في السجن، ومن بينهم إلينا التي أنقذتها والدتها إنجيلا من حكم بالسجن لمدة عشرين عاما بتهمة التعاون مع النظام الفاشي، عندما أبلغت المسئولين بأن إيلينا ابنته، ومن ثم كان الإفراج عنها.

وتخصص إيلينا ابنة الدوتشي موسوليني، جانباً كبيراً من مذكراتها لتروي كيفية تعارف والدتها إنجيلا كورتي والدوتشي، فقد ذهبت إنجيلا إلى موسوليني، الذي كان متزوجاً في ذلك الوقت وله ثلاثة أبناء، وطلبت منه التدخل للإفراج عن زوجها السجين الذي كان عضواً في جماعة مسلحة فاشية واتهم بقتل مدرس ينتمي إلى اليساريين. وبالفعل نجحت مساعي الدوتشي، للإفراج عن الزوج، لكن في تلك الأثناء نمت علاقة حب بين إنجيلا وموسوليني كان من نتائجها مولد الابنة إيلينا في ميلانو في أكتوبر ١٩٢٢، أي قبل أيام قليلة من احتفال موسوليني بمسيرته إلى روما التي قادته إلى قمة السلطة.

وفي عام ١٩٢٩ انفصلت الأم، إنجيلا، عن زوجها واستأنفت علاقتها بموسوليني، الذي لم يكن رئيساً للوزراء فقط بل كان أيضا الدوتشي أي القائد.

تقول إيلينا، في مذكراتها إنها عندما بلغت عامها التاسع عشر اصطحبت أمها، إنجيلا، للقاء موسوليني، الذي بالرغم من عزوفه عن حب إنجيلا بعد أن تحول إلى علاقة جديدة مع كارلا بيتاتشي التي رافقته في رحلة الموت، فإنه ظل محافظاً على لقاء إيلينا، وكثيراً ما دعاها لتناول الشاي معه في قصر فينيسيا في العاصمة روما. وتضيف إيلينا إن علاقتها بوالدها موسوليني توطدت كثيرا في مدينة سالو عندما كانت تعرض حياتها للخطر وهي تنقل رسائل من والدها إلى أنصاره ومؤيديه.

يتضح من مذكرات إيلينا الابنة المجهولة للدوتشي موسوليني أنها بعد أن أخرجتها أمها إنجيلا من السجن تزوجت من الطيار ايزيكوا ميراندا، وذهبا ليعيشا معا في أسبانيا وهناك درست الفنون الجميلة وأصبحت رسامة محترمة، لكن بعد أن أدركتها الشيخوخة (٨٠ عاماً) وزوجها (٩١ عاما) قررت إن تعود إلى وطنها، لكن ايلينا تؤكد أنها لا تسعى بعودتها إلى إيطاليا وبنشر مذكراتها إلى اقتحام عالم السياسة، لكن في الوقت نفسه لا تستطيع أن تمنع نفسها من القول إن الفاشية كانت لها إيجابياتها التي لم تظهر لأحد بسبب زيادة نفوذ تأثير اليساريين في المسرح السياسي آنذاك.

كما خرجت ابنة أخرى من بنات موسوليني، ولكنها ابنة شرعية موثقة النسب ومعروفة للعامة، هي "أيدا" أو عايدة نسبة لبطلة أوبرا الإيطالي فيردي "عايدة" كما أسماها الديكتاتور الراحل .. خرجت هذه الابنة باعترافات، ولكن من نوع غريب جداً !!

جوهر هذه الاعترافات التي نشرتها كل صحف العالم، وبكل اللغات، أن زوجة بنيتو موسوليني كانت تخونه بمعرفته على مدار سنوات من دون أن يحرك مسدساً أو حتى لسانا!!

والمهم أن هذا التسريب ليس عن طريق عشيقة موسوليني كلارا، فتلك تم تعليقها معه على شجرة قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، ولو جاءت أخبار خيانة موسوليني عن طريقها لصعب تصديقها، فالعشيقات عادة يشنعن على الزوجات والعكس بالعكس في تلك العلاقات الشائكة التي تجعل المساحة التي لا تتسع إلا لاثنين موضع صراع بين ثلاثة أفراد.

لقد جاءت تسريبات خيانة زوجة موسوليني عن طريق ابنتها عايدة التي لم تتعلم من أوبرا فيردي ضرورة كتم أسرار العائلة، و لم تأخذ أسرارها معها إلى القبر، كما فعلت عايدة في الأوبرا الشهيرة، إنما صرحت بها وهي على مسافة عدة خطوات من القبر. فالتصريحات المطبوعة والمنشورة في مئات الصحف والمجلات تم تسجيلها مع ابنة موسوليني من على فراش مرضها الأخير عام ١٩٩٥ !!

وفي حالة عايدة - ونطقها الصحيح أيدا - لم تكن الأمور هكذا، فابنة موسوليني لم تظهر كثيراً و إنما انشغلت بالزواج والطلاق، وعاشت مأساتها الشخصية في ظل الأب المتسلط، الذي رفض أن يزوجها بعشيق يهودي كي لا يغضب حليفه الألماني هتلر، ولاحقا حين تزوجت وفق إرادته أعدم زوجها الكونت جيانو، ومع ذلك ظلت تحبه، فقد كان موسوليني حبها الكبير والعظيم، لذا لم تتفهم ظروف والدتها حين اكتشفت أنها تخون الأب الذي تحب، فطالبتها بوقف العلاقة ظنا منها أن الأب لا يدري، ثم علمت ذات يوم من حديث اختلسته أذناها من مخدع الزوجية أن الأب يعرف خيانة الأم التي استمرت عدة سنوات .

١٨ -فاشية موسوليني ..لماذا استمرت حتى يومنا هذا؟!



■ تشير كل الدلائل إلى أن خطر انبعاث الفاشية لا يزال قائماً. و يؤكد هذا بروز أحزاب واسعة الانتشار يمارس أعضاؤها نفس أساليب الفاشية التقليدية، ولو بلون جديد . فهم يتحدثون عن الديمقراطية، ولكنهم لا يتورعون عن شن حملات القتل والقمع والإرهاب ضد العناصر التقدمية والديمقراطية !!

١٨- فاشية موسوليني ..

لماذا استمرت حتى يومنا هذا ؟!

"ارتفعت أربعة أعلام إيطاليا الفاشية فوق قبة الكاتدرائية الكاثوليكية في فرانكفورت خلال الليل، وتبحث الشرطة الألمانية عن شخصين مقنعين كانا قد هربا على دراجتين، بعد أن استوليا على مبلغ ٢٨٠ ألف يورو، خلال هجوم على أحد أندية القمار. وقد هدد الرجلان المقامرين بواسطة السلاح، وسلباهم ما معهم من نقود". هكذا كتبت صحيفة "فرانكفورتر" الألمانية يوم ٢٥ أبريل ٢٠٠٦.

وقالت : "إن الفاشية، كوباء اجتماعي خطير، لم تزل بزوال الأنظمة الفاشية في ألمانيا وإيطاليا، بل بقيت جذورها (التي لم تُستأصل أصلاً) تستمد الحياة والاستمرار من تربة الأزمات التي تجتاح المجتمعات الأوربية" .

وتشير كل الدلائل إلى أن خطر انبعاث الفاشية لا يزال قائماً. يؤكد هذا بروز أحزاب واسعة الانتشار يمارس أعضاؤها أساليب الفاشية التقليدية، ولو بلون جديد. فهم يتحدثون عن الديمقراطية، ولكنهم لا يتورعون عن شن حملات القتل والقمع والإرهاب ضد العناصر التقدمية والديمقراطية. وهم، في بعض الدول، يمارسون اللعبة البرلمانية، ومع ذلك يتهمون المؤسسة البرلمانية (وغيرها)، بالعفوية والعجز، ويدعون للقضاء عليها. وهم ينادون بالعدالة الاجتماعية، ولكنهم يقيمون أقوى التحالفات مع الاحتكارات الضخمة التي تلتهم فكرة المساواة الاجتماعية، ويعادون الأحزاب التي تناضل من أجل مجتمع أكثر عدالة. وأخيراً، فهم يقولون باستقلال بلادهم (ألمانيا الاتحادية)، ولكنهم يتبعون سياسة مُغرقة في العنصرية والتعصب إزاء القوميات والشعوب الأخرى، وحتى الشعوب الأوربية نفسها.

ومن المعروف أن الفاشية، في ألمانيا وإيطاليا، لم تُحطم بواسطة ثورة داخلية، أو انقلاب، أو حركة جماهيرية، وإنما انهارت بفعل عوامل خارجية. والسؤال المطروح هو: لماذا عمّرت الأنظمة الفاشية التقليدية هذه الفترة الطويلة من الزمن؟ وما سرّ ذلك ؟ .. وما هي أسباب النجاحات التي تحققها الفاشية الجديدة، على الرغم من المجازر والمآسي التي ارتكبتها الحركة الأم (الفاشية) بحق الشعوب والأفراد ؟!

لابد من التأكيد على أن فترة ظهور الفاشية قد توافقت، زمنيّاً، مع مرحلة الأزمات الاقتصادية الاجتماعية الحادّة، التي ألمت بالعالم الغربي في العشرينيات من القرن المنصرم (العشرين). وبسبب ظروف اجتماعية وتاريخية، برزت الفاشية على المسرح السياسي كقوة وحيدة مؤهلة للخروج من الأزمة وإنقاذ النظام الاجتماعي القائم، وليس تغييره، وهذه نقطة مهمة، لأن الأنظمة الفاشية لم تقضِ على الأسس الاقتصادية للنظام القائم، وجُلّ ما فعلته هو أنها غيّرت شكل الحكم من ديمقراطية غربية إلى ديكتاتورية عاتية متسلطة، بهدف ضمان هيمنة أكثر الفئات الاحتكارية رجعية. ومع ذلك، فالديكتاتورية الفاشية هي نظام حكم استغلالي من نمط جديد، فهي:

أولاً: إرهابية، لأن الفاشيين سعوا، منذ البداية، لتأسيس جهاز حكم قاس يعمل على مبدأ الطاعة العمياء. وقد مارس النازيون أسلوب التصفية الجسدية الشاملة بهدف القضاء على معارضيهم السياسيين. ففي ألمانيا وحدها، ابتلعت "مصانع الموت" عشرة ملايين شخص، ومثل هذا تكرر في إيطاليا، ولو بصورة أقل، وقد أدت هذه الممارسات إلى إبادة قوى سياسية كاملة، سواء عن طريق القتل أو التهجير.

ثانياً: هي جماهيرية، فالحركات الفاشية سعت لخلق قاعدة واسعة لها بين الجماهير. وتم هذا عن طريق تملّق الشعور بالسخط لدى الفلاحين، الذين اضطروا للهجرة إلى المدينة، ولكنهم بقوا فريسة للجوع والخوف من المستقبل .

أوهمت الأحزاب الفاشية صغار التجار والحرفيين ومالكي المصانع الصغيرة بقدرتها على رفع خطر الاحتكارات الذي يتهدد وجودهم، وكان زعيم الفاشية

الإيطالية، بنيتو موسوليني،كما ذكرنا، حتى بداية الحرب العالمية الأولى، أحد القادة الاشتراكيين. إلا إن الحزب الاشتراكي فصله بعد فترة. كل هذه المظاهر خلقت انطباعاً بأن الفاشية واحدة من الحركات الجماهيرية التي تدافع عن مصالح الفئات المتوسطة وحتى المسحوقة.

ثالثاً: أيديولوجية، فقد اهتم الفاشيون، بشكل جدي، بالعمل الأيديولوجي. وذلك من أجل زيادة تأثيرهم على الجماهير وتخريب وعيهم، حيث لجئوا إلى أسلوب "التربية الأيديولوجية" بروح الفاشية والتفوّق العنصري.

ومن أجل تعميم هذه التربية طوّرت النظم الفاشية أساليب وأجهزة الدعاية. كما لجأ رجال الدعاية الفاشية إلى سرقة الشعارات من مختلف الأحزاب اليمينية واليسارية على حد سواء. وكان القصد من وراء ذلك إيجاد مجموعات مؤيدة لهم، بين الجماهير وفي صفوف الفئات الحاكمة.

أما النجاح الذي حققته الحركات الفاشية الجديدة، و خاصة في الدول الأوربية فيمكن إرجاعه إلى العوامل التالية:

١ - **العامل الاقتصادي** : الأزمات الاقتصادية المتكررة التي حلّت بالدول الغربية،عمقت التناقضات الاجتماعية بين الجماهير الكادحة وأصحاب رؤوس الأموال. وهذا الوضع أدى إلى بروز ظاهرتين:

الأولى: زيادة شعبية الأحزاب الشيوعية والاشتراكية (وخاصة في فرنسا وإيطاليا).

الثانية: تزايد نفوذ الأحزاب الفاشية الجديدة التي تطرح المخرج الرجعي للتخلص من الأزمة . وهذا الحل يعني القضاء على الحكومات "العفنة" والأحزاب البرجوازية، وخلق "دولة قوية" قادرة على التصدي لهذه الأزمة.

وليس ثمة شك في أن أغلبية الأحزاب المحافظة تحبذ الحل الثاني، إذا ما وجدت نفسها أمام حتمية التغيير الثوري. وهذا أمر يجعل خطر انبعاث الفاشية قائماً.

كما طفت على السطح مشاكل الشباب: الظلم في نظام التعليم، تمزّق العلاقات الاجتماعية، الفراغ الفكري، ووطأة الهموم اليومية. في البداية، عبرّ الشباب عن احتجاجهم على ذلك، برفض الواقع والهروب منه واتخاذ مواقف سلبية إزاء ما يجري من أحداث. ولكن هذه الموجة انحسرت في أواخر الستينيات من القرن الماضي، عندما انفجرت اضطرابات الطلبة في فرنسا (ما يعرف بـ "ثورة مايو ١٩٦٨، ومن زعمائها البارزين كوهين بنديت، التي هددت حكم الجنرال شارل ديجول الذي فكر – كما كشفت مجلة "نوفيل أوبزرفاتور الفرنسية في حينه – "باللجوء إلى القوات الفرنسية المرابطة في ألمانيا"). وبدأ الشباب، في الدول الأخرى، يعبرون عن سخطهم من خلال الانتظام في صفوف الأحزاب السياسية المعارضة للنظام القائم، سواء الشيوعية أو الاشتراكية أو الأحزاب الفاشية الجديدة.

٢ - **العامل التاريخي:** بعد القضاء على الأنظمة الفاشية في ألمانيا وإيطاليا، بقي العديد من أنصار هذه الأنظمة على قيد الحياة. ولم تمضِ فترة طويلة حتى عاد هؤلاء إلى نشاطهم، وباشروا تأسيس حركات، استطاعت خلال فترة زمنية قصيرة، أن تتحول إلى قوة سياسية متنفذة.

٣ - **العامل السياسي:** لا بد من الإشارة إلى أن سياسة التهاون، التي اتبعتها الحكومات الغربية في علاقاتها مع القوى الفاشية، لعبت دوراً كبيراً في بروز هذه المنظمات ونموها. ففي العديد من الدول تمّ إلغاء القانون القائل بمنع الأشخاص ذوي الماضي الفاشي من شغل أي منصب، وكانت النتيجة أن الكثيرين من أولئك الذين شغلوا مراكز حساسة أيام هتلر وموسوليني عادوا إلى تقلد مناصب سياسية لا تقل أهمية.

وبالإضافة إلى ذلك، عقدت بعض الأوساط العسكرية الغربية تحالفات سّرية مع المنظمات الفاشية. وذلك بهدف تصفية القوى التقدمية، وممارسة الإرهاب ضد الأحزاب الديمقراطية. وهذا عامل رئيس ساهم في تقوية وجود الفاشية الجديدة.

٤ - **العامل المعنوي:** ويكمن في حالة التمزق النفسي والروحي التي نتجت عن التطبيق السيئ لمنجزات الثورة العلمية التقنية. يضاف إلى هذا، أزمة القيم التي تجلت في بروز مفهوم "المجتمع الاستهلاكي". هذا الوضع جعل أناسا كثيرين – وخاصة الشباب– يشعرون بغربة حقيقية عن المجتمع، وحتى بانسلاخ مادي وأخلاقي عنه. ولا شك في أن الفرد، الذي وصل إلى مرحلة فقدان الشعور بالانتماء للمجتمع، وضياع الثقة بكل ما يحيط به من قيم، سيكون فريسة سهلة للفاشية الجديدة التي ترفع شعارات برّاقة المظهر عن العدالة الاجتماعية والانتقام من أجهزة السلطة.

هذه هي بعض العوامل الرئيسة التي جعلت الفاشية الجديدة قوة لها وزنها السياسي والجماهيري في المجتمعات الأوربية.

وبالنسبة للفاشية الجديدة في ألمانيا الاتحادية، يلاحظ أنه ما كادت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها، حتى ارتفعت أصوات أصحاب رؤوس الأموال والموظفين النازيين تطالب بإعادة ممتلكاتهم ووظائفهم. وسرعان ما ظهرت إلى الوجود حركات نازية مثل "الحزب المحافظ" و "الحزب الألماني الإمبراطوري" و"الحزب الاشتراكي الراديكالي"، و"اتحاد البناء الاقتصادي"، التي تبنت مطالب النازيين القدامى، واستطاعت فرضها على سلطات الاحتلال.

ومنذ ذلك التاريخ، أخذ نفوذ هذه الحركات بالنمو المستمر، وزاد عدد أعضائها بشكل ملحوظ، ولا بد من الإشارة إلى أن العمليات التي قامت بها القوات الغربية ضد أنصار الفاشية، فيما بعد، كان الهدف منها تمهيد الطريق لإعادة تسليح ألمانيا الاتحادية. إلا أن تزايد خطر "النازية الجديدة"، قد وضع أنصار التسلح في وضع مربك. فكان لا بد من الحد من انتشار الفاشية الجديدة للمضي قدماً في تنفيذ مخطط الدول الغربية القائم على تحويل ألمانيا الاتحادية إلى قلعة للنضال ضد دول المعسكر الاشتراكي.

ومنذ تلك الفترة بدأت موجة الفاشية بالتلاشي، لكنها عادت إلى المسرح السياسي في ألمانيا الغربية في أواسط الستينيات من القرن الماضي. وكانت هذه

المرَّة، أكثر فعاليّة وتصميماً على انتزاع مواضع لها. وقاد نشاط هذه القوى "الحزب الديمقراطي الوطني" الذي تأسس في يناير عام ١٩٦٤. والحزب الفاشي الجديد ارتبط بشكل وثيق مع الاحتكارات الصناعية في ألمانيا. ومن المعروف أن هذه الشركات تقوم بتحويل حملات الحزب الانتخابية ومصروفاته التي بلغت عام ٢٠٠٠، ما يزيد على ٢٠ مليون يورو. كما أن أقطاب الصناعية الألمانية يشغلون مراكز قيادية في هذا الحزب.

أما الفاشية الجديدة في إيطاليا، فإنه على الرغم من النفوذ المتزايد الذي تتمتع به القوى التقدمية في إيطاليا، ونجاحاتها الكبيرة في الانتخابات النيابية الأخيرة، فإن العناصر الفاشية استطاعت إيجاد كيان قوي لها. فشعار "فيفا موسوليني" (يحيا موسوليني) لايزال يسمع حتى في قلب العاصمة الإيطالية. وقبر "الدوتشي" الموجود في الشمال الشرقي من إيطاليا، يؤمّه الفاشيون الجدد. والحركة الفاشية الجديدة في إيطاليا، ممثلة في أحزاب مختلفة أهمها "الحركة الاجتماعية الإيطالية" وتضم هذه الحركة اتجاهات سياسية مختلفة يمكن إجمالها في تيارين:

الجناح الكلاسيكي: ويشمل أنصار موسوليني والعناصر المحافظة التي تنادي بممارسة الإرهاب ضد القوى الديمقراطية. وهذا الجناح يلقى معارضة شديدة من جانب الرأي العام الإيطالي الذي عانى من الديكتاتورية الفاشية. ولهذا، ظهر الجناح الآخر، وهو الجناح الليبرالي في الحركة، الذي يرفض العنف، ويدعو لاستخدام العمل السياسي المنظمّ للوصول إلى السلطة.

وفي الانتخابات التي جرت عام ٢٠٠٢، حصلت "الحركة الاجتماعية الإيطالية" على ٩٪ من مجموع الأصوات، وقد استطاعت الحركات الفاشية الجديدة التسلل حتى إلى الدول التي دخلت الحرب ضد ألمانيا وإيطاليا، إلا أن نفوذ هذه الحركات ضعيف نسبياً، وذلك لسببين:

- قوة الحركة التقدمية التي منعت بتحالفها انبعاث الفاشية (كما حدث في فرنسا).

- توطد النظام البرلماني والتقاليد الديمقراطية التي تمجّ اللجوء إلى العنف، والشكل الديكتاتوري للحكم (بريطانيا).

ومع هذا، فقد ظهرت في بريطانيا بعيد الحرب ١٨٥ منظمة إرهابية فاشية أسست "الحركة التحالفية". وتزعم هذه الحركة الدكتور أوزوالد موسلي، الذي كان، قبل الحرب العالمية الثانية، أكبر شخصية فاشية خارج ألمانيا وإيطاليا.

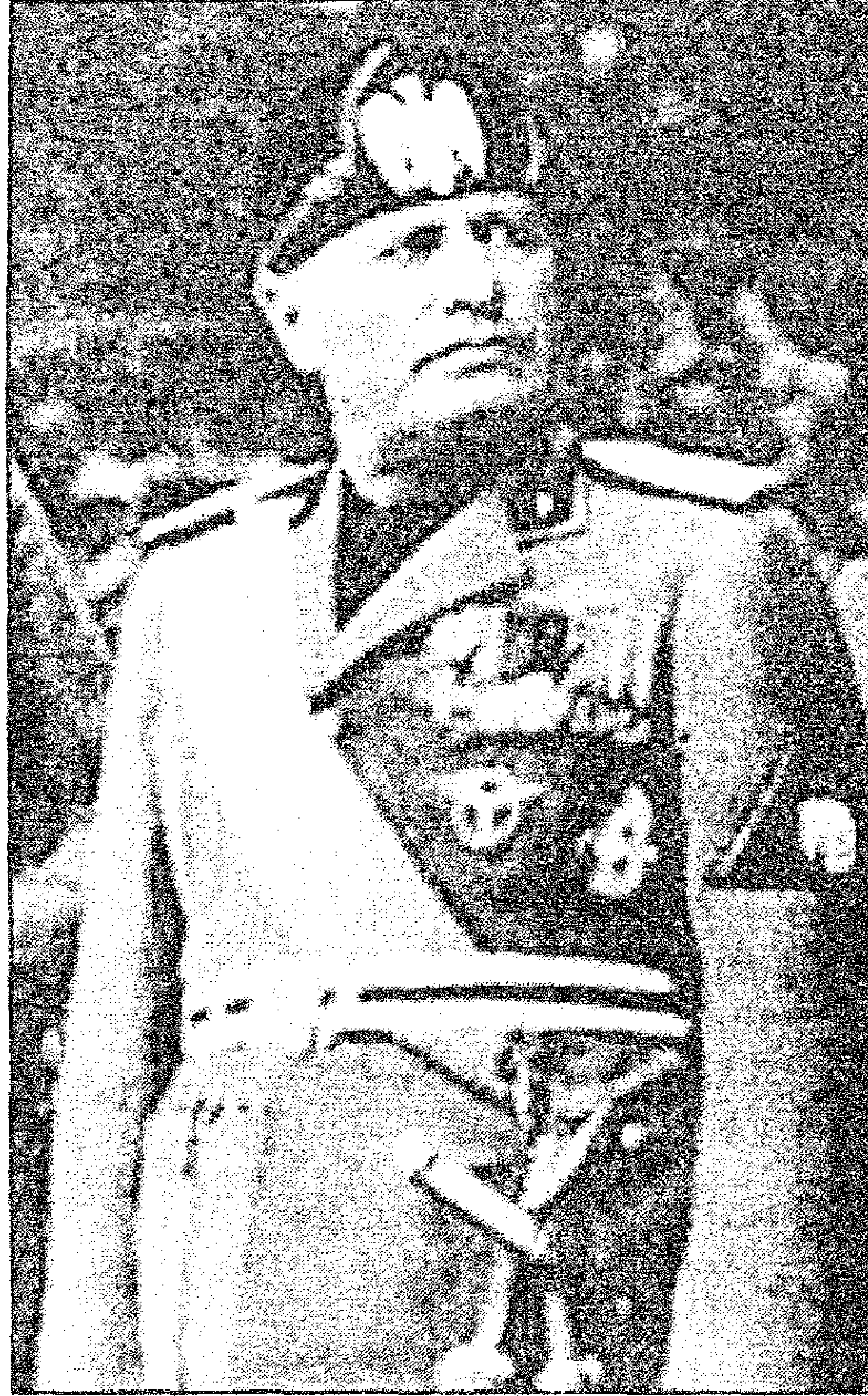
وظهرت كذلك "الحركة الوطنية الاشتراكية"، التي يتزعمها كولين جوردان. وتجدر الإشارة إلى أن الحركة الفاشية أنشط نسبياً في فرنسا، حيث لها جذور عريقة. وكانت "منظمة الجيش السري" (التي بدأت نشاطها عام ١٩٦١) من أهم الحركات ذات الطبيعة الفاشية في فرنسا، إضافة لكونها وقفت بقوة ضد استقلال الجزائر. وتشير المراجع إلى أن "منظمة الجيش السري" كانت تضم مائة ألف مسلح، وعشرين ألف عميل، وثلاثة آلاف من خبراء التخريب. وعلى الرغم من أن هذه المنظمة لم تكن ممثلة رسمياً في "الجمعية الوطنية" الفرنسية، فإنها استطاعت إيجاد كتلة مؤيدة لها قوامها ٩٠ نائباً.

في ذلك الوقت ظهر خطر انقلاب فاشي في البلاد، ولكن هذا لم يحدث لوجود "الحركة الديجولية" التي تمتعت بمواقع قوية في صفوف اليمين الفرنسي، ولمقاومة اليسار الفرنسي. وبعد انقراض "منظمة الجيش السري"، ظهرت حركات فاشية جديدة كـ "حركة الانبعاث الوطني" و"الكتائب الفرنسية". ولكنها جميعها لم تستطع كسب تأييد جماهيري. وعلى الرغم من أن هذه الحركات تنفي أية علاقة لها بالفاشية،فإن هذا يتم بهدف الوصول إلى مواقع قوية، وتجنب الاصطدام بالرأي العام الفرنسي المناهض للفاشية، وخاصة في أوساط المجموعات اليسارية.

إن الفاشية التي سببت الكثير من المآسي والكوارث، لا تستطيع اليوم إبراز وجهها البشع. ولذا ترتدي أقنعة مختلفة، وتطرح شعارات سياسية لا تؤمن بها أحياناً.

وعلى الرغم من هذه الأساليب الملتوية التي تلجأ إليها الفاشية الجديدة، فإنها عاجزة عن إخفاء جوهرها العنصري والمعادي لكل القيم الإنسانية، وسيظل مكانها - كما كان دائماً - في مزبلة التاريخ.

١٩ - موسوليني رجل دولة عظيم أم محتال ومزور؟!



■ البعض يقدم موسوليني على أنه رجل تاريخ حديث حكيم، رجل حاسم وموسوعي، يمزج بين شخصية يوليوس قيصر وعبقرية ليوناردو دافنشي.. أما الأكثرية فيرونه لصاً ومحتالاً ومزوراً ورجلاً أحمق .. الغريب أن هناك كثيرين أيضاً يرونه يجمع بين كل هذا وذاك !!

١٩- موسوليني رجل دولة عظيم

أم محتال و مزور ؟!

ربما كانت الشهرة التي وصل إليها ديكتاتور إيطاليا بنيتو موسوليني،أو كما كان يسمى بـ "القائد العظيم" ، لا تقارن إلا بتلك الشهرة التي حظي بها إمبراطور فرنسا نابليون بونابرت. ولكن بالنسبة للعصر الحديث ارتبطت كلمة " القائد " بشخصيتين شهيرتين هما : "الفوهرر " أي هتلر، و"الدوتشي" أي موسوليني، وأصبحت نظرية "الرجل العظيم" أو "القائد العظيم" مثيرة للريبة لأن أصحابها ينظرون إلى التاريخ باعتباره من صنع الفرد .

ففي الفترات اللاحقة كان على الانعطافة الاقتصادية ـ الاجتماعية التاريخية أن تنقل مسارها من الكائن الإنساني الفرد، وتوجه ذلك المسار ناحية النزعات أو الاتجاهات الاجتماعية والنماذج الإحصائية والأسباب غير الشخصية التي يرجع تاريخها إلى أمد بعيد .

وعلى هذا يصبح من غير المهم معرفة ما الذي كان يخطط له هتلر حينما شرع في تأليف كتابه " كفاحي "، بل المهم هو معرفة أنموذج العوامل الاقتصادية ـ الاجتماعية التي جعلت الألمان في المدن الصغيرة ينضمون إلى الحزب النازي بتلك الأعداد الكبيرة. على هذا الأساس، أي أساس العوامل الاجتماعية ـ الاقتصادية، أجري العديد من البحوث والدراسات القيمة، وأضيفت إلى مخزن المعلومات والمعارف السابقة، وأثناء ذلك ظهرت نتائج مرعبة ومثيرة، إذ كلما شدد المرء على العوامل غير الشخصية ظهرت إمكانية أكبر لإيجاد المبررات والمسوغات للأفراد الذين هم في القمة أو للقائد العظيم : "إن لم يكن هتلر قد فعل ذلك فسوف يأتي شخص ما غيره ليفعل ما فعل" !!

"الرواية الرسمية" الفاشية تقدم موسوليني على أنه رجل تاريخ حديث حكيم، رجل حاسم وموسوعي، يمزج بين شخصية يوليوس قيصر وعبقرية ليوناردو دافنشي، ينظر بعيدا نحو المستقبل، يخطط ويشرف على كل تفاصيل تحويل بلده اجتماعيا واقتصاديا، وأن أي شخص مرّ من تحت نافذة غرفته في قصر "بلاسوفينسيا" كان بوسعه أن يرى المصابيح مضاءة حتى ساعات الصباح الباكر، لأن الدوتشي كرس نفسه لخدمة بلده.

مثل هذه النظرة إلى موسوليني سادت، حتى بعد مرحلة الفاشية، فأغلب البيليوجرافيات الموثقة التي كتبت حول موسوليني أكدت طاقته في العمل وأفكاره التقدمية النفاذة . أما الخط المناهض للفاشية، فإنه يصف موسوليني كلص ومحتال ومزور ورجل أحمق. ويرى المؤرخ الأسترالي ريشارد بوسورث - وهو باحث رائد في تاريخ إيطاليا في القرن العشرين - أن كلا الرأيين مجازي وحرفي في تعبيره. فمصباح الدكتاتور ربما كان مضاءً ولكن ليس هناك أحد وراء المكتب، إذ من المعروف أن موسوليني كان دائما يمضي ساعات الصباح الأولى عند عشيقته كلاريتا بيتاشي

وقد حاول بوسورث في كتابه عن إيطاليا في عهد موسوليني، أن يرسم صورة حقيقية وواقعية عن حياة الدوتشي مفتشا عن الحقيقة في هذين الرأيين حول موسوليني، والتوفيق بينهما، أو لنقل توجيه هذين الرأيين في الاتجاه الصحيح والواقعي - ولكن مع ذلك، يبدو واضحا تعاطف المؤلف الأخلاقي مع الجانب المناهض للفاشية، إذ يؤكد على العنف والإرهاب اللذين صاحبا عملية صعود موسوليني إلى السلطة، وذلك حينما تمت تصفية حوالي ألفي مواطن إيطالي على أيدي الفاشيين، وصاحبا سياسته الخارجية الكولونيالية في شمال أفريقيا، حيث عنف الحرب الحبشية وحملة الإبادة الجماعية في ليبيا .

ويوجه بوسورث الأنظار إلى الأسباب الاقتصادية والسياسية التي ساهمت في نجاح موسوليني، منحيا بعض المسؤوليات عن كاهل الرجل "العظيم"، موجها

إياها صوب ما كان يُطلق عليه "البلد العظيم"، موضحا كيف أن التقاليد السياسية للتحول "إعادة الدورة البراجماتية لنفس السياسيين القدامى في الأحزاب والاتحادات المختلفة" قد سهلت عملية صعود الفاشية إلى السلطة، وكيف أن شبكة المحسوبيات والمعارف التقليديين تكيفت سريعا مع حكم موسوليني .

ورغم أن الكاتب يميل أحيانا إلى الجانب التبريري، فإن محور كتابه يبقى مركزا بشدة على طموح موسوليني العاصف وتهوره وقسوته. إنه يناقش جميع الحجج التي طرحت في السابق حول موسوليني ويقول إنها كانت ترتكز على قواعد خاطئة. «فلو أننا عزونا المسؤولية الحاسمة للأحداث إلى شخصية معينة (موسوليني) لاقتضى منا ذلك القول إنه كان يقوم بتنفيذ خطة مدروسة طويلة الأمد»، لكن المعروف أن موسوليني لم يكن يملك مثالا محددا، بدءا بمثال الاشتراكية الدولية التي نبذها بين ليلة وضحاها خلال الأسابيع الأولى من الحرب العالمية الأولى .

اعتمد بوسورث في كتابه على بحث أرشيفي وميداني شامل ودراسة واسعة في الأدبيات الثانوية التي تتصل بموضوعه. وشخصية موسوليني التي تظهر من خلال صفحات الكتاب هي شخصية يمكن الاعتداد بها وبصفاتها أكثر مما هو الحال في الكتب السابقة. هي شخصية مزيفة بطريقة ما، ولكن ليس إلى حد كبير، قاسية ولكن ليس بشكل غير إنساني نسبيا. ليست عظيمة، لكن بالتأكيد شخصية أساسية وأقوى من أغلب الشخصيات التي كانت تحيط به: رجل ذو مواهب حقيقية في السيطرة على السياسة الداخلية، لكنه على درجة كبيرة من العناد وصلابة الرأي في ما يتعلق بالشؤون العالمية .

ثم يعرض المؤلف لمقارنة لا بد منها بين شخصية موسوليني و شخصية هتلر. إنها ذلك النوع من المقارنة التي يصعب على أي من الشخصيات السياسية العالمية أن تفلت منها باستثناء ستالين، ربما.

وفي هذا يعتقد بوسورث أن موسوليني لم يكن شخصا معاديا للسامية أو ممن تبنوا نظريات عنصرية، وهو في هذا الشأن يختلف عن صديقه وحليفه أدولف هتلر.

لكن المعروف أن موسوليني تبنى أخيرا "القوانين العنصرية" التي يؤكد المؤلف أنه لم يكن قلبيا معها .

والحقيقة أنه في إيطاليا موسوليني عزز الديكتاتور مؤسساته الفاشية والفكرة كانت ببساطة : السيطرة على الجماهير في كل وجه من أوجه حياتها، حتى يعلمها السلوك الأقوم، كان الأطفال الإيطاليون ينضمون للتنظيم في سن الرابعة، ويطلق على المنضم "ابن الذئب" تيمنًا بالتاريخ الروماني القديم، ثم يصبح عضوا في الفتوة حيث يتلقى تدريبا عسكريا أوليًا، و كان شعارهم "الإيمان.. الطاعة.. القتال"، وكان على الجميع ارتداء الزي الفاشستي.

ثم يتم تجنيد المراهقين في جماعة الطلائع ثم ينخرطون في الحزب، لقد كانت فكرة موسوليني واضحة : إنه يستولي على الإنسان وهو في مهده ويتركه فقط عندما يموت.

ولمنع الصراع الطبقي أنشأ موسوليني نظامًا تعاونيًا عبارة عن مزيج من النقابية والفاشية، يجمع بين العمال وأصحاب العمل ومندوبي الحكومة وكذلك مسئولي الحزب الفاشي، وقامت مشاريع ضخمة قال موسوليني: إنها ستخفض البطالة.

وتم تجفيف أكثر من مائة وعشرين ألف فدان من مستنقعات بونتين، وخف مرض الملاريا، واستمرت حملة زراعة القمح ست سنوات حيث كان من المفروض أن توفر لإيطاليا اكتفاءً ذاتيًا من الحبوب، وتنعش الريف، وكان موسوليني نفسه يشارك في حملة القمح.

لقد بدأت تظهر في إيطاليا الطرق السريعة، والطرق الخارجية الواسعة . وبدأ إنشاء مدن جديدة، وظهور ما يسمى بـ "الأسلوب الموسوليني"، وهو أسلوب العمل التطوعي لإقامة صروح ضخمة ترك بصماته على إيطاليا كلها، وبدأ تنفيذ خطة كبرى لتغيير وجه روما، وتم بناء مدينة جامعية وأقيمت بنايات سكنية تضم شققًا رخيصة وحفرت ساحة مدرج تراجان وعبدت الشوارع الواسعة.

كان قصد موسوليني من وراء ذلك كله إحياء الإمبراطورية الرومانية، وأعلن مولد روما الثالثة بعد روما القياصرة وروما الباباوات، واستغلت كل الوسائل لتغليف الفاشية بمضمون تاريخي.

كان التوسع الاستعماري هدفًا فاشستيًّا وبذلك أصبح البحر المتوسط في خطابات موسوليني "بحيرة إيطالية" والبحر الأدرياتيكي "بحرًا إيطاليا"، وكان موسوليني يظهر دائمًا بالزي العسكري ويقول إن الحرب بالنسبة للرجل مثل الأمومة بالنسبة للمرأة، وإن إيطاليا ستقود البشرية في القرن العشرين.

وفي هذه الأثناء يتم تسخير الدعاية إلى أقصى الحدود، وكزعيم معصوم من الخطأ أصبح إعجاب الناس بموسوليني يقارب حد العبادة، ووصل الحد إلى أن زعم أحد الفلاسفة الفاشيين أن موسوليني هو مبعوث العناية الإلهية لإنشاء حضارة جديدة، وكان شعار النظام: "موسوليني دائمًا على حق"، وبالفعل فقد بدأ يصدق هو ذلك، فقراراته أخذت تنم عن جنون العظمة وأنه ليس هناك من يستطيع معارضته.

كانت خطاباته غوغائية ومتناقضة، في لحظة واحدة يعلن أن الفاشيين هم أرستقراطيون وديمقراطيون، ثوريون ورجعيون معاً، محافظون وتقدميون، كان يخاطب مستمعيه قائلاً: أنتم حرس وسياج النظام، لم يكن مجرد خطيب مفوه فحسب، بل كان أيضا ممثلاً بارعًا ويستعمل الإيماءات وتعابير الوجه والحركات الجسدية والوقفات التصويرية، وكل ما يلزم.

وأخذت الجماهير المفتونة به تنظر إليه كمثل أعلى، وتطلب منه الأمهات أن يبارك أطفالهن بينما يركع الفلاحون أثناء مروره بهم !!

انظر كيف يخاطب الطاغية الإيطالي نظيره الألماني هتلر بمناسبة استيلاء الأخير على السلطة في ألمانيا قائلاً "الفاشية دين، وسيعرف التاريخ أن القرن العشرين هو قرن الفاشية".

ومن أكثر الظواهر اللافتة للنظر في حياة ديكتاتور إيطاليا الراحل بنيتو موسوليني هي علاقته مع الكنيسة، والتي تحولت خلال مشواره السياسي من التدنيس إلى التقديس، ومن العداء السافر إلى التحالف التام .

فمن أجل مصلحته الشخصية، و رغبته في التفرغ لمعاركه السياسية، و حروبه العسكرية، فقد شعر موسوليني فجأة – على ما يبدو – بحاجته إلى مهادنة الكنيسة، حتى لا يستغلها خصومه، فاستدار الدوتشي استدارة كاملة، ليتخلى عن معارضته المبكرة للكنيسة الأمر الذي أكسبه مساندة الفاتيكان. وفي عام ١٩٢٩، وبموجب اتفاقية "لاكتران" تنازل البابا وأصبح يحكم مدينة الفاتيكان فقط، مقابل أربعة بلايين ليرة، وهكذا حظيت الفاشية بمباركة البابا !!.. و لكن ما هو سر هذا التحول الرهيب و المفاجئ ؟!

في عام ١٩٢٢ خلال انتخاب البابا بيوس الحادي عشر قال داعية إيطالي ملحد كان واقفاً في ميدان القديس بطرس: "انظر إلى تلك الجموع الضخمة كيف يمكن ألا يدرك السياسيون قيمة القوة الدولية لهذه القوة الروحية؟". وفي العام نفسه اغتصب رجل السلطة وبنى أول ديكتاتورية فاشية كانت نموذجاً تم تبنّيه في العقود التالية، وكان التحالف بين البابا بيوس الحادي عشر وموسوليني، الذي أثر هذا بشكل قوي في النموذج الاجتماعي والسياسي ليس في إيطاليا وحدها، ولكن في بقية أوربا في السنوات ما بين الحربين العالميتين.

حقيقة أن الفاشية ولدت في بلد كاثوليكي وأن عملها الرسمي في قلب الكاثوليكية الرومانية لم يكن صدفة ولا نزوة تاريخية، بل كان بسبب عدة عوامل مهمة : دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية، بل إنها تعد أول تجربة حديثة للفاتيكان في خلق نظم ديكتاتورية استبدادية.

يخبرنا تاريخ العلاقة بين إيطاليا ما قبل الفاشية والفاتيكان بأنه لم تكن هناك عداوة كبيرة بين الدولة والكنيسة، والمحاولة السابقة للتخلص من هيمنة الكنيسة الكاثوليكية على الحياة اليومية كانت مجرد تاريخ منسي، فيما حاولت البابوية فيما بعد بكل الطرق الحفاظ أو استعادة تلك الامتيازات التي تعتبر نفسها مخولة إياها.

خلقت العداوة بين الفاتيكان وإيطاليا الليبرالية في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر حالة من الحرب كما فعلت في دول أخرى في نفس الظروف، ولكنها منعت جميع الإيطاليين من ممارسة حياة ديمقراطية وممارسة حقهم في التصويت. كان البابا بيوس الحادي عشر قد أعلن أنه سيتم حرمان الكاثوليك كنسيا إذا لم يصوتوا في الانتخابات الحكومية العلمانية، وكان الملايين من الكاثوليك قد تركوا الكنيسة ولم يطيعوها . وكان من نتيجة هذا التحالف أن قدم موسوليني للفاتيكان أول خدمة حقيقية ممثلة في بنك روما، الذي هيمن عليه الكاثوليك واستثمر فيه الفاتيكان وأكبر قساوسته أموالهم، وعندما أوشك على إعلان إفلاسه حماه موسوليني، وقدم له كما يُعتقد نحو ألف وخمسمائة مليون ليرة، وفي ٢١ فبراير ١٩٢٣، قدم الكاردينال فانيوتيلي رئيس كلية الكرادلة المقدسة ولاءه لموسوليني (لإخلاصه النشط لبلده) مضيفا "أن الزعيم الفاشي قد اختاره الرب لحماية الأمة الإيطالية واستعادة عزها".

وكان البابا بيوس الحادي عشر قد طالب من جميع الرهبان والقساوسة الاستقالة من الحزب التقدمي، وطالب جميع الكاثوليك الانضمام إلى المنظمة الجديدة (الفاشية)، وفي النهاية تم حل الحزب نهائيا وتم تصعيد الحركة الفاشية. وفي أكتوبر ١٩٢٦ لم تكن مصادفة أن البابا بيوس الحادي عشر وموسوليني بدآ مفاوضات تضمنت توقيع معاهدة لاتران، التي تنص على أن الفاتيكان دولة ذات سيادة مستقلة، وأن الحكومة الفاشية سوف تتقاضى مبلغاً كبيراً من المال كتعويض عن الأرض التي ستقتطعها دويلة الفاتيكان من إيطاليا.

وهكذا نُتم تلك الرحلة التى حاولنا فيها إنارة وإلقاء الضوء على تاريخ ديكتاتور من أهم من شغلوا العالم قديما وما زالوا يشغلونه حديثا وحتى الآن.

أيضا حاولنا توضيح كل ما ارتبط به من رجال وحوادث ومشاكل سياسية ومسائل اقتصادية وفنية واجتماعية (وأرجوك اقرأ الكتاب مرة أخرى ومن أوله يزيدك وجهه علما إذا زدته نظر)



ملف الصور

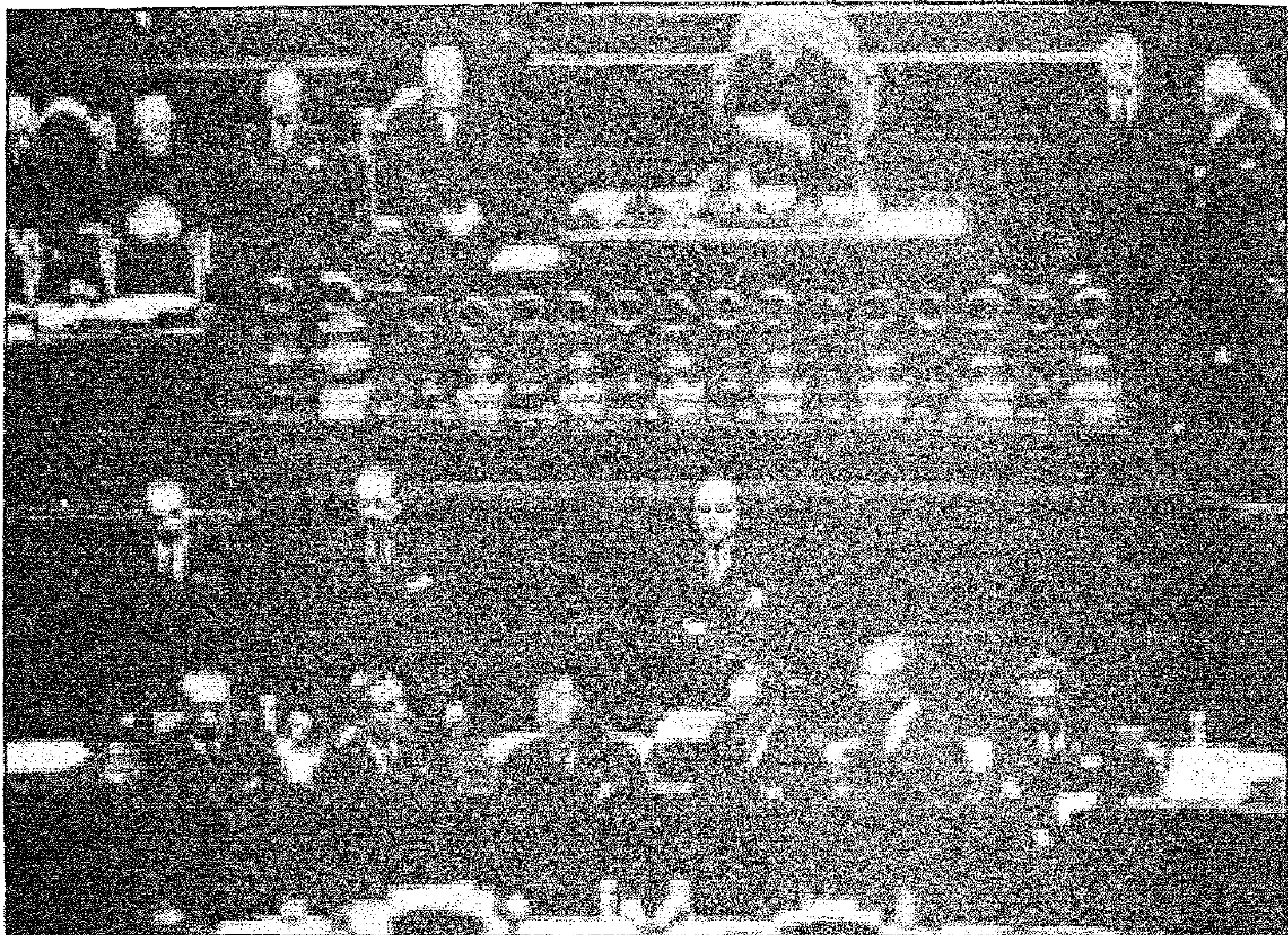



موسوليني الشباب..والطموح..

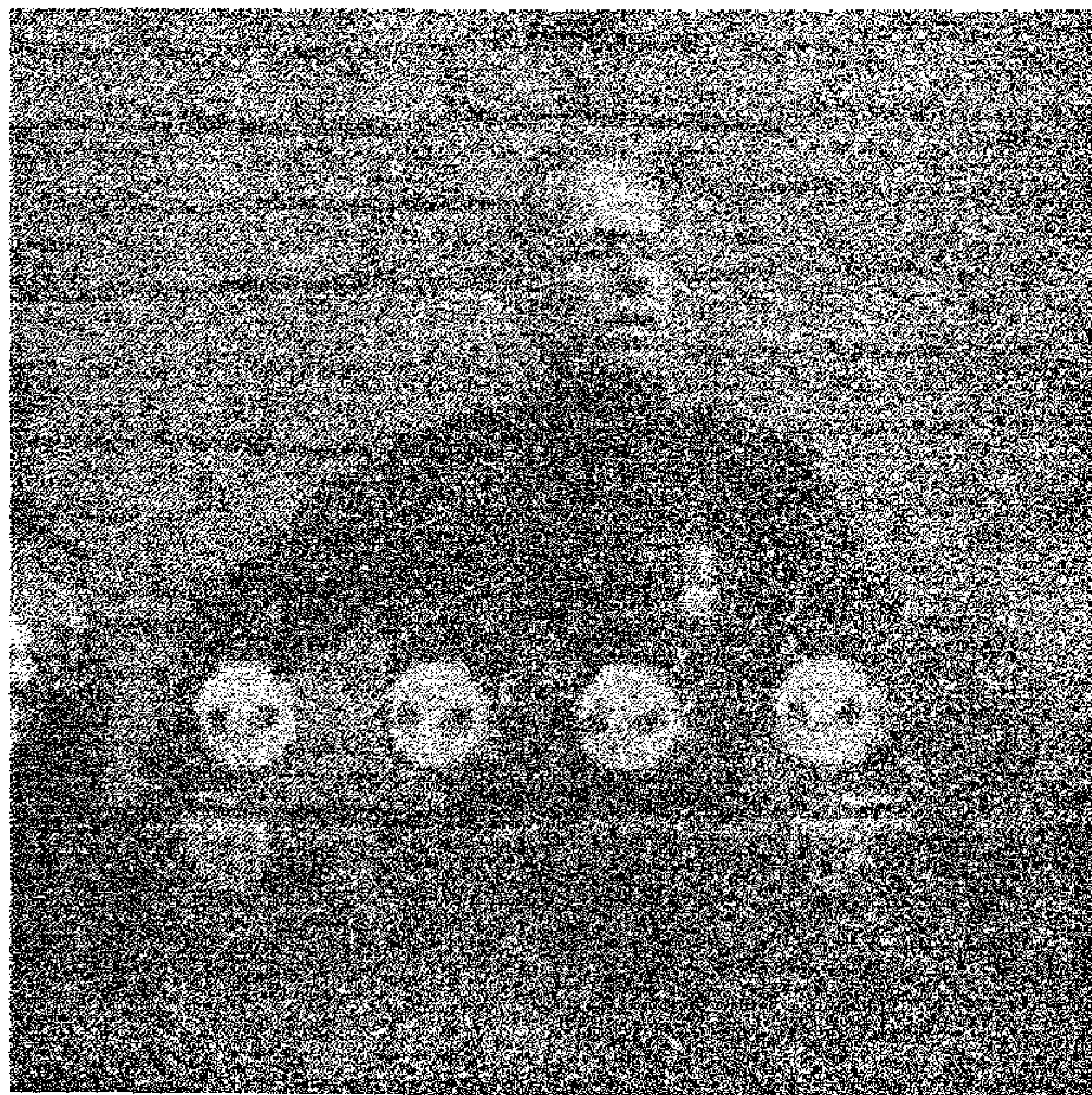


موسوليني ..حينما قبض عليه في سويسرا..

الدوتشي .. حاكم إيطاليا الأوحد ..



رئيس الحكومة ..موسوليني



كان خطيباً مفوهاً ..


موسوليني في الزي العسكري الذي تهرب منه


مع الملك ..


سنصل بالفاشية إلى النجوم..

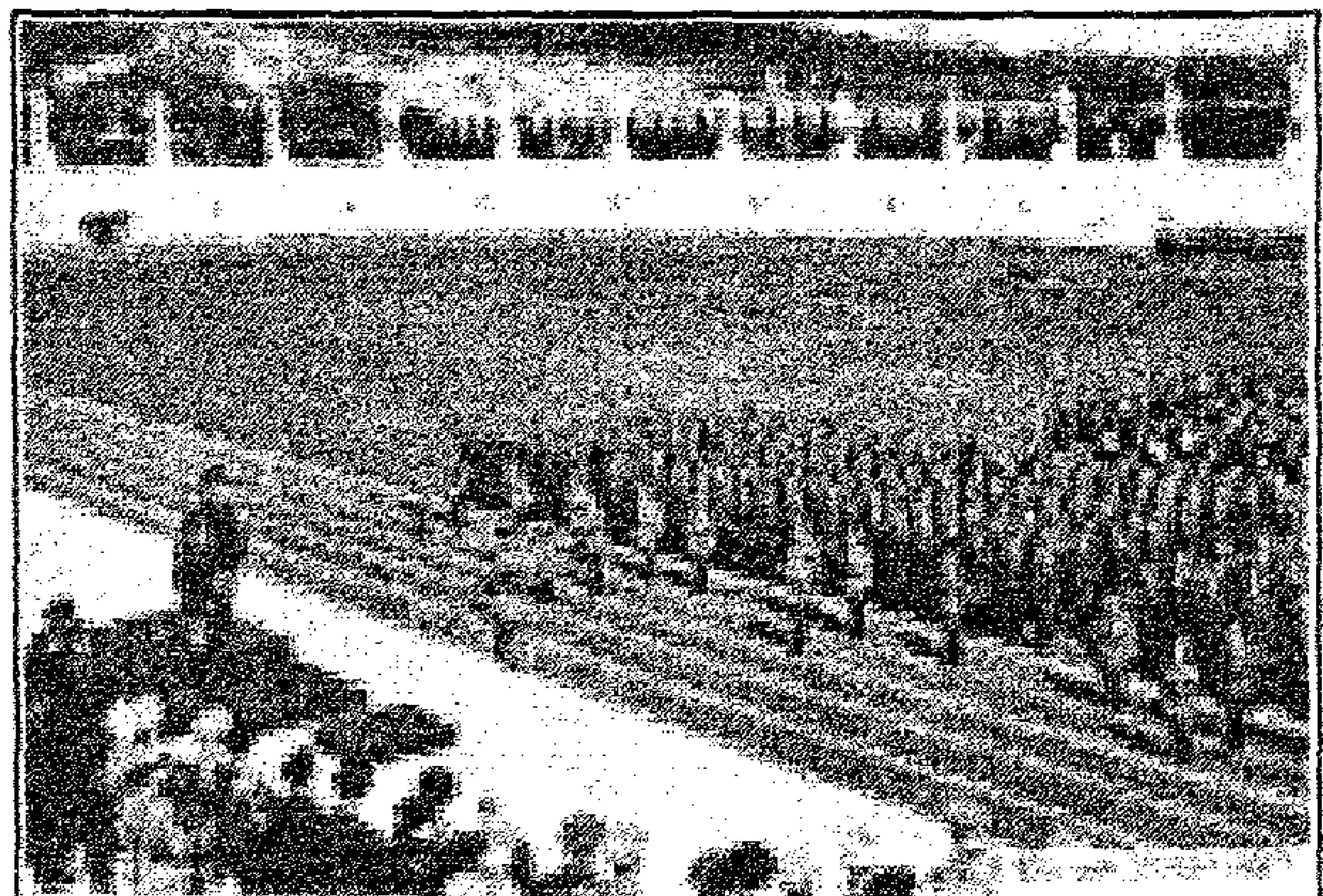

من شرفة القصر..



حوله الأتباع الذين انفضوا يوما ..



موسوليني يوقع اتفاق لاتيران ١٩٢٩



جنود الفاشية ..



الحرب لمجد روما....



الدوتشي نصف عريان ..وسط الجماهير



من الشرفة وأفكار كثيرة



لا تقلقوا سننتصر في ليبيا ..



في القصر ..



إلى النجوم ..



يبتسم رغم الهزائم ..



يرفع علم .. امبراطوريه الدوتشي



الدوتشي فوق الجميع



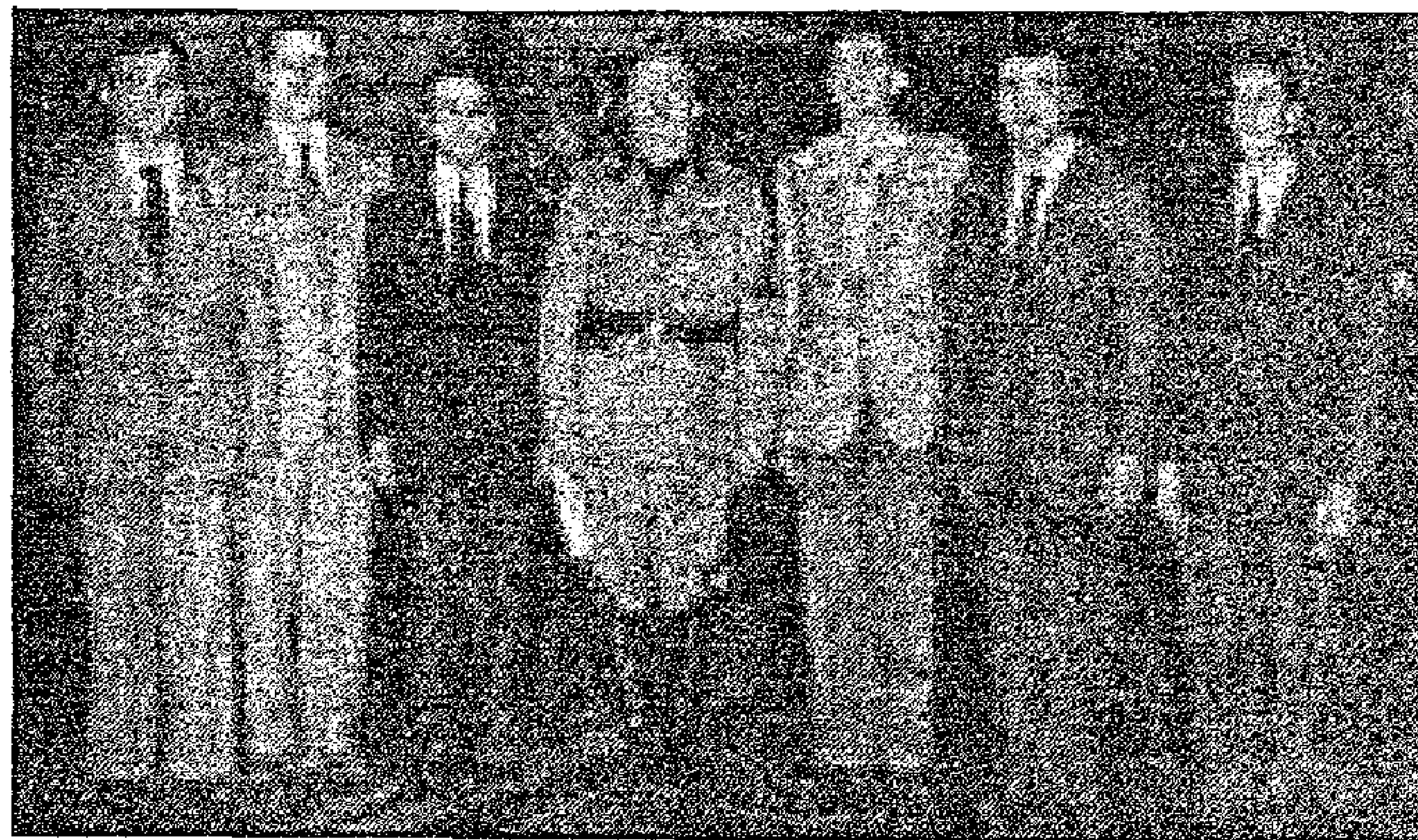
لنستعيد مجد روما القديمة ....



أوسمة رغم الهزيمة



الملحد الأصيل والفاتيكان ..علاقة مريبة



أعوان الدوتشي..

تحالف الذئاب... الدوتشي والفوهرر..





مع حليفه هتلر..نازية وفاشية ...

لماذا يبتسم الذئبان يا ترى؟

ظل هتلر يحلم بلقاء موسوليني ..مثله الأعلى







"The Pact of Steel"
Adolf Hitler and Benito Mussolini



صرامة وتجهم ..



فلتدق طبول الحرب





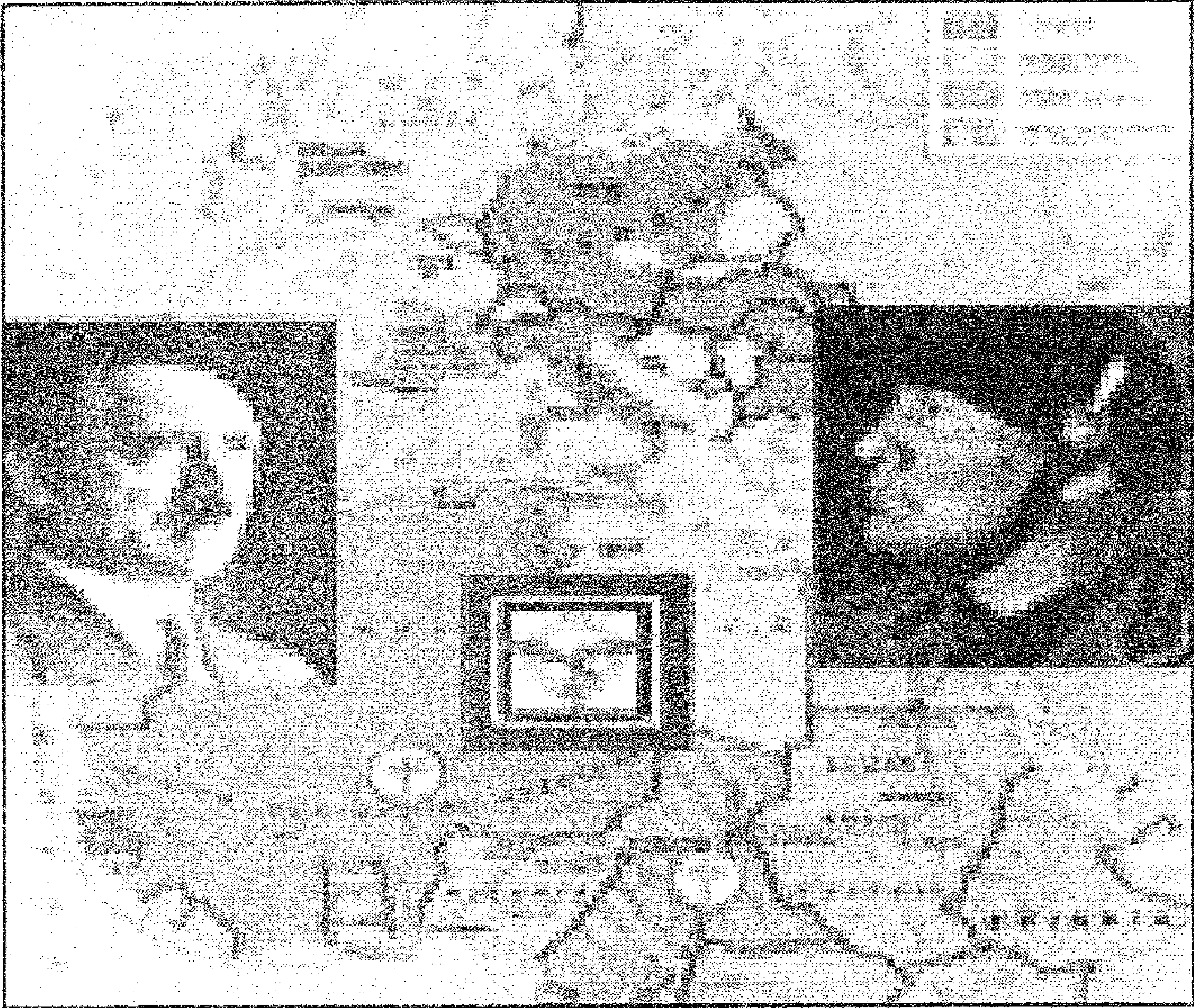
هتلر وبنيتو موسوليني والحلم بالنصر....



الفرح قبل الانتصار..



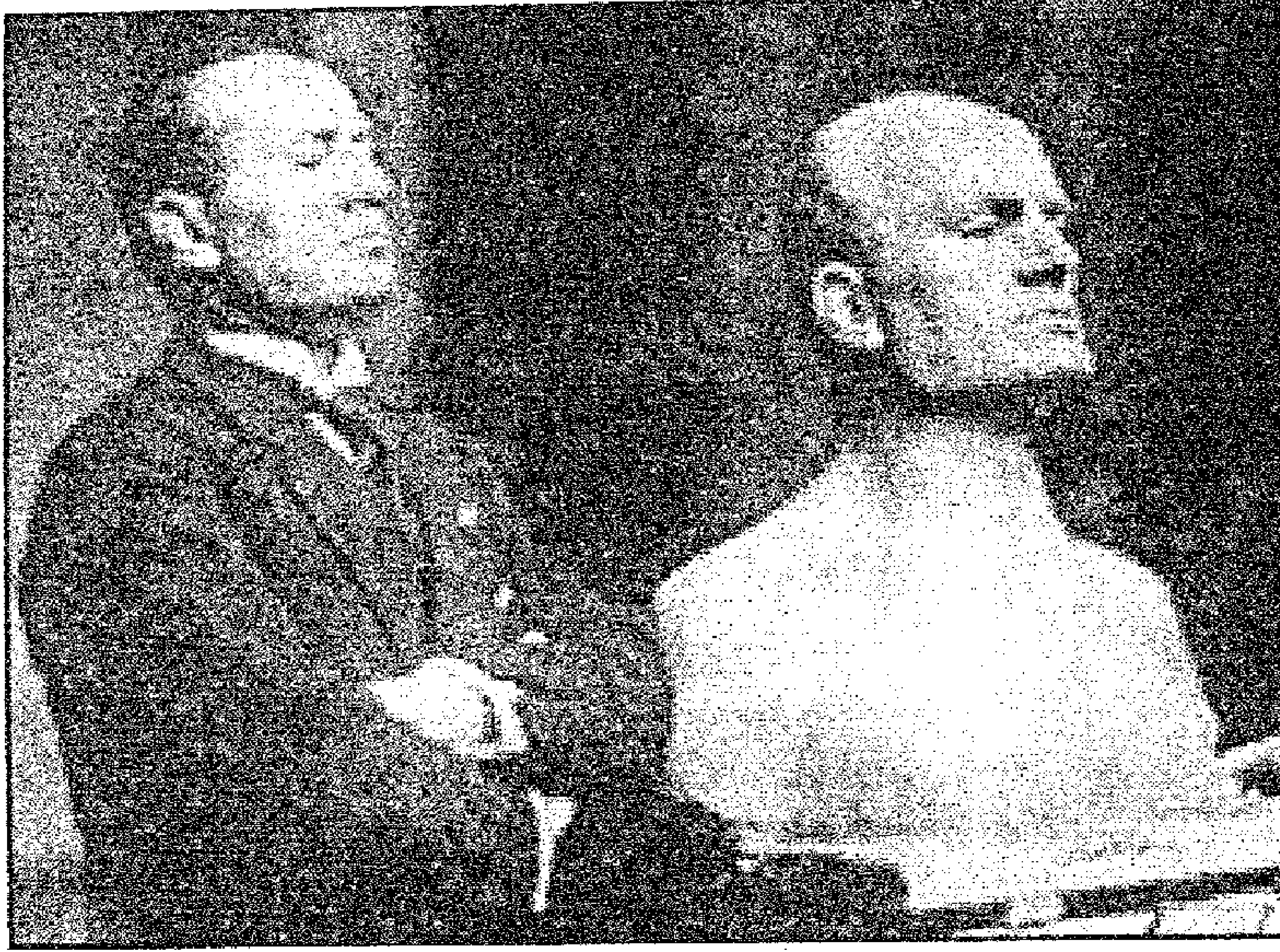
يراجعان خطط غزو العالم...





مرارة .. وشعور بالنهاية

الدوتشي ..وعبادة الذات



لم يولد خليفتي بعد



الدوتشي يلهو ..



في ملابس طيار

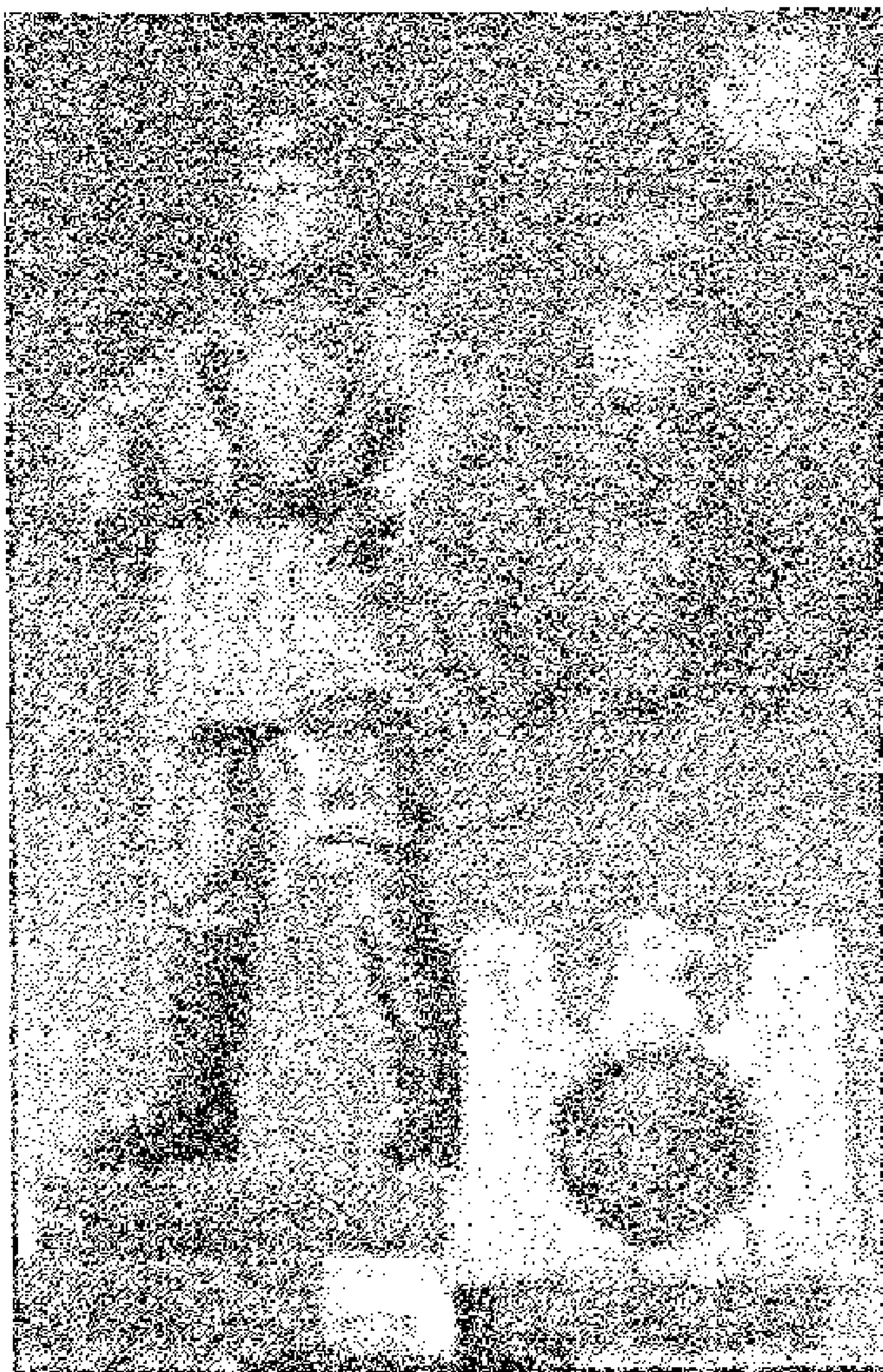

على شاطيء البحر

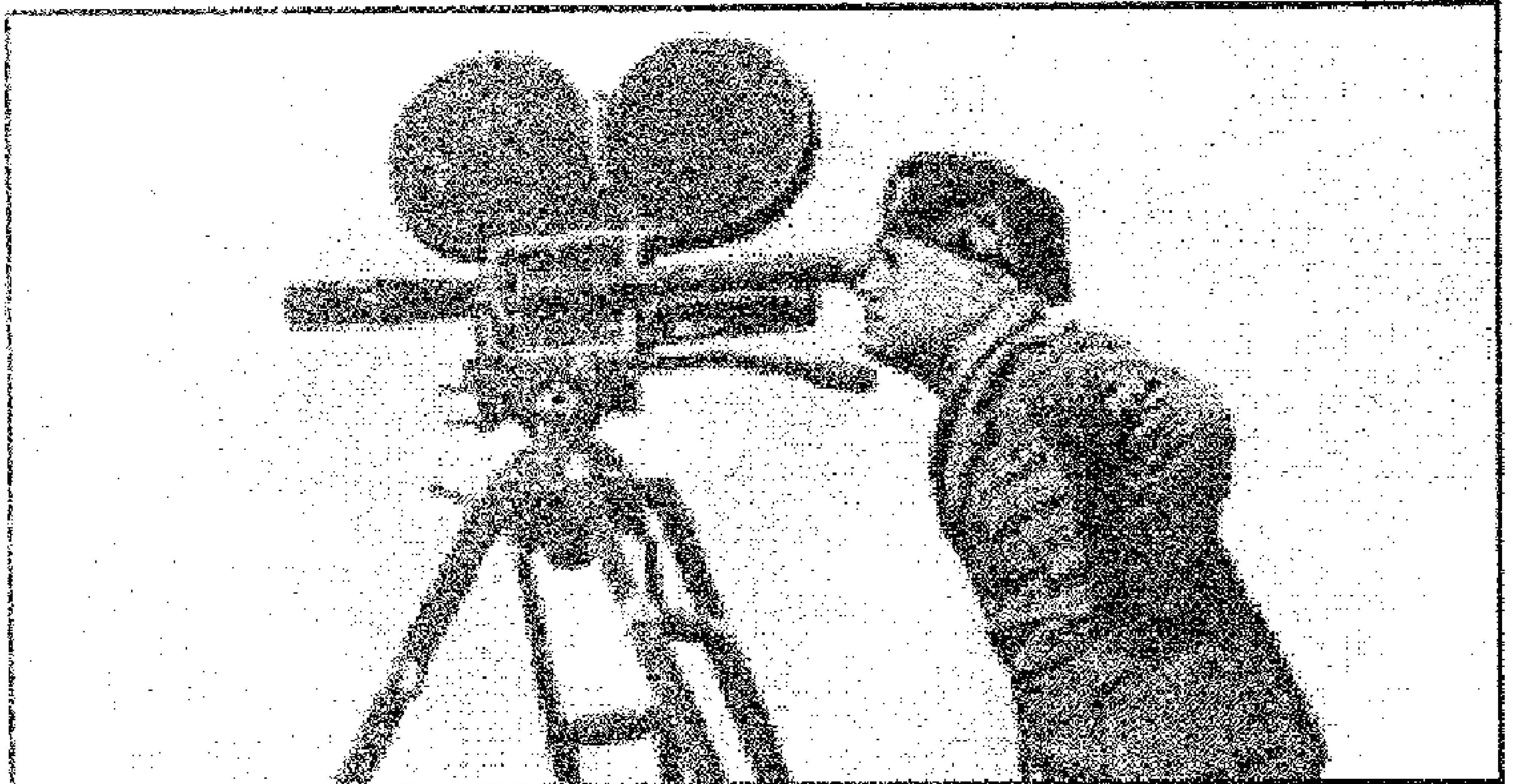

السباح الأول ...


المبارز الأول

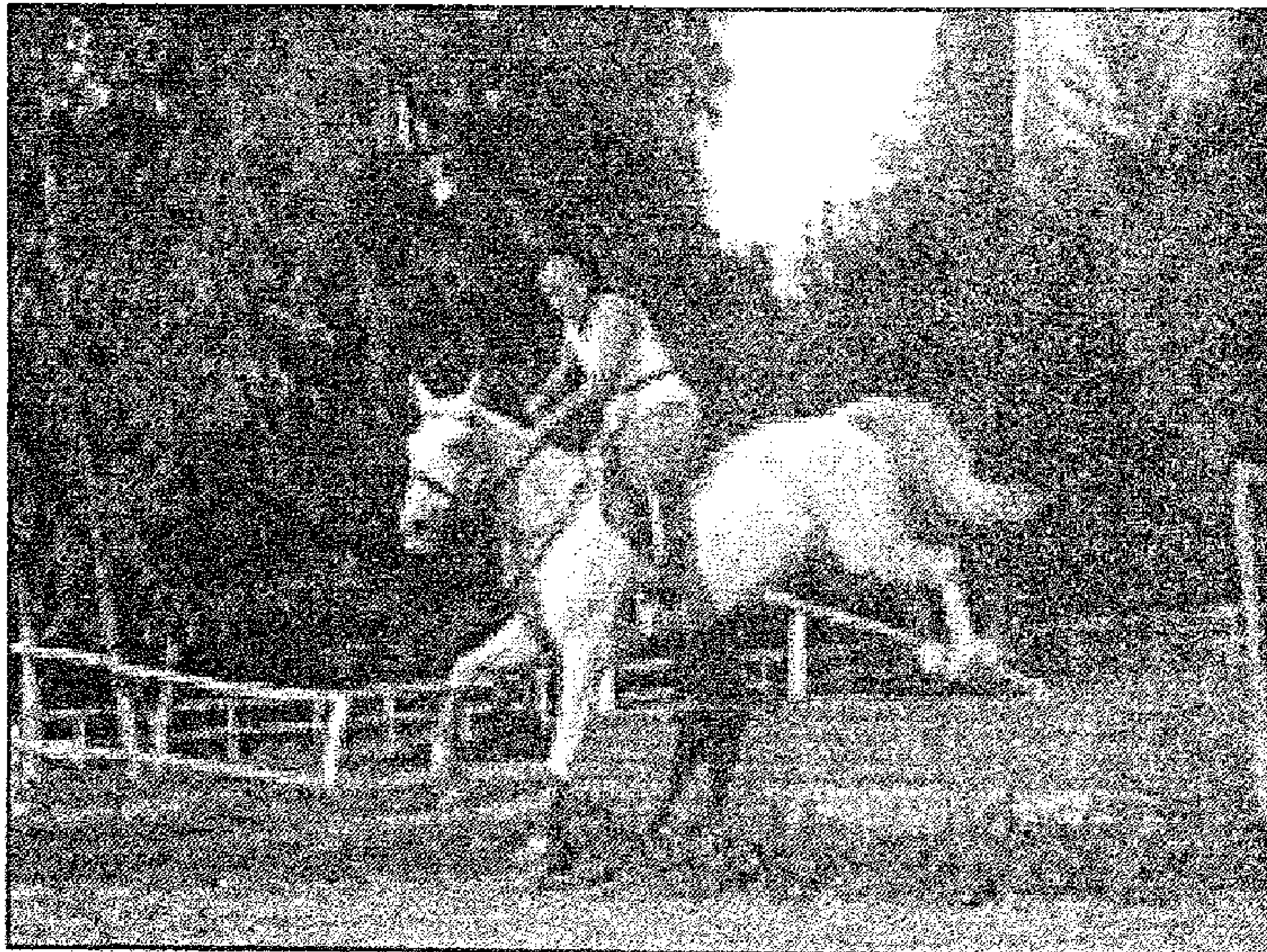

راكب الموتوسيكل الأول


راكب الدراجات الأول


الدوتشي فوق الدولة ..


ترى إلى ماذا ينظر؟





الفارس الأول ....

موسوليني في الحياة الاجتماعية ..



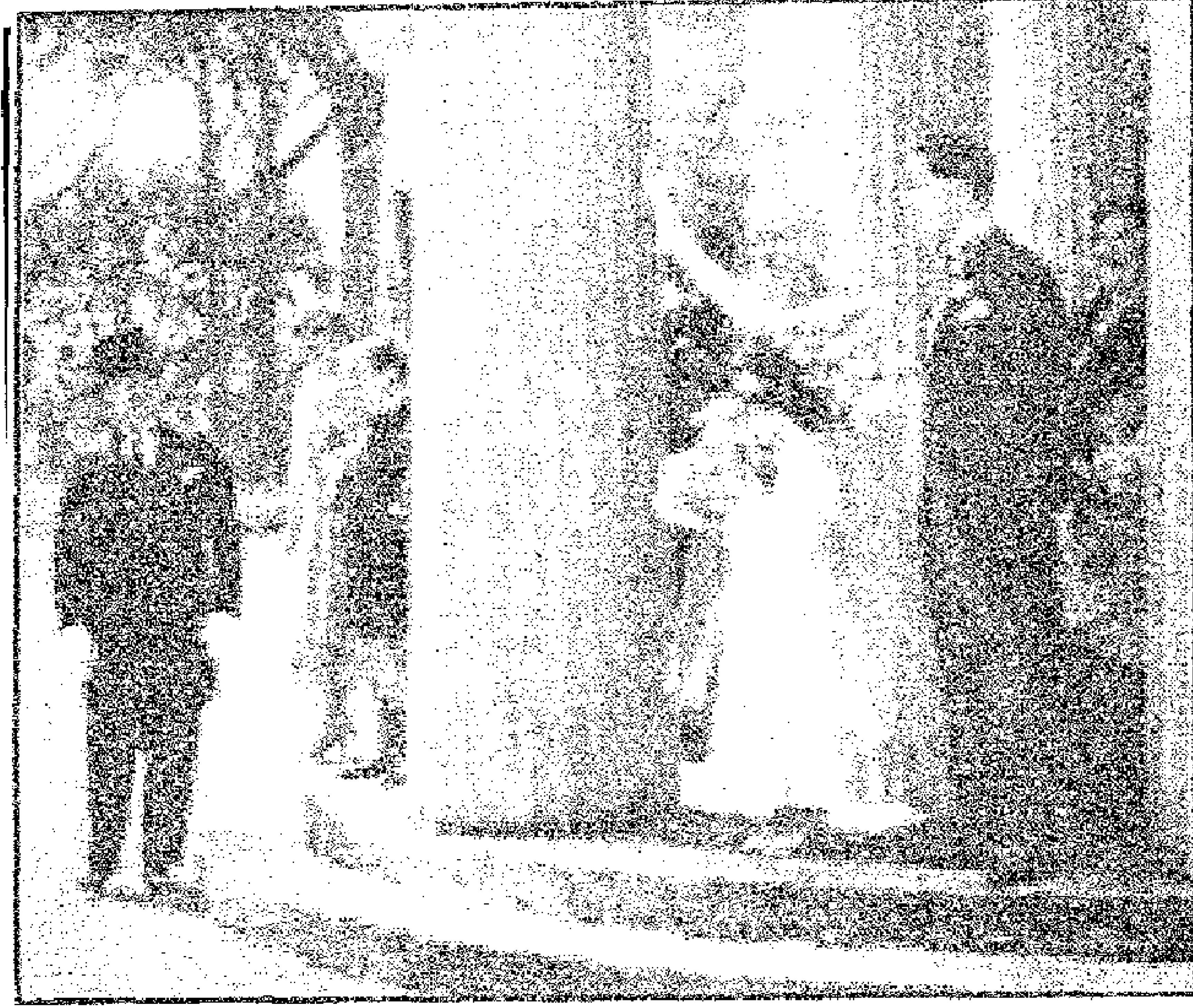
لا تخافي من الديكتاتور يا طفلتي



في حفلة رسمية .. الدوتشي يرقص



مع الأسرة والأولاد..



زفاف إيدا والكونت شيانو ..



على الحصان ..



الابن رومانو يعزف لأخته آنا ماريا ١٩٦٢



يحمل ابنه..



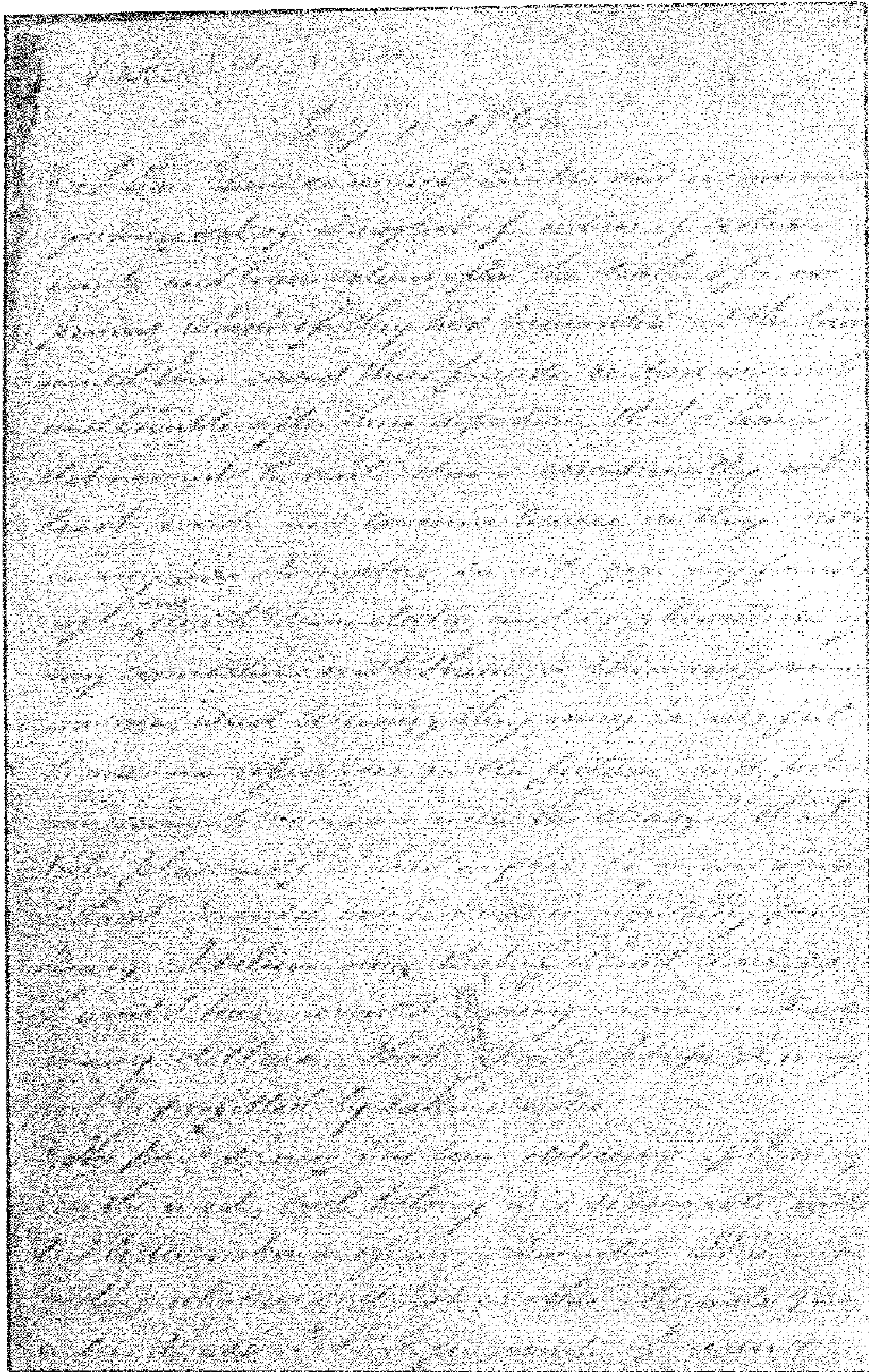
الحفيدة ألكساندرا...



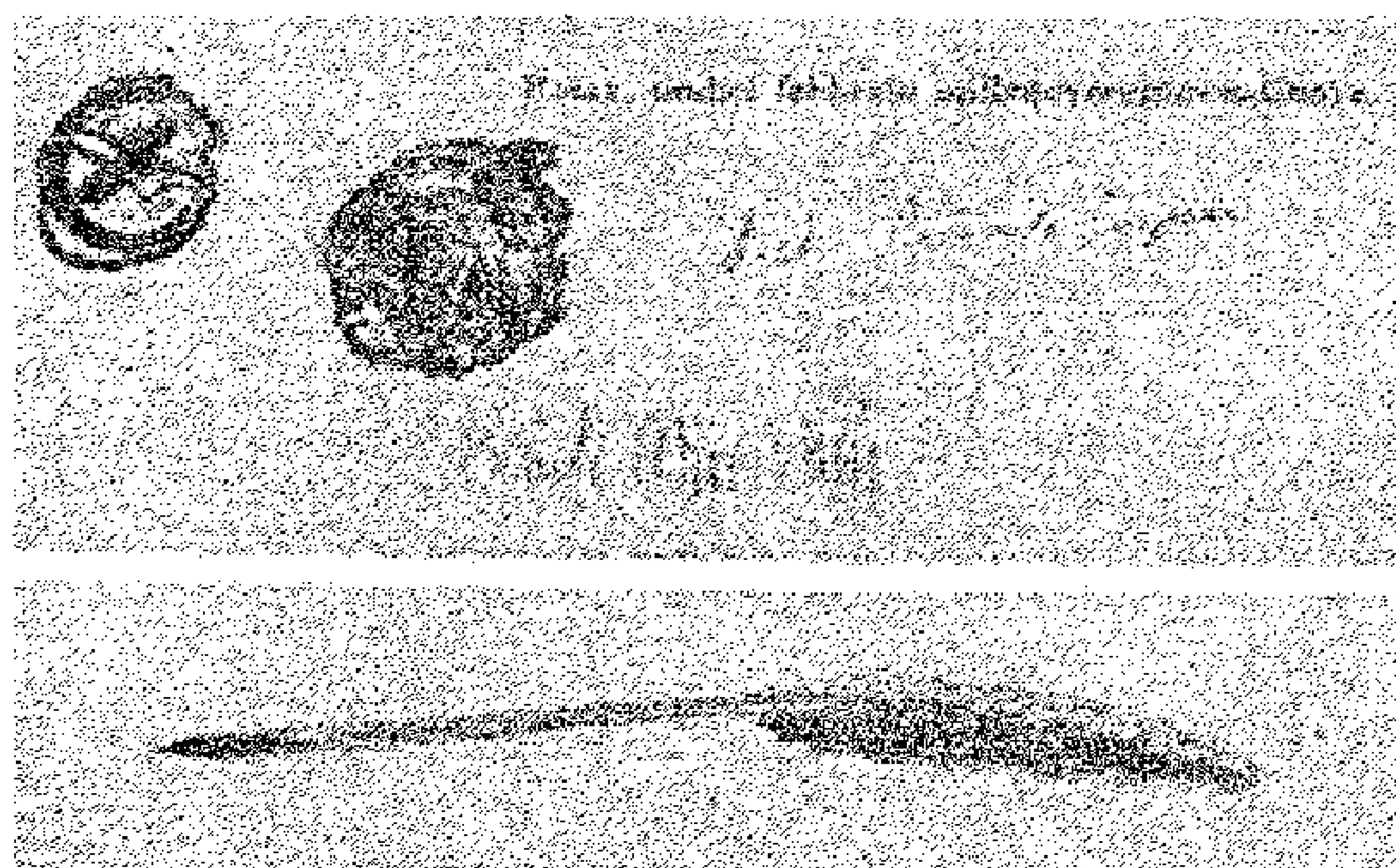
الابن قبل وفاته .. والحفيدة



الممثلة هايدي كسلر إحدى عشيقات موسوليني



صفحة من مذكرات موسوليني



توقيع وختم موسوليني أسفل ختم البابا

النهاية في محطة بنزين ...



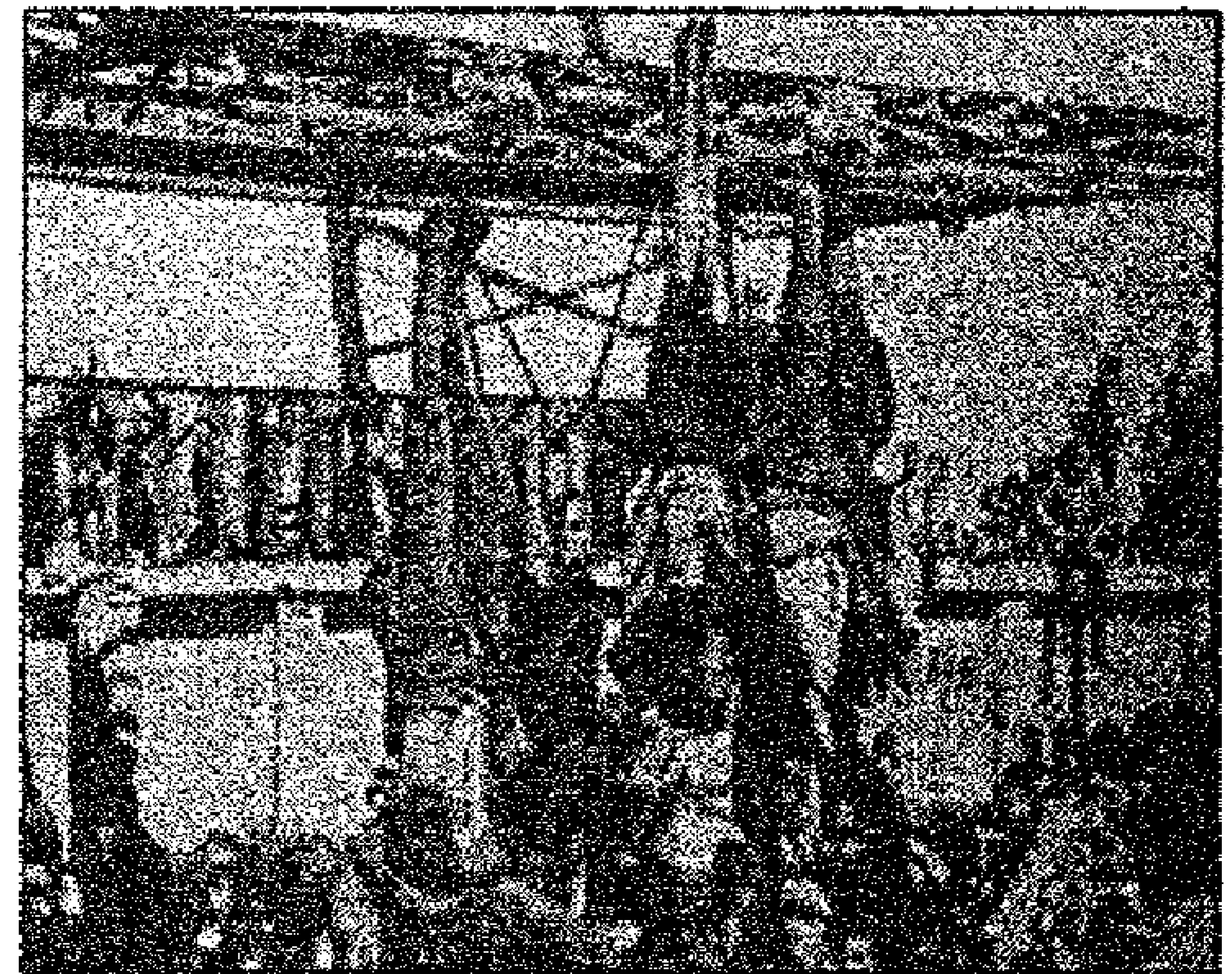
موسوليني مشنوقا

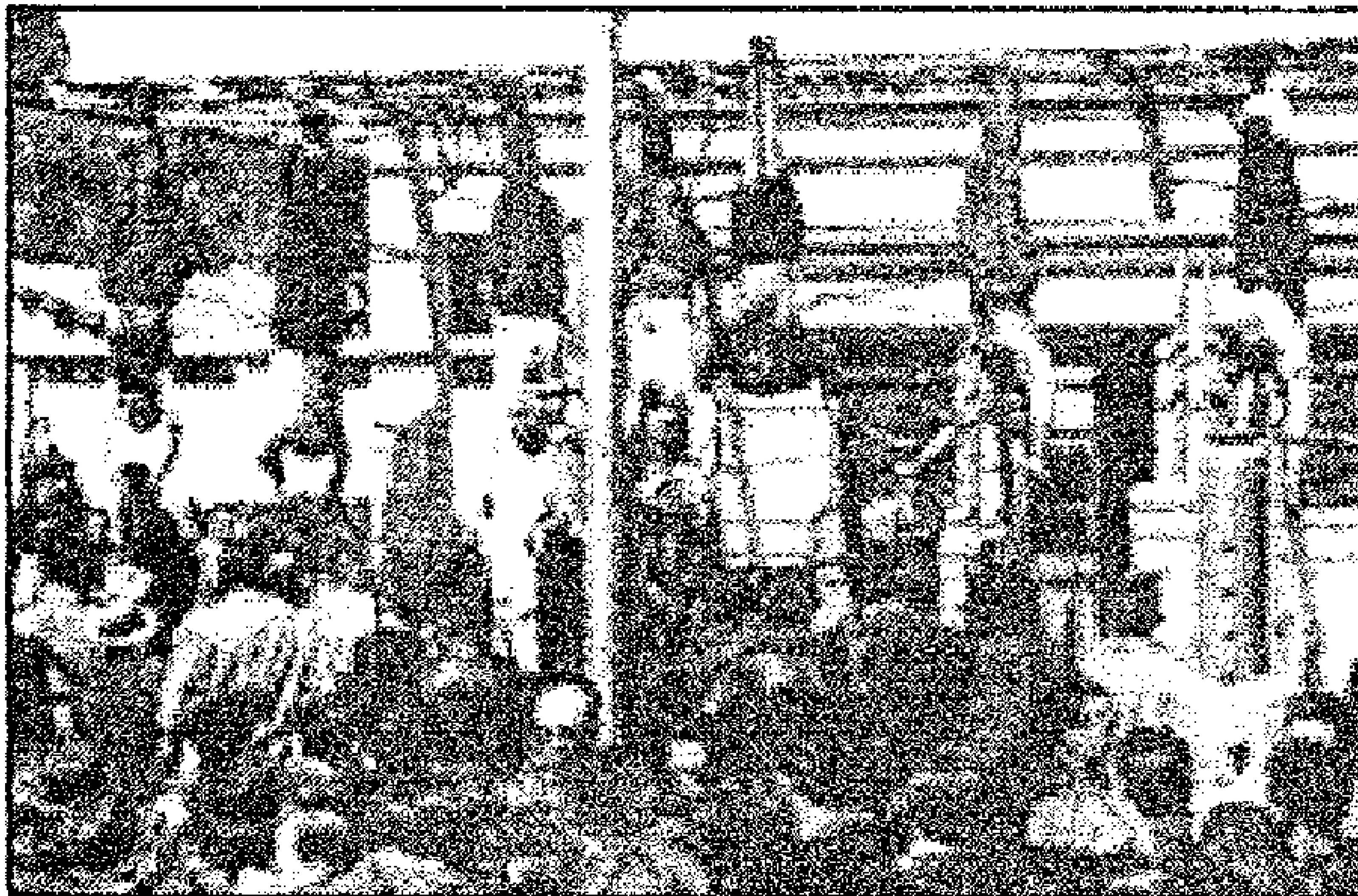


موسوليني وكلارا .. والنهاية



موسوليني وكلارا بالمقلوب





... أعوانه الذين شنقوا معه ...



كلارا هل كانت تتوقع النهاية ؟؟





كلارا تشاركه المصير..





نهاية العاشقين

النهاية ....



ITALY: A REPUBLICAN GOVERNMENT

مصادر و مراجع

١- الإيطاليون يزورون ثانية إرث موسوليني الفاشستي، مجلة "نيوزويك"، مايو ٢٠٠٤.

٢- إيطاليا في عهد موسوليني : الحياة في ظل الديكتاتورية، ريتشارد بوسورث، دار بنجوين لندن – ٢٠٠٦.

٣- الفاشية: نظام من الماضي أم أيديولوجية قابلة للتجدد؟، رانيا نبيل وهبة رءوف عزت، ٢٠٠١ .

٤- الفاشية الجديدة في أوروبا، د. عبد القادر حسين ياسين، ٢٠٠٧.

٥- حول تسييس الثقافة وأدلجة الفنون والآداب،الدكتور مصدق الحبيب، موقع "عراق الكلمة" على الانترنت، ١٦يوليو٢٠٠٦.

٦- تاريخ جديد للفن، بول جونسن، ٢٠٠٣ .

٧- اعترافات على تخوم الآخرة، محيى الدين اللاذقاني –،الشرق الأوسط، ٤ سبتمبر ٢٠٠١.

٨- من ميكيافيللي إلى موسوليني،الشرق الأوسط،٢٠ فبراير ٢٠٠١ .

٩- كتاب "خطوة واحدة عن المشنقة"، أنجلو ديل بوكا، دار نشر "بلديني كاستولدي"، روما، ٢٠٠٧ .

١٠- الطاغية، د . إمام عبد الفتاح .

١١- ظهور الفاشية و النازية، قناة المجد الوثائقية، أغسطس ٢٠٠٧.

١٢- مدينة في ضياء، تأليف الكاتب والمفكر اليساري السويدي اندرش إنمارك ، دار نشر نورستيدتس، ٢٠٠٥ .

١٣- الذي تبقى من الاشتراكية، سلام صادق، مجلة " الثقافة الجديدة " – ١٩ يوليو ٢٠٠٧.

١٤- مواجهة في الصحراء ، كنود هولمبو، ١٩٣١ .

١٥- الإمبراطورية الفاشية الأوروبية، دافيد رودغنو، جامعة كامبردج ، ٢٠٠٧.

١٦- إعدام موسوليني – عايدة خالدي، مجلة " آفاق "، ٢٨ أبريل ٢٠٠٦.

١٧- عندما طردت برن موسوليني ! ، سويس أنفو، ٣٠ يونيو ٢٠٠٣.

١٨- عمر المختار .. نشأته وجهاده، عبدالمولى المنفى، سلسلة الدراسات التاريخية، جامعة قار يونس – ١٩٨٢.

١٩- الملكيون والرايخ، جوناثان بيترو فيلس، أكسفورد يونيفرسيتي برس، ٢٠٠٦.

فهرس

فهرس

وراء كل ديكتاتور قصة.. وراء كل ديكتاتور حكاية.. وراء كل ديكتاتور خزانة محصنة مليئة بالأسرار الخطيرة والمذهلة، يستحيل أن تنفذ إليها في حياته، لأنك لو حاولت، لوجدت الموت بانتظارك. ومن أكثر ما يميز هذا النوع من البشر، الذين تدخلوا في إعادة رسم مسار التاريخ، خلال عصرهم، وما تلاه من عصور، هو أن سيرتهم لا تنتهى بموتهم، وهكذا النازى هتلر، وهكذا الشيوعى العتيد ستالين.

ومن طواغيت التاريخ الذين عرفهم العالم كان موسولينى، ديكتاتورا من طراز فريد، من سلالة خاصة، أخطر ما فيها أنها لا تعترف بحق الآخر في الحياة، عندما يخرج عن الخط الذى رسمته له!! ورغم مرور أكثر من 62 عاما على إعدام ديكتاتور إيطاليا الفاشيستى العتيد إلا أن اسم هذا الديكتاتور الدموي عاد من جديد إلى الأضواء فى السنوات الأخيرة بفعل الكشف عن أسرار خطيرة ومثيرة من حياته، جعلته يقفز - بقوة - إلى بؤرة اهتمام العالم.

وهذا الكتاب الذى بين يديك عزيزى القارئ الآن هو محاولة لرصد كل ما يتعلق بحياة هذا الرجل الذى ساهم فى تغيير مسيرة التاريخ، خاصة فى ضوء ما تم الكشف عنه مؤخرا من أسرار تجعلنا نعيد رسم شخصيته من جديد. من هذه الأسرار ما يتعلق بحياة الديكتاتور الخاصة، كمغامراته السرية مع النساء، وكذلك ظهور (إيلينا)، التى ظهرت فجأة من العدم، وما دونته حفيدته إليساندرا عنه من ذكريات، و(خناقة) العقيد الليبى معمر القذافى، بعد اتهامه جدها فى تأخير ظهور ليبيا الحديثة بسبب احتلا... بعنف عليه، بقولها إنه لولا جدها موسولينى لظل الليبيون يركبون الجمال!!

فى الكتاب أسرار كلها تعيد رسم شخصية ديكتاتور إيطاليا العتيد بينتو موسولينى، الذى أعدم... رميا بالرصاص فى 28 أبريل عام 1945، والذى لم تشهد الألفية الثالثة شخصية من التا... الاهتمام كما هو الحال مع هذا الفاشيسيتى الرهيب.







دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة